الشَّبَح

obeikan.com

الكتاب: الشبح
المؤلف: محمد عبد الرازق
تصميم الغلاف: أسامة علام
تدقيق لغوي: أحمد أسامة
رقم الإيداع : 2016/25095
الترقيم الدولي: 978-977-778-095-7

20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة
ت: 02 35860372
Noon_publishing@yahoo.com
جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

obeikan.com

الشَّبَح

رواية

محمد عبد الرازق

للنشر والتوزيع

obeikan.com

obeikan.com

الإهداء

إليك أنت وحدك

بك أكتفي بالدنيا وما فيها

obeikan.com

obeikan.com

أشرف صابر

هناك أشياء كثيرة تحدث فى حياة كل منا، تؤثر على مصير أقداره .. أشياء لا نعرف لها سببًا.. تحدث بلا مقدمات، بدون موعد مسبق.. لكنها يكون لها أبلغ الأثر فى تشكيل ما يليها من أحداث.. قد تبعث تلك الأشياء على الضيق أو الضجر كالجلوس مع شخص سمج أو امرأة ثرثارة.. أو أخرى تشكو للقاصى والدانى مشكلاتها مع زوجها وابنائها.. أو الشباب الذى ينعى سوء حظه.. ذاك الحظ العثر الذى قتل طموحه وحطم آماله الباسمة عندما اصطدم بالواقع العبوس.. فبعد أن كان الحماس يملأ قلبه.. كانت طموحاته لا سقف يحدها، أصبح سقف حجرته الذى يدنو من رأسه هو أقصى Hمنياته..

عن نفسى فالوضع يختلف قليلًا.. فأنا أتكيف مع كل الظروف، علمتنى مهنتى القاسية ومن قبلها الحياة، أن أتأقلم مع كافة المتغيرات.. لكن.. على الرغم من ذلك لم أستطع التخلص من شيئين ما زالا يسببان لى الضيق.. أصاب بالاختناق عند الحر الشديد، ويحاصرنى الضجر فى الزحام الرهيب.. وكلاهما متلازمان ودائمان بطبيعة الحال فى مجتمعنا.. فى أغلب الأحيان كى أكون منصفًا..

عندما كانت ترتفع درجات الحرارة عن معدلاتها الطبيعية فى فصل الصيف كنت على الفور أتقدم بطلب إجازة إلى السيد اللواء مدير الإدارة.. أهرع إلى حسناوات شرم الشيخ أو إلى الطبيعة الخلابة فى الغردقة.. على أقل تقدير أفر

إلى الإسكندرية هربًا من هذا الجحيم المقيم على أرض المحروسة، الإسكندرية فى مفهومى تعنى الأماكن النائية الغير مطروقة بالبشر فى الساحل الشمالى.. دائمًا أفضل الذهاب فى الأوقات التى تخلو فيها تلك المدن من المصطافين، دومًا أختار الأوقات والأماكن الغير مزدحمة.. إن أردنا الدقة أفضل دائمًا الأوقات التى تكون فيها هذه المدن خالية من المصريين.. حتى لا يجتمع الحر مع الزحام..

معظم الوقت أقضيه وحدى على الشاطئ، أجلس مع نفسى، أحاورها وتحاورنى.. اتذكر معها كل ما مر بى من أحداث سعيدة كانت أو حتى حزينة.. لا يهم.. المهم أن أجلس مع نفسى.. طوال أكثر من اثنانِ وثلاثين عامًا هى كل رصيدى فى هذه الحياة لم أفكر مطلقًا فى الزواج، كيف لشخص عاقل أن يلقى بنفسه فى التهلكة بإرادته.. المدام متعبة، الأولاد مرضى.. ناهيك عن خزانة الأموال المفتوحة ليل نهار، والمطلوب منك دائمًا أن تملأها بالجنيهات.. هذا بخلاف ملايين الأسئلة اللانهائية التى تطرحها عليك الزوجة المصرية.. أين كنت؟ متى ستعود؟ لماذا تأخرت؟ ماذا تحب على الغذاء؟ لماذا لم تعد تحبنى؟.. أسئلة تتبعها أسئلة بدون إجابة نموذجية.. فى كل الأحوال هو فخ لم يستطع النجاة منه إلا قلة محظوظة.. أنا منهم بالطبع.. وعلى الرغم من أن وظيفتى تقتضى توجيه الأسئلة الكثيرة المتنوعة إلا أننى لم أجد فى نفسى القدرة يومًا على تحمل هذا النمط التقليدى من الحياة الزوجية.. ومن هنا اتخذت قرارى الحاسم بالابتعاد نهائيًا عن النساء.. إحم إحم.. ليس كل النساء بالطبع.. فقط عزفت عن النساء الراغبات فى الزواج، زهدت فى فكرة الزواج بالتبعية....

معذرة فقد تماديت فى أحلامى وأمنياتى، فكل ما ذكرته عن حياة العزوبية لم يكن إلا أمنية كنت أتمنى تحقيقها ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه، لقد وقعت فى الفخ وتزوجت، لم تكن رغبتى ولكنها رغبة والدتى التى كانت دائمًا تقول لى: (نفسى أشوف ولادك قبل ما أموت)، ولأنها الغالية وليس فى حياتى أغلى منها وخاصة أننى وحيدها فقد استسلمت لرغبتها، وبالتالى لم أعترض على العروس

التى أصرت على اختيارها بنفسها، كان زواجًا تقليديًا مثل أغلب الزيجات فى مصر، ولكننى عاملت زوجتى بما يرضى الله، ولقد كانت جائزتى هى مولودى الأول، ولقد شاءت الأقدار أن يكون ذكرًا، كما تمنيت منذ ليلة الزفاف، ولكننى كنت أتمنى أن أعود لحياتى السابقة، قبل الزواج، الصيف والبحر والهواء العليل والوحدة.....

ويبدو أن الله قد استجاب لدعواتى فأتى هذا الصيف ساخنًا جدًا، ولكن بدون بحر ولا شطآن ولا أحلام، بل كان حافلًا بالعمل وليس غيره، كانت البداية بعد أن تم الإبلاغ عن جريمة قتل غامضة.. ولما كنت أحظى بثقة السيد اللواء مدير مباحث الجيزة فقد تم إسنادها إلىّ..

ومع بداية ارتفاع درجات الحرارة فى مثل هذا الوقت من صيف القاهرة، وازدحام شوارع مدينة الألف مئذنة بالبشر، عاودتنى تلك الحالة المقيتة من الأختناق وأنا متوجه فى طريقى للعقار رقم (.....) شارع الأهرام بالجيزة.. موقع الجريمة..

كنت طوال الطريق من المديرية وحتى موقع ارتكاب الجريمة أزفر فى ضيق بعد أن شعرت بأن الهواء قد خلا من عنصر الأكسجين.. كان الهواء مشبعًا برطوبة خانقة أَثَّرت على وضوح رؤيتى وقدرتى على التنفس.. أصبحت أشك أنها قد أضعفت سمعى أيضًا، فلم أكن قادرًا على الاستماع إلى زميلى الرائد أحمد حسين وهو يلقى على بكلمات متناثرة من حينٍ لآخر عن الجريمة، عن البلاغ الذى قدمه بواب العمارة التى وجدت بها جثة القتيل.. كنت أستمع اليه بنصف عقل فقط، أما النصف الثانى فقد كان يفر من قيظ الواقع بخيالات وهلاوس عن جميلات شرم الشيخ وزرقة مياه الغردقة، ذاك الجو الساحر البديع الذى كنت أحلم به دائمًا فى مثل هذا التوقيت من العام..

بعد عناء مرير فى زحام المرور ومكابدة سائقى الميكروباص والتوك توك الطائش وصلنا أخيرًا إلى المكان المنشود.. تحول اختناقى وضجرى إلى غضب عاصف عندما وجدت أكوام من البشر يتجمعون حول العقار الذى وقعت به الجريمة.. عقدت

حاجبى وأنا أترجل من السيارة الميرى ثم أشرت إلى اثنين من العساكر بالتعامل مع هذا الجمع، حتى استطيع المرور أنا والرائد أحمد.. اندفعوا إليهم وأزاحوهم بعنف ليصنعوا ممرًا صغيرًا استطعت العبور من خلاله أنا وزميلى.. فى نفس اللحظة التى هرع الينا فيها بواب العقار الذى ما أن رآنا قال وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة ربما لإدمانه لنوع معين من المخدرات أو لكبر سنه الظاهر من الشيب الذى كسى معظم شعر رأسه:

- أهلًا وسهلًا يا بيه، البهوات سبقوكم لفوق.

أومأت برأسى متفهمًا حديثه فقد كان يقصد رجال المعمل الجنائى، الذين كان من المفترض أن ياتوا بعد أن نعاين مسرح الجريمة لرفع البصمات وأخذ الأدلة ولكنه الزحام، ألا لعنة الله عليه .. ركبنا المصعد بصحبة هذا البواب الغريب الذى ضغط بإبهامه على زر الطابق العاشر.. كان مظهره مريبًا يبعث على الشك وهو يبسمل ويحوقل باستمرار، بطريقة تدعو للضجر.. عنفته وأمرته بالصمت حتى نصل إلى وجهتنا..

فور أن وصل المصعد إلى الطابق المنشود سبقنا البواب إلى الشقة التى وقعت بها الجريمة.. تبعته أنا وزميلى بهدوء وثقة.. لم تكن تلك هى الجريمة الأولى التى تسند إلى بل كنت قد حللت ألغازًا وفككت طلاسم جرائم أشد منها غموضًا.. دلفت إلى المكان وأنا أشعل إحدى سجائرى نفاذة الرائحة، والتى كانت تساعدنى على التفكير الهادئ بعد أن يأخذ دخانها الكثير من توترى وحدتى..

«المقدم أشرف صابر بنفسه! الظاهر الموضوع كبير واحنا ما نعرفش»..

علت شفتى ابتسامة ساخرة وأنا ألتفت إلى قائل العبارة السابقة.. كان صديقى الدكتور إبراهيم طلعت، أحد أهم رجال الطب الشرعى فى مصر فى هذه الآونة ورئيس المعمل الجنائى أيضًا، مددت يدى لأصافحه وأنا أقول بنبرة هادئة:

- ومدام الدكتور إبراهيم هنا هو كمان، يبقى فعلًا الموضوع فى غاية الأهمية، معلش آسف على التأخير، البلد زحمة جدًا.

- ولا يهمك يا باشا.

قال عبارته ثم تبادلنا عبارات الترحاب بسرعة قبل أن ننتقل إلى مباشرة عملنا، خاطبته بنبرة جادة:

- ها طمنى، إيه الموضوع؟

ولأن الدكتور إبراهيم يعلم أننى رجل عملى، لا أحب إضاعة الوقت فقد دخل فى الموضوع مباشرة، قال بلهجة عملية وهو يقرأ التقرير الذى سلمه له أحد رجاله بعد انتهائهم من فحص موقع الجريمة فى حين أخذ بصرى يجوب المكان متفحصًا كل شئ بدقة شديدة:

- الجثة لرجل فى العقد الثالث من العمر، توفى نتيجة عدة طعنات مباشرة من آلة حادة قاطعة فى منطقة الصدر والبطن، يشتبه فى كونها سكينًا حادًا وهذا واضح تمامًا من آثار الجروح القطعية فى المنطقتين المذكورتين..

كان إبراهيم يتحدث وأنا أتحرك فى المكان مرتديًا قفازًا بلاستيكيًا شفافًا من النوع الطبى.. اقتربت بهدوء من جثة القتيل.. كشفت الغطاء عن نصفها العلوى لتطالعنى ملامح صاحبها.. رأس بيضاوى، به صلع خفيف، عيناه بنيتان شاخصتان إلى فراغ الغرفة، له فم كبير ممتلئ بالطعام وبعضها تم قيؤه على الأرض، نحيل.. قاطعنى صوت الدكتور إبراهيم وهو يقول بصوت هادئ:

- أنا ما كملتلكش باقى التقرير المبدأى..

التفت نحوه وأنا أقول بحدة:

- مستنى إيه يا دكتور ولا محتاج عزومة؟

تنحنح الدكتور قليلًا ثم قال بنبرة متوترة:

- وجد بالجثة محل الفحص المبدأى بتر بالعضو الذكرى، وهذا واضح بالعين المجردة.. لكن يحتاج الرأى النهائى إلى إتمام إجراءات تشريح الجثة لمعرفة سبب الوفاة الفعلى وهل يرجع لطعنات الصدر والبطن أم يرجع للنزيف الحاد الناتج عن بتر العضو الذكرى..

مططت شفتى فى ضيق وأنا أكشف باقى الغطاء لتظهر جثة القتيل عارية تمامًا أمامى لا تسترها أية ملابس.. ترقد على ظهرها فى وضع عجيب بعد فتح ذراعاه عن آخرهما وباعد ما بين ساقيه لمسافة كبيرة.. وقفت على قدمى وأنا أخلع القفاز الطبى عن كفى.. أخذت أحك أنفى فى حركة لا إرادية لازمتنى منذ أن شاهدت قتيلًا للمرة الأولى فى حياتى ولم أحتمل رائحة العفن الصادرة من جثته.. كان الوضع برمته مريبًا يثير الكثير من التساؤلات.. لماذا قُتل هذا الرجل عاريًا؟ لماذ قطعوا له ذكره؟.. لابد أنها جريمة نسائية غرضها الإنتقام.. اللعنة على النساء.. دائمًا فتش عن المرأة..

قاطع صوت الدكتور إبراهيم من جديد إسترسالى فى الأفكار حين قال:

- على فكرة، إحنا مالقيناش العضو المبتور.

التفت إليه وقلت بغضب:

- يا سلام، أُمال يعنى انت فاكر إنه قطعه وبعدين هيرميه جنب الجثة.. أكيد احتفظ بيه لغرض ما.

تنحنح الدكتور إبراهيم فى إحراج وهو يقول:

- الموضوع كله فيه حاجة مش مفهومة، تحس إن القاتل عاوز يوحى لينا إنها جريمة عاطفية، لكن خبرتى بتقول إن الموضوع وراه حاجات تانية أكبر من كده.

ازداد حنقى وضيقى من فلسفته الغير مبررة، بعد أن كنت قد أقنعت نفسى أنها جريمة عاطفية أملًا فى حل طلاسمها وحتى أفر من هذا المكان الذى أصبحت رائحته مع شدة حرارة الجو لا تطاق، قلت بسأم:

- طب معاليك تفتكر إيه نوع الجريمة دى يا دكتور.

تجاوز الدكتور إبراهيم سخريتى وقال مستطردًا:

- مش شرط تكون الجريمة عاطفية لكنها ممكن تكون انتقامية لغرض آخر.. يعنى مثلًا إحنا وجدنا فى غرفة النوم آثار سائل منوى يرجح أنه للقتيل ووجدنا على جسده شوية آثار منه برضه..

قاطعته وأنا أقول مفكرًا على طريقة شرلوك هولمز:

- تقصد إنه كان شاذ!!

هز الدكتور إبراهيم رأسه وهو يقول:

- لا لا، مش قصدى كده.. لكن قصدى إننا لازم نسيب كل الإحتمالات مفتوحة.

أومأت برأسى موافقًا مقالته ثم تحركت تاركًا الجثة، أدرت وجهى فى أرجاء الشقة أتأمل ما بها من أثاث متجاوزًا غرفة النوم التى كنا نقف فيها.. كانت الشقة تتكون من غرفتين وصالة كبيرة بها مكتبين خشبيين أحدهما كبير والآخر صغير.. وبعض مقاعد متناثرة فى المكان بشكل عشوائى.. أما الغرفة التى بها الجثة فهى متوسطة الحجم بها فراش متواضع، رقدت فوقه جثة القتيل بوضعها المريب.. بجانبه كومود موضوع عليه هاتف أرضى.. الإضاءة فى المكان خافتة تبعث على الهدوء والاسترخاء، تنبعث رائحة زكية مختلطة برائحة حشيش أنبأتنى خبرتى العملية أنه من نوع جيد مما يضفى على المكان مزيدًا من الغموض.. العديد من زجاجات الخمر الفاخرة ملقاة فى جوانب الغرفة بعد فراغها من محتواها.. كاسيت ضخم به شريط قديم لمطرب يدعى الريس بيرة..

- النيابة وصلت يا باشا.

قطع تأملاتى أحد المعاونين وهو يخبرنى بقدوم وكيل النيابة، الذى أسرعت لمقابلته، وأخذت أحدثه عن الجريمة وما توصلنا إليه حتى الآن، ثم تركته يعاين المكان بنفسه وواصلت عملى

فأشرت بيمينى للبواب فأسرع إلى مهرولًا فى نفس الوقت الذى كان زميلى أحمد يتحدث إلى أحد رجال المعمل الجنائى..

«تحت أمرك يا بيه».. قالها البواب بصوت مرتعش وهو يقف وقفة أقرب لوقفة العساكر فى مراكز التدريب.. أيقنت بتوتره إلا أننى رغبت فى زيادة هذا الإحساس لديه حتى لا يتعبنى فى استخراج المعلومات المطلوبة.. نظرت إليه طويلًا نظرة متفحصة متمرسة، لم أسأله على الفور كعادتى عند بداية حديثى مع أحد

المشتبه فيهم، التقطت إحدى سجائرى النفاذة وأشعلتها ببطء، سحبت منها نفسًا طويلًا بهدوء مميت متعمدًا زيادة معدل الأدرينالين فى دمه.. نفخت الدخان بقوة فى وجهه قبل أن أضع يدى على كتفه فجأة وأقول بحزم:

- اسمك إيه؟

أجابنى قائلًا وكتفه ترتعش تحت كفى:

- خدامك عبده يا بيه.

أكملت بذات النبرة الحازمة وبطريقة الطرق على الحديد وهو ساخن:

- إنت منين يا عبده؟

- أنا من أسيوط يا بيه.

- وبتشتغل هنا من إمتى؟

- من خمس سنين يا بيه

- والقتيل كان بيشتغل إيه بالظبط؟

أجابنى قائلًا على الفور دون أى مراوغة أو مواربة:

- سى الأستاذ فؤاد تيسيرالله يرحمه كان بينشر.

دهست السيجارة بقدمى وأنا أقول متسائلًا:

- بينشر إيه بالظبط؟

- الأستاذ فؤاد الله يرحمه كان بينشر كتب للشباب، الحاجات الثقافية دى يا سعادة البيه.

عقدت حاجبى وأنا أفكر فى هذه المعلومة الجديدة، من المعروف عن أصحاب دور النشر فى مصر أنهم أشخاص محترمون، لما يصدروه من آداب وأخلاق وثقافات متعددة للمجتمع فى مصر، وفى الغالب ليس لهم أعداء.. فمن الذى سيقتل ناشرًا؟.. ماذا يمكن أن يكون الدافع وراء مثل هذه الجريمة؟..

«عم عبده، دار النشر دى فتحت من إمتى؟ يعنى إنت جيت العمارة لقيتها ولا القتيل جه من بعدك؟»..سألته مجددًا..

ابتلع الرجل ريقه بصعوبة والتقط نفسًا عميقًا قبل أن يجيب على سؤالى قائلًا:

- لا يا بيه هو جه من بعدى، الداردى فاتحه بقالها ٣ سنين بس يا بيه، سمعتها زى الفل، وكان كل يوم والتانى حفلات واجتماعات وهيصة، وكان بيحضر فيها ناس ليهم هيبة زى حضرتك كده تمام، وكان بيبقى معاهم حريم محترمة بنات أكابر، وساعات كان الحريم والبنات بييجوا لوحدهم لما ما بيكونش فى حفلة، ولما كنت أسألهم رايحين على فين؟ كانوا يقولوا رايحين عند الأستاذ فؤاد صاحب دار اليهظ للنشر والتوزيع.

أدرت بصرى فى المكان بحثا عن أى لافتة تشير إلى اسم دار النشر، فوجدت واحدة صغيرة موضوعة على المكتب الكبير تشير إلى نفس الاسم، ابتسمت على الرغم منى حين سمعت عبده البواب وهو يقول:

- أصل الأستاذ فؤاد كان راجل بركة، بتاع ربنا مفيش فرض يسيبه أبدًا، كل كلامه كان حكم ودُرر، أُمال ايه يا بيه ده هو اللى شاهر نُص كُتَّاب مصر.

اتسعت ابتسامتى حين تذكرت رائحة الحشيش وزجاجات الخمر التى تملأ المكان، التفتت للرجل الساذج وسألته وأنا أتجول بين جنبات الشقة:

- كنت فين وقت وقوع الجريمة؟

صمت قليلًا ليستجمع أفكاره قبل أن يقول:

- يا بيه أنا ما أعرفش أصلًا الحكاية دى حصلت إمتى، لكن هحكى لحضرتك عرفتها إزاى، كنت بجيب طلب يا باشا للست شوشو الرقاصة اللى فى الدور التاسع، ولما رجعت وسلمتها الطلبات سمعت صوت كاسيت عالى أوى، من شقة الأستاذ فؤاد، والأستاذ شاهين جار الست شوشو بيتضايق أوى من الصوت العالى، فخرج بيزعق وقال لى شوف حل فى الهباب اللى بيحصل فوق ده، طلعت يا بيه لقيت الباب مفتوح والصوت العالى خارج من جوا الشقة، رنيت الجرس كتير محدش رد عليَّا، فدخلت وقعدت أنادى على الأستاذ فؤاد محدش رد برضو، قام

الفارلعب فى عبى ودخلت للأوضة اللى جوه يا بيه، لقيته سايح فى دمه يا ولداه، جريت على بره وطلبت حضراتكم تشوفوا إيه النصيبة دى.

تفرست ملامحه مليًا، كانت تشى بصدق أقواله.. مططت شفتى فى ضيق حين بادرته بسؤال آخر:

- فى كام شقة فى الدور يا عبده؟

- أربعة يا بيه.

- مين جيران القتيل فى نفس الدور اللى كان ساكن فيه؟

- الأستاذ عبد العزيزومدام هالة والدكتورة تغريد، ودول كلهم مسافرين، يعنى الدور ما فيهوش غير شقة المرحوم هى اللى ساكنة دلوقتى.

قاطعنى الدكتور إبراهيم حين جاء يخبرنى بانتهائه من الفحص المبدأى للجثة ويبلغنى أن التقرير النهائى سيكون بين يدى فور الانتهاء منه.. ودعته بعبارات التشجيع ثم التفتت إلى عبده وتحدثت إليه متابعًا:

- بص يا عم عبده، أنا عايزك تتكلم معايا بكل صراحة وبكل وضوح، كان فى أى خلافات بين فؤاد وأى حد؟ جيران مثلًا؟ كُتاب جايز؟ صحفيين إحتمال؟ أى حد أو أى احتمال هيساعدنا كتير.

أجابنى قائلًا بلا أى مواربة:

- والله يا بيه أنا سمعت إنه كان على خلاف مع كام كاتب من اللى كانوا بيشتغلوا معاه، وقبل ما يتقتل بيومين، جاله تلاتة منهم حوالى الساعة ١٠ بالليل، ودى كانت حاجة غريبة ولامؤاخذة، لأن المرحوم كان مش متعود يستقبل رجاله فى الوقت ده، دايمًا كان ضيوفه حريم ولا مؤاخذة، المهم يابيه على الساعة ١١ كده طلعت أتطمن على الشقق وأتمم عليها زى كل ليلة، ولما وصلت للدور اللى فيه شقة المرحوم سمعت أصوات عالية أوى خارجة من جوا الشقة، زى ما تكون خناقة كبيرة بينه و بين التلات كتاب.

تهللت أساريرى فرحًا وأيقنت أن تعبى لن يذهب سدى فعاجلته بسؤال آخر:

- حلو جدًا الكلام ده يا عم عبده، تعرف مين التلاتة دول؟

- طبعًا يا بيه، دول كانوا على طول بييجوا الشقة قصدى الدار..

قاطعته وأنا أجذبه من جلبابه الصعيدى وأحدق فى عينيه بنظرة قوية أعلم تمامًا مدى تأثيرها على من يتلقاها، قبل أن أقول له بصوت غاضب:

- اتكلم على طول وبلاش لف ودوران، اسمهم إيه؟

بنبرة مرتعشة أجاب:

- الأستاذ كامل محمد، والأستاذ عمر حسين، والأستاذ ونيس فضل.

تركت جلبابه ودفعته بغلظة، ثم أشعلت سيجارتى الثالثة وأنا أبتعد عنه لخطوات بسيطة، قبل أن أنادى على أحمد الذى أتانى على الفور قائلًا:

- أيوه يافندم.

أشرت إلى البواب وألقيت تعليماتى إلى زميلى قائلًا:

- خد من الراجل ده أسماء الناس اللى لسه قايل عليهم وأوصافهم، وأسماء جيران القتيل فى نفس الدور، وهاته معانا علشان نكمل تحقيق معاه فى الإدارة، واستدعى كل أسماء الكتاب اللى هيقول لك عليهم، علشان نحقق معاهم.

ألقيت أوامرى ثم تركت المكان إلى الادارة لاستكمال التحقيق فى هذه القضية الغريبة، لكن ما أثار حنقى وغيظى هو الزحام الشديد والحر الرهيب الذى شعرت معهما بنفس حالة الاختناق التى مرت بى وأنا فى طريقى إلى موقع الجريمة، كان من الواضح أن هذا الصيف سيكون ساخنًا جدًا.

***

شهيرة فكري

طوى رجل فى العقد السادس من العمر إحدى الجرائد الحكومية التى تحمل بين صفحاتها أحد التحقيقات المثيرة حول سلبيات دور النشر فى مصر، والتى كان يطالعها منذ لحظات، وابتسم ابتسامة هادئة وهو يرفع بصره إلى فتاة فى أواخر العشرينات، بيضاء البشرة، لها عينان عسليتان واسعتان، كعيون المها، أنف مستقيم يدل على الشموخ والكبرياء، فم صغير يحمل شفتين كحبات الفراولة، تثيران شهية كل مشتاق، تتفجر الأنوثة من كل منطقة من جسدها الساحر، ينسدل شعرها الأسود الناعم كشلال من الحرير على كتفيها الممتلئتين، كانت ترتدى جيب سوداء ضيقة، تصل بالكاد إلى ركبتها، وبلوزة بلون السماء، اصطفت أزرارها بانتظام على جسدها المتناسق ماعدا الزر العلوى، الذى قرر مخالفة الجميع لينفتح على مصراعيه ليظهر جزء من ضوء الشمس المنبعث من جسد هذا الملاك الذى يمشى على قدمين كباقى البشر، لم تضع أى مساحيق على وجهها مما زاد من جمالها وحسنها فى عيون كل من رآها أو حتى اقترب منها.

- صباح الفل يا أحلى بابا فى الدنيا.

نطقت عبارتها وهى تقبل رأس العجوز الذى ابتسم فى رضا وقال والسعادة تقطر من بين كلماته:-

صباح الفل على عيونك يا حبيبة قلبى.

جلست على فخده وقالت فى مرح:-

فطرت من غيرى يا حاج ولا إيه؟

وهو أنا أقدر برضه، أنا كنت بقرأ المقال بتاعك عن دور النشر، تسلم إيدك بجد، ولسه هقرأ باقى الجورنال لقيتك هليتى على بنورك الصباح.

اختطفت الجريدة بعد سماعها لإطرائه وأخذت تقلب فيها بسرعة وهى تقول:-

هو فين؟ أنا ما شوفتهوش لسه، كويس إنهم لحقوا ينزلوه فى طبعة النهاردة، و.....

بترت عبارتها وتغيرت ملامحها ١٨٠ درجة، فتجهم وجهها واتسعت عيناها فى دهشة، وأخذت كفها اليمنى بالارتجاف على نحو ملحوظ، مما دعا والدها إلى أن يمسك بها ويضمها إلى صدره وهو يقول بجزع:-

مالك يا بنتى؟ مالك يا شهيرة؟ فى إيه؟

لم تُجِبه على الفور، بل أخذ جسدها يرتجف لدقيقة كاملة، قبل أن تشير إلى خبر فى صفحة الحوادث المقابلة للصفحة التى نشر بها تحقيقها الصحفى، فالتقط والدها الجريدة على الفور، وقرأ الخبر قبل أن تتسع عيناه بدوره، وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة ويقول بصوت متحشرج:-

مش ده الأستاذ فؤاد صديقك، صاحب دار النشر.

أومأت برأسها وهى تدفن وجهها فى صدر والدها القوى، ونحيبها يغطى على الموقف بأكمله، مما دعا الرجل إلى أن يبعدها عن صدره برفق وهو يقول متوترًا:-

إهدى، إهدى بس، الله يرحمه ده كان إنسان محترم، وكل الناس كانت عارفاه وعارفه أخلاقه العالية، مين بس اللى يفكر يقتل راجل زى ده؟

مسحت دموعها بكفها اليمنى قبل أن تلتقط منديلًا صغيرًا من أمام والدها وتجفف دموعها ووجهها بأكمله، وقامت من مكانها وهى تقول:-

معلش يا بابا، هسيبك تفطر لوحدك، علشان لازم أروح الجورنال دلوقتى وأعرف الحكاية دى حصلت إزاى.

قرنت عبارتها بالفعل، فقامت من مكانها وطبعت قبلتين سريعتين على وجنتى والدها، ثم انطلقت على الفور لتركب سيارتها، وتديرها وهى تطلق العنان لمحركاتها، فى نفس اللحظة التى أطلقت العنان لأفكارها، ولأسئلتها، لقد كانت مع دكتور فؤاد أمس، وكان فى أفضل حال، فما الذى حدث ومن الذى اقتلع روحه من صدره، ومع الأسف لم تجد أى إجابة لأسئلتها فى هذه اللحظة، ولا التى بعدها.

ضغطت على مكابح سيارتها فى اللحظة الأخيرة قبل أن تصطدم بشاب نحيل له شعر كثيف يعقصه خلف رأسه، وقف أمام سيارتها وكأنه نبت فجأة من الأرض، غمغمت شهيرة:-

- مدحت.

تحرك الشاب من مكانه وفتح باب السيارة بدون استئذان وركب بجوارها وهو ينظر إليها غاضبًا ويقول:-

على فين يا حلوة، طبعًا رايحه على شغلك ولا كأن فى حاجة حصلت، الراجل اللى خيره علينا كلنا مات، أو بمعنى أصح إتقتل، وحضرتك كاتبة مقال فى الجريدة بتشهرى بدور النشر، وطبعا دار الهظ على رأس القائمة، ولا عاملة حساب لعشرة ولا لعيش وملح أكلناه مع بعض، حرام عليكى، إتقى الله.

أدارت سمية رأسها للناحية الأخرى لتتفادى النظر إليه وهى تقول بعصبية:-

الكلام اللى كتبته ما قصدتش بيه حد معين، الكلام كان للعام، وعلى رأى المثل، اللى على راسه بطحة بيحسس عليها، ثم إنى إتفاجئت بخبر موت فؤاد لما قرأته فى الجورنال دلوقتى، زى كل الناس.

أمسكها مدحت فجأة من ذراعها بقوة آلمتها وهو ينظر فى عينيها ويقول بغضب دفين:-

عارفه لو طلع ليكى يد فى قتله، أنا هعمل فيكى ايه؟

هخليكى تحصليه، سمعانى، وأظن إنتى عارفانى كويس، لما بقول كلمة ما برجعش فيها.

أبعدت ذراعها عنه بقوة وهى تنظر إليه شذرًا دون أن تتكلم، فتح باب السيارة ونزل منها ثم مالبث أن اختفى تمامًا فى الزحام، فالتقتط أنفاسها ثم أدارت سيارتها مرة أخرى وانطلقت إلى عملها وعقلها يعيد عليها السؤال الذى حدثتها بها نفسها منذ قليل، من قتل دكتور فؤاد؟

****

انخرطت سيدة فى أواخر العقد الثانى من العمر فى بكاء مرير وهى تحتضن طفلًا صغيرًا لا يتجاوز سنه الرابعة من عمره، انكمش الصغير فى صدر أمه بخوف مبهم، وهو يتطلع إلى عينيها اللتان لم يتوقف منهما سيل الدموع ليل نهار، كانت السيدة ترتدى فستانًا أسود اللون وتغطى رأسها بحجاب طويل من نفس اللون، ربتت شهيرة على كتفها وقالت مواسية:-

وحدى الله يا مديحة، ربنا يرحمه ويغفر له.

أبعدت مديحة يدها بعنف وقالت بلهجة حادة من بين دموعها:-

هو كان بيعمل فى حياته غير كل خير، ده ما كانش بيفوت فرض، وكان بيراعى أكل عيشه، وعمره ما دخل بيتنا لقمة حرام، يبقى يتعمل فيه كده ليه؟ دى مكيدة، الناس مش عايزاه ينجح، علشان قدر يتخطاهم ويكون من أحسن أصحاب دور النشر فى مصر، واسمه مسمع فى كل حته، ليه؟ ليه؟

قالت كلمتها الأخيرة ثم عاودتها نوبة البكاء مرة أخرى، فاحتضنتها شهيرة واغرورقت عيناها بدورها بالبكاء وهى تنظر إلى سمير الصغير بإشفاق، وفى عقلها دوى نفس السؤال وبقوة:-

من الذى قتل فؤاد؟ من؟

قطع سؤالها رنين هاتف مديحة المحمول، الذى التقطته بصعوبة من جيبها وهى تبتعد برفق عن صديقتها وتلقى نظرة على رقم المتصل لتجده والدها، فاجابته على الفور قائلة:-

أيوه يا بابا، أنا كويسة الحمد لله.

صمتت قليلًا وهى تستمع إليه، قبل أن تقول بلهجة حادة ممتزجة بحزن دفين:-

أنا مش هقدر أتكلم مع أى حد دلوقتى، أرجوك يا بابا.

صمتت مرة أخرى لثوانٍ قليلة قبل أن تقول:-

حاضر، خلى بالك من نفسك، مع السلامة.

انتهت عبارتها وهى تغلق الهاتف وتضعه فى جيبها مرة أخرى وهى تمسح دموعها وتلتفت إلى صديقتها وتقول:-

بابا بيقول لى إن ضابط المباحث عايز ياخد أقوالى بخصوص الجريمة، هى الناس دى إيه؟

ما بتقدرش اللى الواحد فيه.

- ده شغله ولازم يعمله علشان يوصل للجانى الحقيقى، معلش استحملى شوية وروحى شوفيه عايز يقولك إيه.

قالت شهيرة عبارتها ولم تنتظر إجابة، فقامت على الفور من مقعدها وهى تقول:-

أسيبك بقى دلوقتى، وهاجى لك بكرة علشان أتطمن عليكى، بالحق هى والدة المرحوم فين؟ عايزه أعزيها.

قادتها مديحة إلى حجرة جانبية امتلأت عن آخرها بالنساء، من مختلف الأعمار، تتوسطهم امرأة عجوز، قاربت الستين من عمرها، تنم ملامحها عن حزن عميق، تترقرق فى عينيها الدموع دون أن تنساب على وجنتيها لتدل على قوة شخصية هذه المرأة ويقينها فى المولى عزوجل، اقتربت منها شهيرة لتتابعها أعين النساء فى حسد واضح على هذا القوام المتناسق الذى تتمتع به هذه الفتاة، بينما مصمصت بعض النساء شفاههن وهن ينظرن إلى البلوزة مفتوحة الصدر التى ترتديها شهيرة، والتى تظهر نصف صدرها تقريبًا، وعلى الجيب القصيرة التى ترتديها والتى تظهر استدارة الساقين وجمالهما، انحنت شهيرة على السيدة العجوز وقالت بصوت خفيض:-

البقية فى حياتك يا طنط، شدى حيلك.

رفعت العجوز عينها إلى الفتاة وقالت بعد عدة ثوانٍ وبلهجة حازمة:-

فؤاد ما ماتش يا بنتى، لسه عايش، ومحدش يعزينى فيه.

تركت شهيرة كفها وهى تبتعد بخوف، فالتفتت إلى مديحة التى أشارت لها بالخروج، فتحركت على الفور إلى باب الشقة وهى تنظر إلى صديقتها فى تساؤل، فقالت مديحة على الفور بلهجة اعتذار:-

أنا آسفة معلش، حماتى حالتها صعبة أوى، مش مصدقة لغاية دلوقتى إنه مات، ربنا يصبر قلبها ويصبرنى أنا كمان.

قبلتها مديحة وهى تقول:-

هعدى عليكى تانى، سلام.

قالت عبارتها وهى تخرج من هذا الجو الكئيب، وتنطلق إلى عملها، وقد فقدت جرعة الحماس التى كانت تجرى فى عروقها صباحًا.

***

obeikan.com

عبده البواب

- إنتى إحلويتى وإتدورتى يا بت يا سمر، خراط البنات خرطك صح.
- ربنا يخليك يا دكتور ويبارك فيك.
- طب يلا خشى نضفى الأوضة اللى جوه علشان عندنا حفلة فى الدار النهاردة.
- من عينى حاضر.
- بقولك إيه، انتى حبيتى قبل كده يا بت؟
- لأ يا بيه الحاجات دى عيب عندنا فى البلد، ده كان أبويا يقطعنى.
- ليه؟ دا أحلى حاجة فى الدنيا الحب، يعنى عايزه تقولى لى إن قلبك ما دقش قبل كده؟

ابتسمت سمر واحمرت وجنتاها خجلًا ولم تنطق، بل ذهبت إلى الغرفة الداخلية كى تقوم بتنظيفها، فلحق بها فؤاد وبينما هى تنحنى لتنظف أحد المقاعد إذا به يحيط وسطها بذراعيه من الخلف ويقبلها من رقبتها، مما جعلها تتملص منه بميوعة وهى تقول بصوت خفيض ممحون:-

لأ يا دكتور، أحسن حد يشوفنا.

أعادها إليه مرة أخرى وهو يقول:-

ما تخافيش يا بت، الدنيا أمان، أمك فى البلد، وأبوكى بعتّه مشوار مش هيجى منه قبل ساعتين.

- سمر.

انتفضت بين ذراعيه قبل أن تدفعه بعيدًا وهى تلتفت إلى مصدر الصوت لتجد أبيها أمامها مباشرة، شاءت الأقدار أن يحضر فى هذه اللحظة فقالت وهى ترتجف كقط مبلول فى ليلة ممطرة:-

أبويا.

نظر إليها أبيها شذرًا فانطلقت مغادرة المكان فى حين قال فؤاد وهو يهندم ثيابه:-

جِبت اللى قلت لك عليه يا عبده؟

أجابه عبده وهو يجز على أسنانه غضبًا:-

أيوه يا بيه.

ابتسم فؤاد ابتسامة مرتبكة ثم قال:-

كويس، متشكر جدًا يا عبده.

شكر البواب وهو يضع يده فى جيبه ويخرج ورقة بخمسة جنيهات

ثم يعطيها إليه، وهو يقول:-

خد دول يا عبده.

رد الرجل يده بقوة وهو يقول:-

شكرا يا دكتور، ده شغلى، بس أنا عايز أقول لك حاجة.

ابتسم فؤاد وهو يقول:-

إتفضل يا عبده.

صمت الصعيدى قليلًا وهو يزم شفتيه غاضبًا ثم قال:-

إحنا صعايدة يا بيه، لحمنا غالى، واللى يقرب عشان ياكله، هيلاقيه مُرّعلقم، ولو كله هيلاقيه ركب وهيشرخ فى الزور.

عقد سعيد حاجبيه وهو يقول بخبث:-

إنت بتقول لى الكلام ده ليه يا عبده.

قال عبده وهو يتطلع إليه من رأسه حتى إخمص قدميه بتافف:-

ولا حاجة يا باشا، بس حبيت أعرفك إحنا مين، وأحب أقول لك كمان إن مش علشان الواحد بيشتغل شغلانة بسيطة يبقى ضعيف، سلام يا باشا.

****

انطلقت ضحكة رقيعة من فم سمروهى تقف مع فؤاد فى بئر سلم العمارة، كانت الكهرباء قد انقطعت عن المنطقة بأسرها أثناء دخول فؤاد من باب العقار، فلمح بطرف عينه سمروهى تنزل من على السلم، فجذبها من ذراعها فى نفس اللحظة التى انقطع فيها التيار عن العمارة، فهمت بإطلاق صرخة فزعة، منعها الدكتور بأن وضع كفه على فمها وهو يهمس فى أذنها قائلًا:-

أنا فؤاد، إهدى يا بت.

قال عبارته ثم ابعد كفه عن شفتيها الرقيقتين قبل أن يلثمهما بقبلة سريعة، فشهقت ثم أغمضت عينيها وسبحت فى بحر من الأحلام الوردية، فمال على أذنها وهمس بأحد النكات الإباحية ففتحت عينيها ثم أطلقت ضحكتها الماجنة، فى نفس اللحظة التى عاد فيها التيار الكهربى مرة أخرى إلى المنطقة، ليبدد الظلام الدامس ويحيله فى لحظات إلى نهار صحو، ولكن هذا النهار تعكر عندما وجدت أمامها والدها وهو يتأملها فى صمت، فاتسعت عينيها عن آخرهما من شدة الفزع، ولطمت خدها فى نفس اللحظة التى أشار فيها والدها بإصبعه إليها فانطلقت تغادر المكان وهى تنعى حظها العثر الذى أتى بوالدها فى هذه اللحظة، أما فؤاد فقد ابتسم ابتسامة متوترة وهو يقول:-

أنا كنت طالع والنور قطع فبنتك خافت وكنت بحاول أهديها و..

قاطعه والدها قائلًا وهو ينظر بغضب عارم في عينيه:-

خلى بالك يا بيه، العرض عندنا زى الدم بالظبط، بيكون فيه تار، ولازم ناخد تارنا بإيدينا، وأنا حذرتك قبل كده. عقد فؤاد حاجبيه قائلًا باستنكار:-

تار إيه، وكلام فاضى إيه؟ متحاسب على كلامك يا عبده واعرف إنت بتكلم مين.

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى العجوز ثم قال:-

لا أنا عارف أنا بقول ايه كويس، وعارف كمان أنا بكلم مين، وعندنا يا بيه الراجل ما بيقولش كلمة غير لما بيبقى قدها، سلام يا دكتور.

قال كلماته الحازمة ثم ترك فؤاد واقفًا مكانه، والخوف يثبت أقدامه فى قلبه مع هذا التهديد الصريح من هذا الرجل الذى كان من الواضح أنه لن يترك ثأره أبدًا، إذا ما دعت الأمور إلى ذلك.

- إتفضل ادخل.

انتفض عبده فى مكانه وظل يحدق فى وجه العسكرى الواقف على باب حجرة المقدم أشرف

وكأنه يراه لأول مرة،، والذى قطع ذكرياته كسكين حاد مر بقالب من الزبد، ولكنه تمالك نفسه ودخل سريعًا إلى الحجرة وهو يرفع كفه بالتحية لسيادة المقدم الذى رد تحيته بصرامة ثم أشار إليه بالجلوس وهو يقول على الفور:-

إيه اللى تعرفه عن القتيل يا عبده؟

مال الرجل على المكتب وهو يقول:-

ما أنا قلت لجنابك قبل كده يا باشا، إنه كان إبن حلال وكان.. قاطعه أشرف قائلًا:-

أنا عارف الكلام ده كويس، لكن أنا بسأل عن علاقاته واهتماماته، أصحابه، قرايبه، إيه اللى تعرفه عنهم؟

أجابه العجوز على الفور قائلًا:-

كلهم ولاد حلال يا بيه، ما يتخيروش عن حضرتك. نفث أشرف غضبه من أسلوب الرجل الملتوى، مع دخان سيجارته التى أشعلها مع دخول البواب إلى الحجرة، فاعتدل فى مقعده ثم نظر إلى دخان سيجارته وقال بهدوء يسبق عاصفة قوية:-

إسمع يا عبده، أنا أحب لما أسأل حد سؤال يجاوبني على طول، من غير لف ولا دوران، يا أبيض يا إسود

اللون الرمادى ما بحبهوش، إخلص وقول لى إيه اللى تعرفه علشان أنا لسه ورايا شغل كتير.

تلعثم الرجل وأنفاسه تتردد سريعًا فى صدره ثم قال:-

والله يا بيه هو ده اللى أعرفه، أصل أنا مليش أى كلام مع حد، أنا بشوف شغلى وبس.

التقط أشرف نفسًا عميقًا وهو يحدج عبده بنظرة صارمة قبل أن يقول:-

ماشى يا عبده، إتفضل دلوقتى، ولو إحتجت لك هبعت لك، ما تسافرش ولا تروح فى أى حته، طول

ما التحقيقات شغالة، فاهم؟

أومأ العجوز برأسه موافقًا لكلام أشرف، ثم هم بمغادرة الحجرة فناداه أشرف قائلًا:-

الضابط أحمد أخد منك أسماء الكتاب والكاتبات اللى فى الدار؟

أجابه عبده:-

أيوه يا باشا كله تمام.

أشار إليه أشرف بالانصراف بتأفف، فأسرع بمغادرة المكان على الفور، وبينما هو يغادر المديرية

بأسرها ابتسم ابتسامة ساخرة وفى قرارة نفسه انطلقت زفرة ارتياح اشتاق لها طويلًا، لقد تحقق

له ما أراد، ولم يعد هناك ما يسمى بالدكتور فؤاد على وجه الأرض.

***

شوشو شاهين

إسمك وسنك؟

ألقى أشرف صابر بسؤاله بصرامة واضحة على سيدة فى العقد الثالث من العمر، لها وجه مستدير، يحمل أنف مستقيم وعينان خضراوتان ساحرتان، وفم صغير بوابته شفتين ممتلئتين شهيتين، يزين رأسها شلال من الشعر الأصفر الناعم، أما القوام فحدث ولا حرج، ترتدى فستان ضيق قصير للغاية، يكشف نصف فخذها، تنهدت بعمق ثم قالت:-

شوشو يا بيه، ٣٢ سنة.

نظر إليها أشرف وعيناه تلتهمان صدرها العامر، ثم قال وعلى شفتيه ابتسامة خبيثة:-

إسمك اللى فى البطاقة، مش إسم الشهرة.

- شوقية عبد الحميد.

أجابته وهى ترفع حاجبها الأيسر، وتبادله الابتسامة قبل أن تميل بصدرها على المكتب وتقول بدلع:-

تحت أمرك يا باشا.

تراجع فى مقعده وهو يختلس النظر إلى صدرها الممتلئ، ثم قال بلهجة عملية:-

إيه معلوماتك عن الحادث؟

تراجعت بدورها وهى تشعر بالهزيمة من تراجع ضابط المباحث أمام أسلحتها الفتاكة، ثم قالت:-

ولا حاجة يا باشا، سمعت صوت دوشة خارجة من شقة المرحوم الدكتور فؤاد خرجت أشوف فى إيه لقيت البواب جايب الحاجات اللى طلبتها منه وجاى لى، وقبل ما أقول له يشوف إيه اللى بيحصل، لقيت المدعوق شاهين جارى خارج يزعق وعامل له غاغة، رجعت على الشقة وبعد شوية لقيت دوشة كبيرة فى العمارة والناس بتقول إن الدكتور فؤاد إتقتل.

زم أشرف شفتيه وقال:-

هو فؤاد كان دكتور؟

أجابته بلهفة قائلة:-

أيوه يا بيه، ده كان دايمًا يقول إنه دكتور فى الأدب والحاجات الثقافية دى.

ألقى عليها بسؤال آخر وهو يتأمل ملامحها قائلًا:-

ما روحتيش الشغل ليه فى اليوم ده يا شوقية؟

ابتسمت مرة أخرى وهى تلاعب حاجبيها قائلة:-

دى أجازة إجبارية، باخدها خمس ست أيام كل شهر.

عاود سؤالها مرة أخرى بجدية:-

تعرفى إيه عن الدكتور فؤاد يا شوقية؟

أجابته على الفور قائلة:-

كان راجل جدع، وكله ذوق وحنيه، ولسانه بينقط شهد، كان فى الطالعة والنازلة يسلم عليا، لأ وإيه كان إبن حظ كمان يا باشا.

عقد حاجبيه ثم قال:-

يعنى إيه إبن حظ؟

يعنى كان كل حين ومين، كنت بسمعه بيدندن بأغانى شعبية من بتاعتنا، فى الحمام يا باشا.

ابتسم أشرف على الرغم منه ثم قال:-

يعنى أفهم من كده إن علاقتك بالقتيل كانت علاقة سطحية.

تكلمت بهدوء مباغت قائلة:-

والله يا بيه مش سطحية أوى، فى مرة من المرات كلمنى على السلم، يومها النور كان قاطع وقابلنى على السلم وقال لى وقتها إنه نفسه ينشر لى كتاب أحكى فيه قصة حياتى، طرت من الفرحة أول ما قال لى كده واتفقنا على إنى أبقى أجى له فى المكتب وأمليه وهو يكتب، حاكم أنا لا بعرف أقرا ولا اكتب، وقال لى أول ما الكتاب يخلص أحضر عشر تلاف جنية تكلفة الكتاب، روحت له مرتين بالليل، بعد ميعاد قفل الدار، وبدأت أحكى له وهو يكتب والدنيا كانت زى الفل، بعد القعدة الأولى قال لى هاتى معاكى الفلوس المرة الجاية و.....

قاطعها أشرف قائلًا:-

وجِبتى له الفلوس؟

أجابته قائلة:-

طبعًا يا بيه جبتهم له فى المرة اللى بعدها، لكن عزرائيل إتدخل وخده قبل ما الرواية تكمل.

ابتسم لتعليقها ثم قال:-

طب إتفضلى يا شوقية، ممكن أستدعيكى تانى لو احتجت لك، بس الأول هتنزلى مع الأمين صبرى علشان تقولى كلامك ده فى محضر رسمى.

قامت من مكانها بدلال وهى تقول:-

تحت أمرك يا باشا فى أى وقت.

قالتها وهى تستدير ببطء مغادرة مكتب ضابط المباحث الذى تعلقت عيناه بأردافها المستديرة قبل أن يتنهد ويحدث نفسه قائلًا:-

الله يرحمك يا دكتور فؤاد.

****

إيه الأخبار يا أحمد، فى جديد؟

نطق أشرف بهذه العبارة وهو يتطلع إلى زميله النقيب أحمد حسين الذى دلف إلى الحجرة، فهز أحمد رأسه نفيًا وهو يقول:-

مع الأسف يافندم مفيش جديد، لكن إحنا استدعينا جار القتيل علشان التحقيق وهو فى طريقه لهنا دلوقتى.

تراجع أشرف فى مقعده وقال:-

الأستاذ شاهين.

وقبل أن يجيبه زميله، ارتفع صوت طرقات قوية على الباب، أعقبها دخول أحد العساكر وهو يقول باحترام:-

فى واحد عايز حضرتك اسمه الأستاذ شاهين يافندم.

- خليه يدخل على طول.

ألقى أشرف أوامره للعسكرى ثم اختلس النظر إلى أحمد الذى تعلقت عيناه بالباب الخشبى الكبير، الذى فتح على الفور ودخل منه رجل وقور فى العقد الخامس من العمر، أصلع الرأس تمامًا يرتدى حلة كاملة على الرغم من ارتفاع درجات الحرارة فى هذه الآونة من العام، ابتسم ابتسامة باهته حاول بها إخفاء توتره وهو يقول:-

صباح الخير يا افندم.

رد أشرف تحيته قائلًا:-

صباح النور يا أستاذ شاهين، إتفضل.

جلس الرجل على المقعد المواجه لمكتب الضابط وهو يفرك يديه ويختلس النظرات إلى النقيب أحمد الذى جلس أمامه مباشرة، تعمد أشرف الصمت لثوانٍ ليزيد من تأثيره على شاهين، وعندما وجد أن الرجل لم يعد يحتمل بادره قائلًا:-

أستاذ شاهين، إيه معلوماتك عن الحادث؟ وإيه اللى تعرفه عن الدكتور فؤاد؟

ابتلع الرجل ريقه بصعوبة قبل أن يقول مندفعا وكأنه يلقى عن كتفيه بحمل ثقيل:-

دكتور فؤاد كان راجل محترم وكل الناس بتحبه، لكن كان ليه شطحات كده غريبة شوية، ويوم الحادثة سمعت صوت دوشه كبيرة أوى وصوت كاسيت عالى جدًا خارج من شقة المرحوم، ناديت على عبده البواب، وقلت له يروح يشوف فى إيه وبصراحة انفعلت جدًا لإنى ما بحبش الصوت العالى، لقيته بيكلم الست شوقية الرقاصة اللى كانت سبب اللعنة اللى نزلت على العمارة من يوم ما جت سكنت فيها، طلع عبده ونزل بسرعة، وشه مخطوف وبيرتعش وقعد على السلم وهو بيقول إن فؤاد إتقتل.

شعر أشرف بخيبة أمل فى كلام شاهين، والذى كان يأمل أن يجد فيه ثغرة يستطيع من خلالها حل لغز القتيل، حيث أنه جاء مطابقًا لنفس كلام شوقية، ولكنه عقد حاجبيه فجأة وقال:-

يعنى إيه كان له شطحات غريبة؟

ابتسم شاهين بخجل وقال:-

يعنى كنت فجأة بسمعه بيغنى فى الحمام.

لوح أحمد بكفه بعدم اهتمام وقال:-

طب وفيها ايه، أنا ساعات بغنى فى الحمام وانا بستحمى، عادى يعنى.

قال شاهين على الفور:-

لا يافندم مش عادى، الشقة بتاعتى شباك المطبخ بتاعى بيطل على شباك حمام المرحوم، فكنت أغلب الوقت بسمعه وهو فى الحمام سواء كان بيستحمى أو فى الحمام بيقضى حاجته، كان بيغنى أغانى كلها دلع وخلاعة زى مثلا (.....) والحمد لله إنى عايش لوحدى وإلا كانت بقت مصيبة، وفى أوقات تانية كنت بسمع كلامه لما بيبقى فى حفلة عنده فى الدار، كلام متزن وراسى، بس كان دايمًا يحب يشكر فى نفسه أوى.

ردد أشرف كلام شاهين وهو يتبادل النظرات مع أحمد، وفجأة أطلق ضحكة عالية ساخرة استمرت لنصف دقيقة كاملة حتى أن عينه دمعت بشدة قبل أن يتناول منديلا من علبة المناديل الموضوعة على مكتبه، ويمسح به عينيه ثم يقول وهو يغالب ضحكاته:-

إنت بتشتغل إيه يا أستاذ شاهين؟

ابتسم الرجل على الرغم منه وقال:-

مدير حسابات شركة الأمل للاستيراد والتصدير.

استند أحمد بمرفقيه على المكتب وقال وهو ينظر فى عينى شاهين مباشرة:-

متشكرين جدًا يا أستاذ شاهين، هتنزل مع النقيب أحمد لغاية تحت علشان تقول كلامك ده كله فى محضر رسمى، ولو افتكرت أى حاجة تانى يا ريت تقولها لنا، إتفضل.

لم يعد هناك ما يقال بعد كلمات أشرف الحاسمة، فقام شاهين من مكانه ثم ألقى السلام على الحضور، وغادر الحجرة يتبعه أحمد الذى ناداه رئيسه قائلًا:-

خلص مع الأستاذ شاهين وتعالى لى تانى يا أحمد.

مرت نصف ساعة على رحيل الرجل، ورجع أحمد مرة أخرى إلى الحجرة فبادره أشرف قائلًا:-

ايه رأيك فى كلام الراجل ده.

أجابه أحمد على الفور:-

صادق وما بيكدبش.

عقد أشرف حاجبيه وقال:-

فعلًا عندك حق، بس ده برضه ما يخرجهوش من دايرة الشبهات.

جلس أحمد على المقعد المقابل لأشرف وقال:-

ايه اللى بيدور فى دماغك بالظبط؟

نظر إليه أشرف لثوانٍ قليلة ثم قال:-

اللى بيدور فى دماغى إن كل الناس اللى كانوا قريبين من القتيل محل شبهه حتى مراته نفسها.

ابتسم أحمد بسخرية وقال:-

افهم من كده إنك هتستجوب كل اللى يعرفوه؟

بادله أشرف الابتسامة وقال بهدوء:-

طبعًا، ولو حكمت هستجوب الحى بتاعه كله، بص يا أحمد القضية دى فيها نقطة غامضة، ولازم هوصل لها، الأول هات لى أسماء الكتاب والكاتبات اللى قالهم لك عبده البواب، وبعد كده مهمتك تجيبهم لى يا بطل علشان نحقق معاهم واحد واحد كده ونعرف حكايتهم ايه، وأولهم طبعًا الثلاثة اللى قال عليهم عبده إنهم اتخانقوا مع القتيل قبل الوفاة، صدقنى يا أحمد كلمة سر القضية دى كلها مع الثلاثة دول، يلا ربنا معاك.

- حاضر يافندم.

قال أحمد عبارته وهو يغادر مكتب رئيسه لتنفيذ أوامره، بينما ضغط أشرف على زر الاستدعاء الموضوع على مكتبه، فاستجاب له العسكرى الرابض على باب المكتب، فتح الباب على الفور وهو يؤدى التحية العسكرية باحترام قائلًا:-

تحت أمرك يافندم.

-هات لى قهوة سادة يا ابنى.

-تحت أمرك يافندم.

ذهب العسكرى لإحضار القهوة، بينما استرجع أشرف حديث شاهين حتى وصل إلى الاغانى التى كان يرددها فؤاد فوجد نفسه يردد كلماتها، ثم وجد نفسه يضحك على الرغم منه وهو يقول:-

دا إنت طلعت حكاية يا دكتور فؤاد.

ثم عاود ضحكاته مرة أخرى، وبملء فيه.

***

شهيرة فكرى

- مش هنتجوز بقى، زى ما اتفقنا؟
- أكيد طبعًا يا حبيبتى.
- الداروبقت زى الفل، وإسمك بقى زى الطبل
فى كل حته، وكل يوم والتانى بتمضى عقد واتنين
وكل المكتبات بقت عارفاك وبتطلب شغلك بالإسم.
- خمسة وخميسة، إحنا هنقرولا إيه؟
- أنا هحسدك برضو يا حبيبى، دا أنا نفسى أشوفك أحسن واحد فى الدنيا.
- أنا عارف يا حبيبتى، بس إنتى عارفة إنى لازم أظبط الدنيا شوية مع مراتى علشان ما تحسش بحاجة.
- عارفه، وصابره لغاية ما نشوف آخرتها إيه.
- آخرتها فل إن شاء الله، إنتى بس ظبطى لنا الخبربتاع الحفلة دى واعملى له تغطية كويسة، وأشوفه فى جورنال بكرة، والدنيا هتبقى قشطة.
- كل ده علشان خاطر البنت المفعوصة، اللى فاكرة نفسها بتعرف تكتب، وهى بومة.
- بومة !! لأ مالكيش حق، دى هيكون ليها مستقبل رائع فى عالم الأدب، وقلة الأدب.
- إحترم نفسك، إنت بتعاكسها قدامى كمان.

obeikan.com

- لاعشت ولا كنت، دى تيجى فيكى إيه يا مزة السنين.

- ماشى يا فؤاد، بس خلى بالك، لو غدرت بيا هدمرك.

- ما أقدرش على كده ومقام السيدة.

- أنا حذرتك، وقد أعذر من أنذر.

مر هذا الحوار بعقل شهيرة كالبرق وهى فى طريقها إلى المديرية، لأخذ أقوالها فى الحادثة

بعد أن استدعاها المقدم أشرف لسماع معلوماتها عن الحادث، دار هذا الحديث بينها وبين فؤاد فى مقر الدار، يومها قامت بعمل تغطية شاملة للحفل على أكمل وجه ويومها أيضًا لم تفارق عينها وجه حبيبها الذى انهمك فى إدارة اللقاء بحنكة ومهارة أظهر فيها مهارته اللغوية واستعرض فيها قدرته على السرد، وتعمده إظهار مجهوده الجبار فى إخراج هذا العمل إلى النور، و....

- إتفضلى.

قطع صوت عسكرى الخدمة الواقف أمام حجرة مكتب المقدم أشرف حبل ذكرياتها، فابتلعت ريقها ثم دلفت من الباب الكبير وقلبها يرتجف وكأنها تعبر بابًا من أبواب الجحيم .

- إيه معلوماتك عن الحادث؟ وإيه علاقتك بالقتيل؟

ألقى أشرف بسؤاله المعتاد على شهيرة وهو يتأمل كل سنتيمتر فى وجهها، كانت خائفة مضطربة، تلهث أنفاسها، كمن باتت تعدو فى قلب صحراء قاحلة طوال عمرها، ولكنها على الرغم من ذلك تماسكت

وسيطرت على أعصابها بقوة تحسد عليها، فالتقطت نفسا عميقا، ثم قالت:-

كنت عنده فى الدار من حوالى أسبوع علشان كان لازم أعمل تحقيق صحفى عن حفل توقيع كتاب جديد، لكاتبة من الكاتبات الجدد، كان يوم جميل وتم على خير، والكل كان مبسوط، بعد كده قابلته مرة

تانية فى الدار من حوالى تلت أيام علشان آخد رأيه فى الخبر، وبعد كده فوجئت بخبروفاته زى كل الناس.

- كانت إيه علاقتك بالقتيل؟

- علاقة ود واحترام من حوالى سنتين ونص، فى ندوة من الندوات الثقافية اللى كنت بعمل لها تغطية إعلامية، ولقيته بيتكلم بثقة وجراءة، ما كانش بيهمه حد، وقدريحوز إعجاب الناس كلها فى آخر الندوة، بعد كده اتعرفنا على بعض، وفضلنا على اتصال ببعض لغاية ما اتقتل الله يرحمه، كان أخ وزميل وصديق و..

- وحبيب.

- إيه، حبيب؟

- أيوه حبيب، إنتى كنتى بتحبى فؤاد، صح؟

- حضرتك جِبت الكلام ده منين؟

- من دماغى، ومن خبرة أكترمن عشرسنين فى المباحث، وفى التعامل مع كل أنواع الستات، اللى بتحب واللى مشيها شمال، واللى بتتمايص، وغيرها وغيرها من كل شكل ولون، وإنتى يا أستاذة شهيرة

من النوع الأول، النوع اللى بيحب، ولوركزنا شوية فى كلامك ممكن نقول إن المرحوم وعدك بالجوازقبل ما يتقتل، كلامى صح ولا غلط؟

ابتلعت ريقها الذى أصبح كالحجرالصوان من كلام الضابط المباشروالذى لم تستطع أن تراوغه فقالت على الفور:-

- صح يافندم، بس ده كان هيبقى فى السرلفترة محدودة علشان مراته ما تعرفش، لغاية ما يجيب لها الموضوع بالتدريج.

- كنتى فين وقت وقوع الحادث؟ يعنى من الساعة ٩ ونص لغاية الساعة ١٠ ونص؟

- كنت فى البيت، اتعشيت مع والدى، وبعد كده نمت على طول علشان كان

عندى شغل بدرى فى الجورنال.

- طب اتفضلى دلوقتى يا أستاذة، ولو فى أى حاجة افتكرتيها ممكن تفيد القضية، ياريت تتصلى بى، وانتى خارجة خدى نمرتى من النقيب أحمد بعد ماتقولى له كل اللى قلتيهولى دلوقتى فى محضر رسمى.

غادرت مكتب أشرف ومنه إلى أحمد ثم إلى سيارتها، كان سؤال أشرف لها مباغتا لأقصى درجة، لقد كشف سرها من أول وهلة، سرها الذى أخفته حتى عن والدها أقرب الناس إليها، وبئر أسرارها، ولكنها بهذا لم تكن تدرى بأنها قد فتحت على نفسها أبواب جهنم على مصراعيها.

****

- شهيرة من أوائل المشتبه فيهم يا أحمد.

هز أحمد رأسه وهو يجلس على مقعد قريب من أشرف الذى أكمل كلامه قائلًا:-

صدقنى، الحب مش كله أحاسيس وسهوكة، والست لو حست إن الراجل بيلعب بيها، هتلاعبه هى، بس بطريقتها.

قال عبارته وهو يمرر سبابته على عنقه بإشارة تدل على القتل، فابتسم أحمد وقال وهو يخرج ورقة مطوية من جيبه ويعطيها لأشرف وهو يقول:-

ده التقرير اللى حضرتك طلبته عن حياة القتيل، الظاهر والباطن كمان، كله مفاجآت.

التقط أشرف الورقة بلهفة وقال:-

وقاعد ساكت من الصبح.

جرت عيناه على الأسطر العديدة الموجودة بالورقة، حتى توقف عند جزئية معينة، فاتسعت عيناه عن آخرهما، وهو ينظر إلى زميله ويقول:-

إنت متأكد من الكلام ده يا أحمد؟

ابتسم أحمد بسخرية وقال:-

عيب يا باشا دا إحنا تلاميذك.

أطلق أشرف ضحكة عالية ساخرة، قبل أن يقول:-

دبلوم صنايع، يعنى لا هو دكتور ولا حاجة، وقدريضحك على الناس دى كلها ويسيطرعليهم، طول السنتين اللى فاتوا، طب جاب لقب دكتور ده منين؟

ثم بدأ فى قراءة التقرير من جديد ومع كل نقطة يقرأها كانت تظهرله حقائق جديدة عن شخصية القرن، وكل قرن.

***

obeikan.com

مديحة

- يا نهار أبيض، كل دى فلوس، الله ده موضوع النشر ده طلع بيكسب يا أحمد.

استمع أحمد إلى عبارة أشرف ثم قلب كفيه وقال:-

والله مش عارف أقول لك إيه يا باشا، الراجل ده كانت الدنيا مزهزهه معاه، بس فى الآخر كل ده هيروح لمراته وابنه.

- فاضل مين فى قايمة التحقيقات؟

أجاب أحمد سؤال رئيسه على الفور وكأنه كان ينتظر هذا السؤال:-

لسه فاضل زوجته، وأمه، وشوية الكتاب والكاتبات اللى عنده اللى عددهم خمسين كاتب وكاتبة ما بين مصريين وعرب، وأصحاب دور النشر أصدقاؤه.

ساد الصمت المكان لنصف دقيقة كاملة، لم يسمع خلالها إلا صوت مروحة السقف الكبيرة التى تبدد حرارة الحجرة رويدًا رويدًا، أشار أشرف إلى زميله وقال:-

خمسين كاتب وكاتبة! وكمان فى عرب، يا نهار أبيض، طب دول هنجيبهم منين؟ وازاى كل دول أخد منهم فلوس؟

أجابه أحمد قائلًا:-

بالنسبة للعرب ممكن نعمل لهم استدعاء رسمى عن طريق سفارتهم يافندم.

لوح أشرف بذراعه فى ضجر ثم قال:-

لأ طبعًا مش هنعمل كده، مش ناقصة تعقيدات سياسية يا عم أحمد، وبعدين الناس دى ممكن يكون كان صادق معاهم فعلًا وعمل لهم الكتب بتاعتهم، وبعتها لهم، الناس دى ما يهمهاش الفلوس خالص، وممكن تراضيهم بأى حاجة، طب مين أقرب ناس ليه فى الخمسين دول غير العرب؟

أجابه أحمد وهو يلتقط ورقة صغيرة من جيبه ويقرأ ما بها:-

عشر كتاب وتسع كاتبات.

صمت أشرف مرة أخرى ثم عقد حاجبيه مفكرًا وقال:-

مين أقربهم للقتيل أوى؟ يعنى زى ما بيقولوا واكلين عيش وملح مع بعض.

- فهمتك يا باشا، من الكتاب، الثلاثة اللى قال لك عليهم عبده البواب يوم الحادثة كامل محمد، عمر حسين، ونيس فضل، وواحد تانى إسمه مدحت هانى، وشهرته مدحت دبلة.

ذكر أحمد اسم مدحت وهو يبتسم ابتسامة ذات مغزى وهو يغمز بعينه اليسرى لأشرف الذى ابتسم بدوره وقال:-

أه، أهلًا... أهو ده اللى كان ناقص، ربنا يعدى القضية دى على خير، كمل باقى الأسماء.

أكمل أحمد قائلًا:-

أما البنات فـ إتنين بس، نجوى طارق، رانيا عامر، بس نجوى دى سابت البلد وهاجرت لاستراليا عند اخوها، من سنة تقريبًا.

قام أشرف من مكانه وأخذ يدور فى الحجرة وهو يقول:-

مفيش مشاكل من نجوى دى، إحنا مش هنلف الدنيا ورا كل واحد، لكن رانيا عامر، أنا حاسس إنى سمعت الإسم ده قبل كده، مش مشكلة دلوقتى، فى حاجة تانية مهمة جدًا، التلاتة اللى إتكلم عنهم عبده، وقال إنهم إتخانقوا مع القتيل قبل الوفاة بيومين ازاى نسيتهم، دول أكيد مفتاح اللغز معاهم، بص إبعت استدعاء رسمى للتلاتة،، أو أقول لك روح بنفسك هاتهم إنت وخالد وطارق، قسموا نفسكم

لتلت مجموعات وهاتوهم مع بعض، عقبال ما أحقق مع زوجة القتيل وباقى الكتاب القريبين من القتيل، وبعدين ربنا يعيننى على بقيتهم.

قبل أن ينطلق أحمد لينفذ أوامر رئيسه المباشر، ارتفعت صوت طرقات قوية على باب الحجرة فأدار أشرف وجهه ناحيته وقال بحزم:-

ادخل.

أطاعه الطارق على الفور ودخل إلى الحجرة، كان أحد الضباط الذى أدى التحية العسكرية باحترام ثم قال:-

تقرير المعمل الجنائى يافندم.

التقط أشرف التقرير من الضابط ولم ينتبه إليه وهو يؤدى التحية مرة أخرى ويغادر الحجرة، كانت عينا أحمد تتابعان ملامح أشرف بانتباه شديد محاولًا سبر أغواره لمعرفة نتيجة التقرير الجنائى النهائى والذى سيجيب عن الكثير من الأسئلة الغامضة فى هذه القضية، ولكن ملامح أشرف ظلت جامدة وكأنه تمثال من الشمع، مما دفع أحمد إلى أن يسأله:-

إيه الأخبار يافندم؟ فى جديد؟

أدار أشرف وجهه إليه وقال:-

مفاجأة..... مفاجأة يا أحمد.

ولم يعد هناك ما يقال.

****

- عارفه نفسى فى إيه؟

- إيه؟ قول يا حبيبى.

- نفسى أبقى أغنى راجل فى الدنيا دى كلها، وأجيب لك

كل اللى نفسك فيه إنتى وابننا.

- ربنا يخليك ليا وما يحرمنى منك ولا من حنيتك عليا.

- عايز ألبسك حرير فى حرير، وأنيمك على ريش نعام، بس العين بصيرة والإيد قصيرة.

- معلش يا حبيبى، بكرة تعمل كل اللى نفسك فيه.

- منين بس، دا حتى شقة الجواز ما عرفتش أجيبها، ولولا إن والدك ربنا يخليه لنا عرض على إنى أعيش معاكم فى البيت، وادانى الشقة دى، كان زمانى لايص ومش عارف ألاقى أربع حيطان تلمنى أنا وانتى والولد.

- ما تقولش كده يا حبيبى، إنت عارف بابا بيحبك قد إيه، وبعدين ده حقى فى ورث أمى، ما تفكرش فى الحاجات الصغيرة دى، وخلى بالك إنت بس من نفسك.

- صباح الخير يا مدام مديحة.

قطع صوت المقدم أشرف ذكريات مديحة مع زوجها فؤاد فالتفتت إليه وعيناها تسبحان فى بحر من الدموع التى خانتها إحداها وسالت بصمت وهدوء على وجنتيها الرقيقتين.

- صباح الخير.

ردت تحية أشرف بصوت حزين خفيض، فخفض عينيه بحرج ثم قال مواسيًا:-

البقاء لله، شدى حيلك.

أجابته وهى تمسح دموعها:-

ونعم بالله.

- أنا مقدر اللى إنتى فيه، بس إنتى عارفه أنا لازم أخلص شغلى علشان أقدر أجيب لك حقك، وحق فؤاد الله يرحمه، علشان كده عايزك تتعاونى وتركزى معايا ولو تعرفى أى حاجة ممكن تفيد القضية يا ريت تقوليها لى على طول.

- أنا تحت أمرك.

- فى الفترة الأخيرة لاحظتى أى تغير على شخصية المرحوم.

- كان متوتر شوية، وأنا قلت إن ده بسبب ضغط الشغل، لكن فى يوم من

الأيام وبالتحديد قبل الوفاة بثلاثة أيام، كان نايم ولقيته بيقول والله لاوريهم، عايزين يضيعونى ويضيعوا شقى عمرى.

- تتوقعى كان يقصد مين بالكلام ده؟

- هو فى غيرهم، أصحابه التلاتة، كامل، وعمر، وونيس.

- وحضرتك عرفتى منين إنه كان يقصد الثلاثة دول بالذات؟

- لأنهم فى الفترة الأخيرة طلعوا كلام مش صحيح على الداروإن فؤاد بيقول لهم كلام وبيعمل عكسه، زى عدد الطبعات اللى كان بيطبعها أقل من اللى بيقول لهم عليه، وإنه ما بيديهمش حقوقهم وحسابات مبيعاتهم، ده غيرإنه قال عليهم كلام مش كويس.

- كلام مش كويس زى إيه؟

- يعنى إنهم ما بيعرفوش يكتبوا، وإن هو كان له الفضل الأول فى إنه خلاهم كتاب، وإن أى فكرة من أفكار رواياتهم كان هو صاحبها وهم كانوا بياخدوها ويشتغلوا عليها وتبقى بتاعتهم.

- طب وهو ده كلام مش كويس؟

- مش عارفه والله، بس اللى أنا شايفاه إنه كان له فضل على كل واحد دخل الدارمن الألف للياء.

- طب تتهمى مين بقتل جوزك؟

- الثلاثة اللى قلت لحضرتك عليهم.

- قبل ما حضرتك تيجى أنا أصدرت أمر باستجواب الثلاثة دول، وزميلى فى طريقه لهم مع مجموعة من الضباط، لكن قبل ما يمشى وصل تقرير المعمل الجنائى اللى كشف لنا عن حاجات كتير أوى فى القضية، وغيرمسارها تمامًا.

- خيريافندم.

- التقرير بيقول إن القتيل اتعرض لعدة طعنات فى الصدروالبطن، لكن مش دى اللى اتسببت فى الوفاة، الوفاة حصلت نتيجة قطع للعضو الذكرى من منبته، ده غير إن ضوافر المرحوم كان فيها آثار لبقايا جلد بشرى حريمى، وده معناه وبنسبة تسعة وتسعين فى المية إن اللى ارتكبت الجريمة ست مش راجل، ده غير إن كان فى سائل منوى على جسم القتيل وعلى الأرض، وده بيزود النسبة اللى قلت لحضرتك عليها لنص فى المية كمان علشان يأكد إن القتيل كان بيمارس الجنس مع الست اللى قتلته، لكن دوافع القتل إيه هو ده اللى هتبينه لنا باقى التحقيقات.

- ست!! مش ممكن!!! أكيد التقرير ده فيه حاجة غلط.

- تعرفى إيه عن الذمة المالية لجوزك، ويا ترى تعرفى إنه لا كان دكتور ولا حاجة، وكل اللى معاه دبلوم صنايع، وإنه اتجوزك ببطاقة مزورة، لإن بطاقته مش مكتوب فيها إنه دكتور.

كانت الحقائق تتوالى على رأس مديحة كالصاعقة تلو الأخرى، فوضعت راحتها على رأسها ثم قالت وهى تحرك رأسها ذاهلة:-

مش ممكن، مش معقول، أكيد فى حاجة غلط.

- مدام مديحة البقاء لله مرة تانية، أنا كل اللى هقدر أعمله دلوقتى إنى هصدرأمر بالإفراج عن الجثة من المشرحة علشان تدفنوها بمعرفتكم، ولو احتجنا حضرتك هنكلمك علشان نكمل التحقيق، إتفضلى.

قامت من مكانها وهى تترنح كالذبيحة بعد أن حطمت كلمات أشرف سنين عمرها التى عاشتها هانئة مرتاحة البال مع زوج تعشقه عشق الجنون، لم يعرها أشرف أدنى اهتمام وهى تغادر مكتبه، بل أمسك بهاتفه المحمول وطلب رقم أحمد ليطمئن على ما وصل إليه، وهل استطاع إحضار كامل محمد أحد المشتبه فيهم، استمع إلى رنين الهاتف لفترة طويلة قبل أن يقوم أحمد بالرد عليه قائلًا:-

أيوه يافندم، إحنا فى الطريق لبيته، وفى قوة بقيادة النقيب خالد علشان تجيب عمر حسين، والنقيب طارق مع القوة الثالثة لبيت ونيس.

- ربنا يوفقكم، أنا فى انتظاركم.

- تمام يافندم.

أنهى أشرف الاتصال ثم أمسك بورقة وقلم، وبدأ يكتب عليها خطته فى المرحلة

القادمة، والتى ستكون الحاسمة.

***

obeikan.com

كامل محمد

- أستاذ كامل محمد.

أومأ رجل فى العقد الرابع من العمر برأسه موافقًا وهو يبتلع ريقه بصعوبة، كان متوسط الطول، وسيم، بدين، يرتدى بنطلون أسود وقميص أبيض اللون، فابتسم ضابط المباحث بهدوء محاولًا التخفيف على الرجل ثم قال:-

عايزينك فى كلمتين فى المديرية.

نظر إليه الرجل ثم قال متسائلًا:-

المديرية !! بخصوص إيه يافندم؟

أجابه أحمد وهو يتفرس فى ملامحه:-

بخصوص جريمة قتل الدكتور فؤاد.

- دكتور فؤاد مين؟

ألقى كامل سؤاله بحذر، وفرائصه ترتجف خوفًا ورهبة، ولكن ضابط المباحث دفعه برفق إلى داخل الشقة وهو يجيبه قائلًا:-

مش عارف الدكتور فؤاد ولا إيه؟ فؤاد اللى اتعاقدت معاه على نشر كتابك، إيه ما تعرفش إنه إتقتل ولا إيه؟

ساد الصمت المكان بعد كلمات أحمد الفاصلة، ولقد قرر طرق الحديد وهو ساخن فتابع قائلًا:-

اتفضل معانا لو سمحت.

obeikan.com

- طب خمس دقايق أغير هدومى واجى معاكم.

أشار إليه أحمد موافقًا، فتحرك إلى غرفة نومه، وغاب هناك لخمس دقائق، تبعها بأخرى، مما جعل ضابط المباحث يشعر بالقلق، فأشار لمرافقيه باقتحام الحجرة التى لم يعثروا فيها على المدعو كامل محمد، كل ما وجدوه هو شباك الحجرة الكبير المفتوح على مصراعيه، نظر أحمد من الشباك إلى الشارع الواسع الخالى تمامًا من المارة، عاود النظر يمينًا ويسارًا وإلى أعلى فلم يجد هدفه، فاندفع مرة أخرى إلى خارج الحجرة ثم إلى الشارع هو ومرافقيه، وماهى إلا ثوانٍ قليلة حتى تحركت ضلفة الدولاب الكبير فى غرفة النوم، ليخرج منها كامل وهو يتلفت حول نفسه، قبل أن يخرج هاتفه المحمول ويطلب رقما ما بيد مرتجفه، ثم انتظر قليلًا ليقول بعدها:-

أيوه يا ونيس، البوليس كان عندى من شوية، وكانوا عايزين ياخدونى معاهم، لكن أنا طلعت أنصح منهم واستخبيت فى الدولاب، حاول تهرب إنت وعمر، أنا خايف أوى.

استمع إلى كلمات ونيس القليلة، قبل أن يقول وهو يتحرك بعصبية فى المكان:-

لأ طبعا، مش هعمل كده، مش هسلم نفسى يا ونيس، إحنا كنا مع بعض، وعملنا كل حاجة مع بعض، إيه عايزين تخلعوا دلوقتى، لا يا بابا مش كامل اللى يروح فى الرجلين ويتاكل أونطة، ألو... ألو.... ونيس، رد على .. ألو..

- مش هيرد عليك.

التفت كامل إلى مصدر الصوت خائفًا ليجد أمامه الضابط أحمد يبتسم ساخرًا وهو يعقد ذراعيه أمام صدره، وحوله اثنان من رجال المباحث، ترك الهاتف ليسقط أرضًا فى نفس الوقت الذى أكمل الضابط حديثه ساخرًا:-

مش هيرد عليك علشان هو كمان فى طريقه للمديرية هو وعمر حسين، اتفضل معانا.

ولم يعد هناك ما يقال.

****

- ليه حاولت تهرب؟

ألقى أشرف صابر سؤاله على كامل الواقف أمامه بجوار صديقيه، فتكلم ونيس مجيبًا:-

كان خايف يافندم، هو أعصابه بتتعب لما بيشوف حكومة وبيتصرف تصرفات غريبة.

التفت إليه أشرف وقال غاضبًا:-

أنا أذنت لك بالكلام، إسكت خالص.

ابتلع ونيس لسانه مرغمًا، فى نفس اللحظة التى عاود فيها أشرف النظر مرة أخرى إلى كامل وقال:-

بتستخبى فى الدولاب، هو ده اللى قدرت عليه، طب لما تحب تستخبى إبقى استخبى فى مكان محدش يشوفك فيه، مش الدولاب، لأ وكمان رجل بنطلونك خارجة منه.

طأطأ الرجل رأسه لأسفل خجلًا ولم ينطق بحرف، فتابع أشرف موجهًا حديثه لأحمد:-

خدهم دلوقتى يا أحمد، هحقق معاهم لما آجى من جنازة فؤاد.

- هتحضر الجنازة يافندم؟

- لازم يا أحمد، عايز اشوف ردود أفعال كل الناس اللى هتمشى وراه وهتدفنه.

غادر أشرف مبنى المديرية ليلقى نظرة الوداع على فؤاد، لعله يصل لطرف الخيط الذى سيكشف من خلاله القاتل الذى أطار النوم من عينيه طوال اليومين الماضيين، وسبب له إرهاقًا بدنيًا وجسديًا لم يتعرض لهما منذ سنوات عديدة، وهو يكره أن يكون على هذه الحالة أبدًا، ولن يظل عليها مهما كان الثمن.

***

الجنازة

صلاة الجنازة أربع تكبيرات، على من حضر من أموات المسلمين، بعد التكبيرة الأولى نقرأ الفاتحة، وبعد الثانية.....

ردد مكبر الصوت فى مسجد السيدة عائشة صوت الإمام الذى بدأ فى صلاته على المتوفى وأطال فى الدعاء بعد الصلاة لعل الله يرحم من مات، ولمع فلاش الكاميرات العديدة فى أعين المصلين، الذين امتلأ بهم المسجد عن آخره، والتى قرر أصحابها من الصحفيين تغطية هذا الحدث المهيب، والذى يعد الأول من نوعه فى الوسط الأدبى، مقتل صاحب أحد اصحاب دور النشر،، وفى الخارج اصطفت أعداد غفيرة من الكتاب والنقاد وأصحاب دور النشر الأخرى من رجال ونساء بالإضافة إلى أهل المتوفى، استمر الصحفيون فى عملهم حتى تم وضع الجثمان داخل إحدى السيارات الخاصة بنقل الموتى، ثم انصرفوا بعد ذلك ليكملوا تحقيقهم الصحفى الذى سيكون على رأس الأخبار المسائية، ومع انصرافهم انصرف المشيعين، وكأن حضورهم كان من أجل الظهور بوجه مشرف وواجهة اجتماعية متميزة، ولم يظل مع جثمان فؤاد غير أهله وسائق السيارة واثنين من زملاء السائق، وشهيرة فكرى، بالإضافة لرجل غريب لم يتعرف عليه أحد.

وصلت الجنازة إلى المقابر وتم إنزال فؤاد إلى مثواه الأخير، فتقدم الرجل الغريب إلى زوجته وقال آسفًا:-

البقاء لله.

غمغمت بحزن:-

سعيكم مشكور.

تلعثم الرجل وهو يقول:-

أنا شكرى الإمبابى، المرحوم كان مستلف منى ١٠٠ ألف جنية قبل ما يموت، علشان يعمل المكتبة الأخيرة بتاعته، وطبعًا حضرتك عارفه إن الميت بيفضل متعلق بالدين بتاعه من غير دخول الجنة لغاية ما حد يسدده عنه، ربنا يرحمه، أنا عارف إن الوقت مش مناسب، لكن أنا محتاج الفلوس بتاعتى لإنى ورايا التزامات وشغل كتير.

رفعت مديحة عينها إليه وقالت بثبات وهى تشير إلى قبر زوجها:-

أهو عندك، روح خدهم منه.

حَدَّق الرجل فيها وهو يضرب كفًا بكف ويقول:-

آخدهم من مين، يا ست بقول لك كان مستلف منى ١٠٠ ألف جنية وأنا عايزهم.

ردت بصوت خشن يتنافى تمامًا مع صوتها الأصلى:-

وأنا بقولك روح خدهم منه، مفيش عندى كلام تانى.

تركها الرجل وهو يرفع يديه بالدعاء على المتوفى ويقول بصوت جهورى:-

حسبنا الله ونعم الوكيل، ربنا يجحمه مطرح ما راح، ربنا ينتقم منه، كان ابن كلب حرامى.

ظل أشرف يتابع الرجل حتى اختفى عن أعين الجميع، فاقترب من الزوجة وقال بهدوء مواسيًا:-

شدى حيلك.

نظرت إليه وقالت ودموعها تسيل على خديها بلا انقطاع:-

عرفت مين اللى قتل جوزى يا حضرة الضابط .

أجابها قائلًا وهو يقترب منها:-

مش وقته دلوقتى، لسه التحقيقات شغالة وإن شاء الله القاتل هياخد جزاؤه.

- أنا مش هاخد عزاه إلا لما تجيب لى القاتل لغاية عندى يا أشرف بيه.

قالت والدة فؤاد عبارتها ولم تنتظر إجابة من أشرف الذى تقدم ناحيتها كى يعزيها، بل تحركت بهدوء مغادرة المكان بالكامل وهى تقول:-

عليه العوض ومنه العوض، إنت الجبار يا رب.

تنهد أشرف وهو يغادر المكان بدوره ولم يستطع منع عينيه من النظر إلى شهيرة فكرى التى احتضنت مديحة وأخذت تربت على كتفها مواسية، وبينما يدير محرك سيارته ويستعد للرحيل، ارتفع صوت هاتفه المحمول فالتقطه وهو يلقى نظرة على رقم الطالب ليجد أمامه عبارة (رقم خاص) فأسرع بالرد على المتصل لتقابله ضحكة ساخرة، ثم يقول صاحبها:-

شوفتنى وانا ميت؟ أجنن وانا ميت، صح؟ عقد أشرف حاجبيه وهو يقول:-

مين معايا؟

أجابه الصوت على الفور:-

أنا المرحوم.

أخذ أشرف يتلفت حوله وهو يبسمل ويحوقل، ليعاود صاحب الصوت حديثه مرة أخرى (ما تتلفتش حواليك يا حضرة الظابط، الناس كلها مشيت، يللا توكل على الله وروح كمل تحقيقاتك علشان تعرف مين اللى قتلنى، وعلى فكرة أنا أقدر أقول لك مين القاتل، لكن مش هحرمك من متعة البحث، هكلمك تانى لما أحس إنك قربت تكشف الحقيقة، سلام يا أشرف بيه)، انتهت المكالمة ولكن أشرف ظل واضعًا الهاتف على أذنه اليمنى لنصف دقيقة كاملة، قبل أن ينتفض فى مكانه مع طرقات قوية على زجاج النافذة ليجد أمامه أحد الشحاذين الذين تعج بهم المقابر كلما جاءت جنازة إلى هذه المنطقة (لله يا بيه لله، ربنا يرحم أمواتك وأموات المسلمين)، دقق أشرف النظر فى وجه الرجل ليجد امامه فؤاد الذى ابتلعه التراب منذ قليل، دفع الباب بقوة فى وجه الرجل ثم انقَضَّ عليه ولكنه وجد نفسه

يحتضن الهواء وليس هناك أى أثر للشحاذ ولا للقتيل، أخذ يتلفت حول نفسه كالتائه قبل أن يركب سيارته مرة أخرى وهو يفكر فيما حدث له منذ لحظات، ولكنه أرجأ ذلك إلى أنه لم يذق طعم النوم منذ بدأ التحقيق فى هذه القضية العجيبة، والإرهاق يأكل خلاياه رويدًا رويدًا ويصيب مخه بالهلاوس السمعية والبصرية، ولكن ذلك لم يقلل من عزيمته، ولم يفت من عضده، فركب سيارته مرة أخرى وانطلق إلى الإدارة ليبدأ مرحلة جديدة من التحقيقات مع الثلاثة الذين يملكون حل لغز مقتل فؤاد، ولكن كل ما مر به منذ كان فى شقة القتيل لأول مرة وحتى الآن لم يكن ليساوى شيئًا مما هو قادم، فما يحمله الكتاب الثلاث فى ذاكرتهم سيغير مسار القضية تمامًا، وحياة أشرف أيضًا.

****

كامل جاهز يافندم.

التفت أشرف إلى أحمد ثم قال:-

لأ خلى كامل دلوقتى، الراجل ده خواف ولو ضغطنا عليه شوية هيقول كل حاجة، عن نفسه وعن صحابه الإتنين، وأحسن طريقة للتعامل مع الشخصية دى إنك تسيب صاحبها لغاية ما يستوى على الآخر، كل ما تسيبه أعصابه هتتعب أكترومش هنعرف نلاحق على الكلام اللى خارج منه.

تكلم أحمد وهو يبتسم ابتسامة ساخرة، وثنايا عقله تشيد بعبقرية رئيسه:-

طب حضرتك تحب تبدأ بمين؟

عقد أشرف حاجبيه مفكرًا للحظات ثم قال:-

هات لى عمر حسين، الراجل ده شكله دماغ وراسى، وهستمتع بالكلام معاه.

هَمَّ أحمد بالانصراف ولكنه تذكر شيئًا فقال:-

صحيح يافندم أخبار الجنازة إيه؟ لاحظت حاجة غريبة فيها؟

حرك أشرف رأسه أسفًا ثم قال:-

أغرب جنازة حضرتها فى حياتى، تخيل الجامع كان مليان على آخره بالناس

وكاميرات التصوير شغالة يمين وشمال، وأول ما الجنازة خرجت من الجامع والكاميرات بعدت عن المكان، الكل إتبخر، ومحدش مشى ورا الجنازة تقريبًا، ده غير اللى كان بيدعى على المرحوم، تخيل بيدعوا عليه بدل ما بيدعوا له، القضية دى مش سهلة يا أحمد، والقتيل نفسه كان راجل غامض وكان ليه عالم خفى محدش يعرفه غيره، صدقنى اللى بقوله لك ده خبرة سنين وسنين فى المباحث.

صمت قليلًا ليلتقط أنفاسه ثم قال:-

يللا هات لى عمر علشان ما نضيعش وقت، قولى صحيح، تليفونك فين؟

ابتسم أحمد ابتسامة ذات مغزى وهو يقول:-

فى مكانه يافندم.

بادله أشرف الابتسامة ولم يتكلم فى حين انصرف أحمد تاركًا أشرف يجهز الأسئلة التى سيبدأ بها الحوار مع المشتبه فيه الأول، لعله يخرج منه بشىء يريحه قليلًا ويعيد إليه نفسه مرة أخرى.

***

ثلاثة

اسمع انت وهوه، خرجونى من اللعبة دى أنا لو الظابط اللى جوه ده سألنى عن أى حاجة هقوله علطول، أنا أعصابى مش مستحملة.

قال كامل عبارته وهو يرتجف خوفًا ويتلفت حول نفسه بين لحظة وآخرى، فتكلم عمر وهو يشعل سيجارته الخامسة منذ أن وطأت قدمه المديرية:-

إهدى شوية، إحنا ما عملناش حاجة علشان نخاف لكن طريقتك دى هتخليهم يشكوا فينا.

عقب ونيس على كلام عمر قائلًا وهو يتحرك فى حجرة الضابط أحمد:-

كلام عمر مظبوط، لازم نكون هادين خالص

واحنا بنتكلم مع الظابط، كل واحد مننا يحكى حكايته مع فؤاد بالتمام والكمال، من غير زيادة ولا نقص.

تكلم كامل وهو يلوح بذراعه فى الهواء غاضبًا يا سلام، واليوم اللى اتفقنا فيه على إننا لازم ناخد حقنا منه بأى طريقة، هنحكى عنه هو كمان ولا إيه نظامه.

أجابه ونيس بهدوء:-

عادى خالص، إحنا ما قلناش فيه أى حاجة تديننا كلام عادى ساعة غضب.

هَمَّ كامل بالحديث عندما قاطعه دخول أحد العساكر إلى الحجرة وهو يقول بصوت عال:-

عمر حسين، اتفضل معايا، حضرة الظابط عايزك.

قام ثالثهم ولم ينبث ببنت شفه، فاصطحبه العسكرى إلى الخارج، مما زاد من خوف كامل الذى نظر إلى ونيس عله يجد عنده أى أمل فى النجاة من هذا الموقف، ولكن صديقه زاد من توتره عندما نظر بعينيه بعيدًا عنه، وهو يجهز إجابات للأسئلة التى يتوقع أن يلقيها عليه الضابط أشرف بعد قليل، الإجابات التى ستخرجه من هذا المأزق الذى يتعرض له للمرة الأولى فى حياته.

****

أهلًا وسهلًا، إيه المفاجأة الحلوة دى، إنتوا الثلاثة جايين مع بعض، يادى الهنا يادى النور.

ألقى فؤاد بعبارة الترحيب السابقة على مسامع الكتاب الثلاثة، الذين حضروا إليه بدون موعد مسبق، ولقد كانت هذه هى المرة الأولى تقريبًا التى يجتمع فيها الكتاب الثلاثة معًا فى الدار، مما جعل فؤاد يتوجس خيفة من هذا اللقاء،

ولكنه كعادته استطاع أن يخفى ما بداخله ببراعة تستحق الإعجاب، ولقد أراد أن يأخذ زمام المبادرة فقال:-

تشربوا إيه؟

شكره ثلاثتهم فى وقت واحد، ثم قال ونيس بلهجة عملية:-

كنا عايزين نتكلم معاك شوية.

تكلم فؤاد قائلًا:-

إتفضلوا يا جماعة، هو إحنا أغراب عن بعض!!!

خير إن شاء الله.

أجابه ونيس قائلًا:-

أنا عايز ألغى العقد بتاعى مع الدار.

عقد فؤاد حاجبيه متسائلًا وهو يقول:-

ليه يا أستاذ ونيس، حصل منى حاجة كفى الله الشر.

زَمَّ ونيس شفتيه بعدم رضا ثم قال:-

بصراحة أنا شايف إن الدار مش محققه لى طموحاتى، يعنى بحس كل يوم إنى برجع ورا، مفيش خطوة لقدام أبدًا، وده قالقنى الصراحة، فياريت نخلص الموضوع على خير، ونفضل أصحاب أحسن، بس بعد إذنك جهزلى حساباتى كلها علشان نخلص الموضوع بسرعة.

التقط فؤاد نفسًا عميقًا كى يستطيع السيطرة على نفسه ثم قال بعد ذلك:-

مفيش أى مشاكل، ما دام ده هيريحك، بس معلش والله أنا آسف، مفيش ليك أى حسابات عندى دلوقتى، السوق نايم والمكتبات بقالها فترة ما بتطلبش كتب خالص.

تكلم عمر حسين فى هذه اللحظة قائلًا:-

يعنى إيه الكلام ده؟

التفت إليه فؤاد وقال بلهجة مستفزة:-

أعتقد الموضوع ده مايخصكش يا أستاذ عمر. تكلم كامل فى هذه اللحظة قائلًا:-

يعنى إيه ما يخصهوش، على فكرة إحنا طلبنا من ونيس يتكلم بلساننا، وفوضناه بكده.

ابتسم فؤاد بسخرية ثم قال:-

فوضتوه، ليه هو احنا قاعدين فى مجلس الشعب ولا إيه؟

هَمَّ كامل بالرد عليه ولكنه تراجع عندما أشار إليه ونيس بالصمت، ثم تكلم بهدوئه المعتاد:

بص كده، من الآخر، إحنا التلاتة لينا نفس المطالب، وعلشان كده جينا لك مع بعض. ساد الصمت المكان بعد عبارة ونيس الحاسمة والثلاثة يتطلعون إلى فؤاد الذى زفر فى ضيق ثم قال بعد ثوانٍ قليلة:-

مفيش مشاكل، بس أنا مش مقتنع بالكلام ده، بس فى شوية حاجات لازم تعرفوها الأول، إنت مثلًا يا أستاذ عمر، روايتك حققت مبيعات خرافية بعد ما عدلت فيها شوية حاجات من غيرها كانت الرواية هتبقى ملهاش أى لازمة، وروايتك يا أستاذ كامل خلصت والغلاف بتاعها أكتر من ممتاز لو مش عايزها، هتاخد فلوسك بعد ما نخصم اللى صرفته عليها، يعنى من الآخر هيتفضل لك ألف جنية، أما الأستاذ ونيس فروايته يادوب مقضية التكاليف بتاعتها، يعنى برضو مش هيطلع لك فى الآخر غير شوية ملاليم.

تكلم كامل وهو ينظر إلى رفيقيه:-

يعنى إيه؟ هنطلع من مولد بلا حمص أجابه فؤاد باستهتار وهو يهز كتفيه:-

ولا حتى حب العزيز.

شمر كامل عن ساعديه وانتفخت عروق رقبته، وهَمَّ بالفتك بالدكتور، لولا أن أمسك به عمر وونيس ثم قال الأخير:-

ما عندناش مانع، لو سمحت خلص لنا الموضوع ده وإلا مش هيحصل كويس.

احمرت أذنى فؤاد من فرط غضبه وهو يقول:-

إنت بتهددنى ولا إيه؟

لَوَّحَ ونيس بذراعه بلا مبالاة ثم قال وهو يتحرك نحو الباب

ويشير لزميليه أن يتبعوه:-

اعتبره زى ما تعتبره، قدامك اسبوع تخلص فيه كل حاجة وتكلمنا، وهنجيلك مرة واحدة، احنا الثلاثة مع بعض، خلص الكلام.

ترك الثلاثة المكان بعد عبارة ونيس الفاصلة، ولم يجرؤ فؤاد على القيام من مكانه، لقد أحكم الثلاثة الحصار من حوله، لقد كان يستطيع أن يسيطر على كل واحدٍ منهم منفردًا، أما وهم مجتمعون عليه، فسيكون لهم اليد العليا فى كل شىء، وهو لن يسمح بهذا أبدًا، مهما كان الثمن.

أفاق ونيس من هذه الذكرى الأليمة على هزات عصبية لذراعه اليمنى، فنظر إلى مصدرها ليجد امامه كامل يرتعد بشكل مثير للشفقة وهو يقول::-

أنا خايف أوى يا ونيس، ومش عارف أعمل إيه .

ربت ونيس على ذراعه وقال بلهجة حانية:-

ما تخافش يا كامل هنخرج منها على خير إن شاء الله . ظَلَّ كامل يحدق فى وجه صديقه للحظات قليلة، ثم تركه وذهب إلى ركن قصى، جلس فيه ثم ضم ركبتيه إلى صدره وأخذ يحدق فى سقف الحجرة، ولم يملك إلا الانتظار.

* * *

obeikan.com

عمر حسين

سيجارة يا أستاذ عمر؟

مد أشرف يده بعلبة سجائره الخاصة إلى الرجل الذى التقط منها واحدة وهو يغمغم:-

شكرًا.

أشعل أشرف سيجارته وتركه يشعل سيجارته بدوره، وينفث قلقه وتوتره مع دخانها، ولم يغب

هذا التغير عن عينى ضابط محنك تقابل مع المئات من الشهود والمجرمين، ولقد قرأ فى عمر على

الفور، أنه من النوع الذى يستطيع التحكم فى أعصابه فى أشد المواقف صعوبة، وهنا قرر الدخول فى التحقيق مباشرة فبادر عمر قائلًا وهو ينظر فى عينيه مباشرة:-

أستاذ عمر، كنت فين وقت وقوع الجريمة؟

أخذ عمر نفسا آخر من سيجارته ثم قال:-

كنت فى سيتى ستارز أنا ومراتى وأولادى بنعمل شوبنج، ودخلنا سينما.

قال أشرف:-

عندك دليل على كلامك؟

أجابه عمر بهدوء:-

obeikan.com

عندى فواتير الشراء فى البيت، وأعتقد تذاكر
السينما لسه معايا.

قرن قوله بالفعل، فوضع يده فى جيبه وأخرج حافظته والتقط منها أربعة تذاكر أعطاها للمقدم

الذى التقطها وفضها ليتأكد من صدق كلامه ولما وجده صادقًا، وضع التذاكر على المكتب ثم قال:-

تمام، أنا عايزك تحكى لى حكايتك مع فؤاد، يعنى عرفته إزاى؟ ونشرت كتابك معاه بناءًا على ايه؟ ومين اللى عرفك بيه؟ كل حاجة يا عمر، كل حاجة.

أطفأ سيجارته، ثم التقط نفسًا عميقًا وقال:-

حاضر يافندم.

وبدأ السرد، ومعه ظهرت حقائق لم تكن فى الحسبان أمام المقدم أشرف. حقائق ستنمو معها بذور الشك فى نفسه حتى ترتفع أشجارها عاليًا.

****

صلى على النبى.

منذ كنت صغيرًا وأنا أستمع لصوت عم سيد الحنان الأجش، وهو يصلى على رسول الله بل ويأمر الجميع بالصلاة على الحبيب، كنت أجده دائمًا وأبدًا فى جميع الموالد والحضرات التى كان ياخذنى خالى دائمًا إليها، بداية من مولد السيدة زينب، ومولد سيدنا الحسين وحتى مولد سيدى الطشطوشى، كان خالى يواظب على حضور هذه الأماكن وهو فى غاية الاقتناع أن الخير كله فى هذه البقاع الطاهرة، وأن من ينفق على إقامة شعائرها ورعاية أهلها من الفقراء والمساكين، سيكون له ثواب عظيم عند العلى القدير، اعتدت هذه الأماكن وسرت على الدرب بعد وفاة خالى المفاجئة، والذى حزنت كثيرًا لوفاته، ولقد أصابنى هذا بصدمة نفسية ظللت أعانى منها لفترة طويلة، ولكننى عقدت العزم على مواصلة الطريق الذى بدأه هذا الرجل الرائع وواظب عليه طوال حياته، سأكون أحسن خلف لأفضل

سلف، كنت أقف بين هؤلاء الفقراء وأنا أربت على كتف هذا، وأواسى هذا، أنفق ولا أبخل عليهم بأى غالى أو نفيس، كنت أرى فيهم الفئة المهمشة من المجتمع، لايسمع عنهم أحد ولا يضع لهم أى اعتبار، وكأنهم فتات المجتمع التى ليس لها مكان إلا سلة القمامة، حتى جاء ذلك اليوم الذى رأيته فيه، كانت الليلة الكبيرة لمولد الحسين، وكنت أنا أقف فى الصوان الكبير أتابع توزيع الأطعمة المختلفة على الناس، وألقى نظرات متباعدة على من يؤدون شعائر الاحتفال قبل موعد الحضرة الكبيرة، وعلى الرغم من الزحام الشديد الذى يمتاز به مولد الحسين، وتدافع الناس سواء من الرجال أو النساء، إلا أننى فجأة وجدت معظم الناس تتجه نحوه، كان فى النصف الأول من

العقد الثالث، نحيل، قصير القامة، يعانى من عرج بسيط فى ساقه اليمنى، تنم نظراته عن الخبث والمكر والدهاء.

اندفع الناس نحوه يرحبون به، وتوقعت أن يعطف عليهم بأى شىء سواء بالمال أو حتى بالكلمة الطيبة، وعندما وضع يده فى جيبه، ابتسمت لحسن توقعى، ولكنه فاجأنى بإخراجه لكمية من اللب ملأت قبضته، وأخذ يوزع منها على الناس وهو يقول

(يلا هيصوا، محدش واخد منها حاجة)، ووسط دهشتى من هذا الموقف العجيب لم أتمالك نفسى من الابتسام لتصرفه الغير متوقع، وعندما أخذ يتلفت حوله عقدت حاجبى وأنا أحدث نفسى (يا ترى بيدور على مين، ومين ده أصلا؟)، وفجاة ارتفع صوته مناديًا على حنفى مبخرة، المسؤول عن إشعال البخور أثناء الاحتفال، وماهى إلا ثوانٍ قليلة حتى جاءه رجل يرتدى ثياب بيضاء ناصعة، تتدلى من صدره كمية كبيرة من السبح الخضراء حتى تصل إلى أسفل صرته، وتتدلى منها لحيته لتصل إلى منتصف صدره.

- فين المحن بزيادة؟

قبل أن يجيبه حنفى اندفع رجل قصير القامة جدًا، يماثل الأقزام طولًا، أصلع

الرأس تمامًا، لا يرتدى ملابس تقريبًا، يحرك رأسه يمينا ويسارا وهو لا يردد سوى كلمة واحدة (منه له، منه له)، احتضن الرجل الغريب وعانقه بود قبل أن يقبله من وجنتيه، والآخر يبتسم وهو يقول:-

وحشتنى يا ابن الفقريه، إيه الحاج إبراهيم عكوة خلص دبح، ولا لسه؟

أومأ المحن برأسه موافقًا، والفرحة تغمر كيانه بالكامل، فقال له الرجل وهو يشد على عضده:-

خليه يحجز لى الموزة والراس كلها، وما ينساش الكبدة، فاهم، يللا بسرعة، إوعى تعوق.

لم يكد المحن بزيادة ينطلق إلى حال سبيله حتى مال الرجل على حنفى وقال:-

أمال فين البنت ماجدة أستيكة؟ وحشتنى بنت الإيه.

أجابه مبخرة وهو يدير عينيه فى المكان باحثًا عنها، حتى رآها تتمايل يمينًا ويسارًا مع نغمات المزمار الشعبى الذى يغنى على نغماته أحد الرجال الذين يحيون الليلة الكبيرة، كانت تقف فى منتصف صوان يمتلئ بالرجال الذين لم ينتبهوا لكلمات المغنى بقدر انتباههم لحركات ماجدة المثيرة، كانت تؤدى فقرتها الراقصة مع فقرتها الموسيقية التى لا تأتى إلا فى مولد الحسين من كل عام، ومع اللعاب الذى سال من أشداق الرجال وهم يتابعون جسدها البض الذى يتراقص فتتراقص معه قلوبهم، لمحت بطرف عينيها الساحرتين ذلك الرجل الغامض، فابتسمت فى سعادة ولوحت له بذراعها اليمنى فابتسم فى زهو وأخذ يحرك رأسه بزهو بعد أن نظر إليه الرجال بحقد وحسرة.

أنهت ماجدة فقرتها ثم اندفعت إلى الرجل وهى تصافحه قائلة بدلال:-

حمدلله على السلامة يا كبير، الدنيا نورت.

ابتسم الرجل وهو يلاعب حاجبيه لماجدة وهو يقول:-

الدنيا منورة علشان انتى فيها يا ميجو.

أطلقت ضحكة ماجنة قبل أن تقول:-

ياه بقالى كتير محدش قال لى الكلمة دى، تسلم لى يا سيد الناس، أخبار الكتب والروايات بتاعتك إيه، إنت عارف أنا بحب القراية قد إيه.

كنت أتابع هذا الحوار من بعيد، وعندما قررت أن اقترب منهم حتى أسترق السمع، لأعرف حكاية هذا الرجل الذى اجتمع الجميع حوله فى دقائق وتركونى أنا الذى أحرص كل الحرص على رعايتهم كل عام، سمعته يقول لماجدة (الدنيا زى الفل، أنا بقيت تقريبًا أحسن ناشر فى مصر، بقى عندى كتاب كتير دلوقتى، والحمد لله كتبهم كلها زى الفل، وحققت أعلى مبيعات)، لم أتمالك نفسى وأنا أسمعه يتحدث عن نشر الروايات، فقد كانت أمنية حياتى أن أنشر رواية ويراها الجميع، فأنا بجانب تجارتى أهوى التأليف، لذلك فقد اقتحمت حديث الرجل مع ماجدة قائلًا وأنا أمد يدى مصافحًا إياه:-

عمر حسين، رجل أعمال.

أسرع بمصافحتى وهو يرحب بى باهتمام، ثم أشار إلى ماجدة فانصرفت على الفور، عندما شعرت بأهمية اللقاء فبدأ حديثه معى قائلًا:-

أهلًا وسهلًا يا أستاذ عمر، أنا دكتور فؤاد، صاحب دار نشر البهظ من أشهر دور النشر فى مصر دلوقتى.

شجعتنى هذه البداية على الحديث مباشرة فى الموضوع وعلى طرق الحديد وهو ساخن، فقلت على الفور:-

أنا عندى رواية وعايز أنشرها.

- ده شرف لينا يافندم، دى أول رواية لك؟

- أيوه.

- طيب مفيش مشاكل، ده الكارت بتاعى، فيه إيميل الدار، ممكن تبعتها عليه، ولجنة القراءة هى اللى هتحدد اذا كانت الرواية ممكن تتنشر أولأ.

- مفيش مشاكل، وده هيكون إمتى إن شاء الله؟

- إبعت إنت العمل الأول وربنا يسهل، ممكن يكون بعد شهر أو اتنين أو تلاتة.

- مش شايف إن كده كتير أوى؟

- مش كتير ولا حاجة، الميعاد ده مناسب جدًا، لإن الشغل عندى كتير أوى، أول ما تتم الموافقة على العمل، هنقول لك على تكاليف النشر، هتجيبهم معاك ونوقع العقد إن شاء الله.

- مفيش مشاكل.

- استأذنك بقى علشان ألحق الحضرة مع الناس الطيبة دى، مدد يا أحفاد رسول الله.

اندفع على الفور ليقف بين الناس ويبدأ فى التفقير مع الناس وهو يلوح بمسبحة كبيرة فى يده اليمنى ويردد:-

مدددددد، مدددددد.

برجاء إلى الكارت فى يدى لأجد مكتوبًا عليه (دكتور فؤاد صاحب دار نشر البهظ)، تعجبت من اسم الدار ولكننى لم أبالى بهذا، كان كل ما يهمنى هو نشر روايتى وخروجها للنور، وبالفعل أرسلت الرواية للدار فى نفس الليلة التى قابلته فيها، وانتظرت ولكن العجيب أن انتظارى لم يطل، فما هى إلا عدة أيام حتى وجدت رسالة فى صندوق بريدى الإلكترونى من الدار يخبرونى فيها أنه تم قبول العمل وتم تحديد يوم الأحد القادم للتعاقد، لا أحد يستطيع أن يصف فرحتى بهذه الرسالة، فما هى إلا عدة ساعات ويتحقق الحلم، جهزت العشرة آلاف جنية، وهى التكلفة التى حددتها دار النشر الرواية، وانطلقت إلى هناك، ويا ليتنى ما ذهبت.

****

- أهلًا وسهلًا، دا إحنا زارنا النبى.

- الله يخليك، متشكر جدًا.

رددت تحية الدكتور وأنا أدير عينى فى المكان الذى كان محط أنظار العديد والعديد من الكتاب فى هذه الآونة، تلك الدار التى ذاع صيتها فى الوسط الثقافى،

لقد نالت شهرة سريعة وانطلقت كالصاروخ بين دور النشر الشهيرة لتفرض اسمها على الجميع، كانت هذه بعض المعلومات البسيطة التى استطعت الحصول عليها طوال اليومين السابقين، كى اطمئن على مستقبلى الثقافى. تتكون دار النشر من حجرتين وصالة كبيرة تحتوى على مكتبين أحدهما كبير

يجلس عليه دكتور فؤاد، والمكتب والآخر شاغر، توجد مكتبة كبيرة على الحائط تحوى العديد من الكتاب التى تحمل شعار الدار، بالإضافة لشعار بعض دور النشر الأخرى، الإضاءة قوية تنير المكان بأكمله.

- تشرب إيه؟
- لأ، متشكر أوى.
- لا والله لازم تشرب حاجة.
- خلاص، لما نمضى العقد الأول، نبقى تشرب.
- ماشى كلامك.

أشعلت سيجارة من علبة سجائرى التى لم يكد فؤاد يراها حتى فوجئت به يقول وهو يبتسم ويلاعب حاجبيه:-

- فاضية ولا محشية؟

عقدت حاجبى متسائلًا قبل أن أقول:-

- هى إيه اللى فاضية ولا محشية؟

فاجأتنى إجابته وهو يطلق ضحكة ساخرة عالية:-

الكنافة.

رددت كلمته متعجبًا، ولكننى وجدته يغير الموضوع، وهو يناولنى نسخة من العقد وهو يقول:-

- تعالى نقرأ بنود العقد مع بعض.

أشرت اليه بالصمت وأنا أقول:-

- ثوانى بس، ما قلتليش لجنة القراءة أعطت روايتى كام درجة؟

كانت إجابته مفاجأة لى عندما قال عشرة من عشرة، فلقد عرضت روايتى

على الكثير من الأدباء والنقاد أصدقائى وأجمع الكل على وجود بعض الثغرات فى الرواية، وأنه يمكن علاجها، ولكننى ضربت بكلامهم عرض الحائط وأرسلتها لهذه الداروها هو يفاجئنى بقوله هذا، ولكننى مقتنع بأن فى الأدب كل إنسان له رأيه الخاص.

- يا أستاذ عمر روايتك زى الفل، وأنا متأكد إنها هتكسر الدنيا.

قطع حبل أفكارى بعبارته الرنانة، مما زادنى ثقة وبهاء، فابتسمت وبدأت فى قراءة بنود العقد الواحد تلو الآخر، كانت بنوده مناسبة ومعقولة، وقعت على العقد، وقام هو بختمه بختم الدار، قبل أن يناولنى نسختى التى أخذتها وقلبى يرفرف مع أوراقها القليلة جدًا، لقد كانت بدايتى الحقيقية فى عالم الأدب والثقافة.

سألنى مرة أخرى:-

ها تشرب إيه؟ أقولك ايه رأيك فى حاجة بتلج؟

- أنا هشرب بيبسى.

- بيبسى!!! ماشى، هحطلك عليه بيبسى.

قام من مكانه واتجه إلى مطبخ صغير غاب فيه للحظات ثم ظهر مرة أخرى وهو يحمل زجاجة طويلة نوعًا ما وكوبين وضعهما على المكتب ثم دخل المطبخ مرة أخرى لتقع عينى على الاسم البارز با لزجاجة لأجد اسم أحد أشهر أنواع الخمور، فاتسعت عينى من المفاجأة قبل أن ترتسم ابتسامة ساخرة على شفتى، فاتسعت مع قدومه من المطبخ وهو يحمل صينية صغيرة عليها مكعبات من الثلج وطبق صغير به بعض المذات وزجاجة صغيرة من الكوكا كولا.

- إنت ليك فى الشرب يا دكتور؟

- قليل منه يصلح المعدة.

- أيوه بس ده حرام؟

- فى خلاف بين الفقهاء، يعنى فى منهم أباحه فى الضرورات وفى منهم قال حرام فى كل الاحوال، وما دام فى خلاف يبقى نشرب لغاية ما يرسوا على رأى.

- ايوه بس ده فى نص قرآنى فى التحريم.

- بقولك إيه، صلى على النبى كده فى قلبك، وما تعكرش الليلة، أنا مقتنع باللى بعمله، وبعدين ربك رب قلوب، ومدام قلبك نظيف ودعاء الوالدين يبقى ما تخافش من حاجة أبدًا.

صَبَّ لنفسه كأس ووضع أمامى زجاجة المياة الغازية، تبادلنا الحديث فى مواضيع عامة متفرقة، وأثناء الحديث وجدته يخرج شريط برشام من جيبه، التقط منه اثنين قذفهما داخل فمه ثم ابتلعهما بجرعة من الخمور مما جعلنى أقول له (ألف سلامة عليك)

- ده ترامادول.

- ترامادول!!! كمان، إيه يا دكتور هى كل حاجة عندك مباحة.

- فيه ايه دا كمان؟ أنا بعمل كل حاجة فى الدار بنفسى، ده غير متابعة الشغل فى المطابع وغيره وغيره، فالقرصين دول بيظبطوا الدنيا معايا علشان أقدر أواصل من غير تعب، بس يا ريت الكتاب يقدروا تعب الواحد علشانهم.

- ربنا معاك ويعينك.

كانت عبارتى هى فصل الختام فى هذا اليوم، الذى كان مكسبى الوحيد فيه هو العقد الذى وقعته مع فؤاد. والذى سيكون بوابة العبور إلى العالم الذى أحلم به ليل نهار، عالم الأدب والأدباء.

****

- واتعرفت على كامل وونيس إزاى؟

قطع أشرف حديث عمر بهذا السؤال المفاجئ، فصمت قليلًا ثم ابتلع ريقه وقال:-

أول مرة قابلت كامل كان فى حفلة توقيع لونيس فى الهرم، عرفنى عليه فؤاد يومها، واتكلمت معاه شوية، بعد كده حضر حفلة توقيع روايتى بعد ما طلعت من المطبعة و.... قاطعه أشرف مرة أخرى قائلًا:-

لأ معلش واحدة واحدة عليا، عايزك تحكى لى إيه اللى حصل بالتفصيل من أول ما خرجت روايتك من المطبعة لغاية حفلة التوقيع.

ابتسم عمر ابتسامة حزينة ثم فتح فمه واسترسل مرة أخرى فى حكايته المريرة.

****

أخيرًا خرجت روايتى للنور، كنت أنتظرها كالذى ينتظر خروج أول مولود له فى هذه الدنيا، عندما أمسكت بأول نسخة بين يدى كدت أطير من فرط السعادة، لقد قطعت نصف الطريق نحو المجد والشهرة، ولم يبق إلا النصف الثانى الذى سيتحقق بإذن الله قريبًا، كنت أعتقد أن حفلات التوقيع هى الباب للنصف الثانى من الشهرة، لذلك كنت أصر على عمل حفل التوقيع الأول لى فى إحدى المكتبات الكبرى، ولكن فؤاد اعترض على ذلك، وقال أنه من حقه أن تكون أول حفل توقيع فى الدار، وبعد جدال دام لأكثر من ساعتين وافقت على رأيه، وتم عمل الحفلة فى دار النشر والحمد لله حضر عدد كبير من الأهل والأصدقاء والعديد من الكتاب الذين كنت حريصًا كل الحرص على مجاملاتهم فى حضور حفلات توقيعهم حتى يقفوا بجانبى ويساندونى يوم حفلتى، وقد كان، حضر تقريبًا كل من دعوتهم وكان كامل على رأس المدعوين، لقد كان من الكتاب الذين يحترمون الأعمال الجيدة، ولقد كنت حريصًا على أن يكون على رأس من يقول رأيه ويناقشنى فى روايتى أثناء حفل التوقيع، والحمد لله فقد أثنى على العمل أمام الجميع مما زادنى ثقة فى نفسى وفى جودة أولى رواياتى، مرت الليلة كالبرق كالليالى الجميلة، وبعد انصراف الجميع تحدثت مع فؤاد وشكرته على مجهوده وعندما سألته عن البنر الذى كان من المفترض أن يكون موجودًا اليوم قال لى:-

الواد حمادة المقص لسه ما عملهوش، علشان مشغول اليومين دول، بيجهز لمعرض الكتاب، كل دور النشر بتعمل شغلها عنده، بيعمل شغل زى الفل، إن شاء

الله البنر بتاعك هينور الدنيا فى المعرض، وكل عام وانت بخير.

صدقته يومها واقتنعت بكلامه حتى جاء معرض الكتاب عرس كل كاتب ومحفل لجميع القراء، بالنسبة لى كانت الدنيا تفتح ذراعيها لتستقبلنى بالورود والحبور، عندما رأيت روايتى تحتل مكانًا بارزًا على أحد الأرفف الرئيسية فى جناح الدار بمعرض الكتاب، وقفت هناك انتظر جمهورى الصغير الذى لم يخذلنى وجاء معظمه تباعًا على مدار أيام المعرض بأكملها، ومن فرط سعادتى كنت أقف مع سعيد لأبيع بنفسى روايتى وروايات زملائى الذين حذا الكثير منهم حذوى، حتى مرت أيام المعرض بسلام، ولكننى لم أرَ البنر الخاص بى كما وعدنى. مرت أيام المعرض سريعًا، ومن الطبيعى أن أجد روايتى فى جميع المكتبات، لأن هناك قراء لا يذهبون إلى المعرض وبالتالى ليس لهم سبيل إلا المكتبات، وعندما سألت المكتبات عن عدم وجود الرواية كانت المفاجأة، لقد نفذت روايتى من المكتبات ولقد قام المسؤولون هناك بطلب الرواية من الدار ولكن فؤاد لم يرسل لهم طلبهم، بحجة أن الرواية نفذت أيضًا من الدار وهى فى المطبعة الآن، لم أحتمل هذا الكلام وقررت أن أواجه صاحب الدار بهذا الحوار علنى أجد عنده

إجابة لما كان يدور بذهنى من أسئلة فى هذه الآونة، وعندما سألته قال بهدوء الواثق من نفسه:-

- المعارض الخارجية يا أستاذ عمر، بعد معرض الكتاب فى معرض الإسكندرية وبعده بإسبوعين معرض كفر الشيخ وعشر أيام من بعده ويبدأ معرض المنصورة، ومن بعدهم معرض جامعة عين شمس والشيخ زايد، وبعد ما كل دول يخلصوا ندخل بقى على الدلع بقى، معرض اتنين ونص والشوارع المصرية والنواصى المتدارية، ومعارض الفرش، معرض عمك جورج ومايكل وسمير ابو غلاف وعلى سلكه، تخيل بقى لما روايتك تلف الدنيا وتبقى عند كل الناس دى، مش قلت لك هشهرك.

- أنا عايز روايتى تبقى فى المكتبات الكبيرة، كل اللى بتقوله ده ملهوش أى لازمة عندى.

- يا أستاذ أنا عارف شغلى كويس، وعارف أنا بعمل إيه.

- طب لو سمحت حاسبنى، معرض الكتاب خلص، وانت قلت الحساب بعد المعرض.

- منين يا صاحبى، دى المبيعات كانت فى الأرض، كل اللى اشتغلناه فى المعرض خمس أيام وباقى الأيام بلح.

- يعنى إيه؟ أنا كنت موجود كل يوم فى المعرض وشايف الشغل والمبيعات كانت ماشيه إزاى، وبسم الله ماشاء الله، الفلوس كانت نازله عليك ترف.

- إنت بتبص لى فى رزقى ورزق عيالى، إنت كنت بتيجى على آخر النهار، والدنيا ما كانتش بتمشى غير لما انت وباقى الكتاب بيجوا للجناح.

- أنا سألت عيسوى الولد اللى موقفه معاك علشان يبيع وقال عن المبيعات فى الوقت اللى احنا مش

موجودين فيه إن الدنيا زى الفل من قبل ما نيجى، يبقى ازاى تقول كده.

- بص يا أستاذ يا إما أحاسبك دلوقتى أو أطبع الطبعة التانية، ها إيه رأيك؟

لم أستطع أن أتكلم بعد عبارته الغريبة، التى ألجمتنى بالفعل، وبعد تفكير عميق اخترت أن يطبع الطبعة الثانية، وهنا جاء موعد المفاجأة الأخرى التى أتت على الأخضر واليابس، لقد اختفى تمامًا، ولم يعد له أثر، تليفونه غير متاح دائمًا، والدار مغلقة دائمًا والمرة الوحيدة التى وجدت الدار

مفتوحة وجدت هناك سوسن، نفس الفتاة التى كانت تساعد عيسوى أثناء المعرض، والتى قالت لى عندما سألتها عن فؤاد أنه مشغول ومسافر دائمًا للمعارض الخارجية.

وعندما عاد من المعارض لم يطبع الطبعة الثانية كما قال لقد أخذ باقى

النسخ من الطبعة الأولى وسافر بها للمعارض وبالتالى نسيت المكتبات روايتى التى كانت ستحتل مكانًا بارزًا بين مثيلاتها من الروايات فى هذا الوقت، لقد خرجت من سباق النجومية بسبب جشع صاحب دار النشر، الذى لم يهتم بأحد إلا نفسه، لقد كان شعاره فى الحياة أنا ثم أنا ومن بعدى الطوفان. ما أن انتهى عمر من حكايته حتى التقط أشرف سيجارة من علبة سجائره الموضوعة أمامه على المكتب وأشعلها وهو يتطلع إليه ويقول بهدوء:-

وطبعًا اتفقت عليه إنت وأصحابك الإتنين وقررتم تقتلوه.

اندفع عمر يقول:-

يافندم نقتله ليه؟ علشان حتة كتاب لا راح ولا جه، طبعًا ما حصلش الكلام ده.

نفث أشرف دخان سيجارته فى وجهه ثم قال وهو يشير إليه:-

والله أنا لو مكانك كنت قتلته وقطعت جتته حتت، ده واحد قضى على حلمى الكبير اللى إتمنيته طول حياتى، يبقى حياته هى الثمن.

- والله العظيم ما حصل.

نطق بهذا القسم وهو يلهث من فرط الانفعال،

فقام أشرف من مكانه واستند بكفيه على المكتب

وقال وهو ينظر فى عينيه بثبات:-

أومال تفسر بإيه خوف صاحبك كامل ومكالمته مع ونيس اللى بيقول فيها، لا إنتوا هتسيبونى لوحدى، إحنا عملنا كل حاجة مع بعض، يبقى نفضل مع بعض للنهاية.

نظر عمر أرضًا وهو يغمغم:-

حضرتك ممكن تسأله، لكن أنا ما قتلتش فؤاد ولا اعرف حاجة عن موته.

عاد ضابط المباحث إلى مقعده مرة أخرى وهو يحرك رأسه ببطء ويقول:-

هسأله وهعرف منه كل حاجة، بس لو كان لك يد فى قتل الراجل ده، لهوريك أيام أسود من قرن
الخروب.

انطلق رنين هاتف أشرف فى هذه اللحظة ليضع حدًّا لهذه الحلقة المحكمة من الأسئلة، فالتقطه أشرف ونظر فى شاشته ليجد رقمًا غريبًا، انتظر قليلًا حتى يستطيع التروكولر أن يحدد هوية المتصل، مرت خمس ثوانٍ لتكتب على شاشة الهاتف اسم عليوة الهوارى، فعقد أشرف حاجبيه محاولًا تذكر هذا الاسم وعندما فشل فى ذلك ضغط على زر الإجابة فجاءه نفس الصوت الذى تحدث إليه من قبل فى المدافن وهو يقول:-

ركز فى شغلك يا حضرة الضابط، وخلى بالك قدامك مهلة٤٨ ساعة علشان تعرف مين اللى قتل فؤاد وإلا هخليك تكره اليوم اللى اتولدت فيه.

- مين معايا.

قالها أشرف وعقله يعمل بسرعة الصاروخ، محاولًا تمييز صوت المتصل وعندما فشل فى ذلك، انطلقت ضحكة المتصل لتزيد من حيرته، وتشغل الغضب فى عروقه عندما قال:-

مراتك زى القمر، وابنك تبارك الخلاق، خلى بالك منهم وياريت تيجى تخدهم من النادى علشان ما يروحوش لوحدهم.

- إياك تقرب لهم، إنت سامع....

- ما تدينيش أوامر يا حضرة الظابط، ركز فى شغلك واعرف القاتل وإلا حياة أسرتك الصغيرة هتكون التمن.

أنهى المتصل مكالمته فطلب أشرف رقمًا قصيرًا من تليفون مكتبه ثم قال:-

أيمن تعالى لى حالا.

وماهى إلا لحظات قصيرة حتى طرق أيمن الباب، فبادره أشرف قائلًا:-

خد الرقم ده عندك، واعرف لى قراره إيه، وهات لى صاحبه من قفاه.

أخذ الرجل الرقم ثم أدى التحية العسكرية سريعًا وهو ينصرف ويقول:-

تحت أمرك يافندم.

ارتدى أشرف سترته سريعًا ثم قال للعسكرى الرابض أمام الباب خلى بالك من الأستاذ عمر عقبال ما أجى.

لم ينتظر تعقيبًا من أحد وهو ينطلق إلى النادى للاطمئنان على زوجته، وليضع حدًّا لهذه المهزلة التى تزداد يومًا بعد يوم.

* * *

obeikan.com

ياسمين

- ياسمين، إنتى كويسة؟

- فى إيه يا أشرف، مالك؟

- طب يللا بينا لازم نمشى دلوقتى.

- لسه تمرين السباحة بتاع تامر مخلصش، اقعد بس وفهمنى فى إيه.

- هفهمك واحنا فى السكة، يلا مفيش وقت.

قامت زوجة أشرف وهى تحرك رأسها بحيرة ثم أشارت إلى ابنها فخرج من حمام السباحة بعد أن استأذن من مدربه.

وفى طريق العودة قالت ياسمين بحده:-

ممكن أعرف إيه اللى بيحصل بالظبط؟

ابتسم أشرف ابتسامة باهتة وقال وهو ينظر إليها:-

ولا حاجة، وحشتينى وجيت أشوفك.

رفعت أحد حاجبيها وقالت وهى تقلب شفتيها:-

وده من إمتى إن شاء الله، دا إنت بقالك أسبوع ما دخلتش البيت.

- ما إنتى عارفه إن ورايا شغل، هكون بلعب يعنى.

- ها، ما من ساعة ما اتجوزنا وانت وراك شغل، إشمعنى المرة دى، أشرف، خليك صريح معايا، فى واحدة تانية فى حياتك؟

obeikan.com

- هههههههههه، واحدة تانية، هههههههههه، حرام عليكى، هو أنا عارف آخد نفسى علشان أفكر فى واحدة تانية.

- طب ممكن أفهم فى إيه؟

- فى قضية جديدة شاغلانى وشاغلة الرأى العام كله، صاحب دار نشر البهظ لقيوه مقتول فى شقته، والمشتبه فيهم كتير جدًا، وطول النهار وأنا فى تحقيقات ووجع قلب و..

- قصدك الدكتور فؤاد؟

ضغط أشرف على مكابح السيارة فجأة فاندفعت زوجته إلى الأمام لتفلت منها صرخة قوية، ولولا حزام الأمان الذى يحيط بجسد الصغير لأصيب بإصابات كبيرة.

- تعرفى الراجل ده منين؟

- صاحبتى رانيا، رانيا عامر، ما إنت عارفها، كتبت شوية خواطر على كام بيت شعر وحبت تنشرها، ناس كتير رشحولها دار البهظ، وطلبت منى أروح معاها، روحت معاها واتقابلنا معاه.

- رانيا عامر!!! دلوقتى افتكرت أنا سمعت الإسم ده فين قبل كده، وما قلتليش ليه؟ والكلام ده حصل إمتى؟

- من حوالى أربع شهور، وبعدين أقول لك فين، هو أنا بشوفك.

- كلميها دلوقتى وقولى لها إنى عايزها فى كلمتين بصفة ودية.

- تليفونها مقفول.

جَزَّ أشرف على أسنانه غضبًا، من برود أعصاب زوجته، ثم أخرج هاتفه النقال وطلب رقم أحمد، وهو يقول:-

ماشى يا ياسمين، حسابنا بعدين.

- أيوه يا أحمد، تروح بنفسك دلوقتى، وتجيب لى رانيا عامر من تحت الأرض، دلوقتى يا أحمد، مش كمان شوية، سامع، هبعت لك عنوانها فى رسالة على التليفون، وابعت لى اتنين عساكر على البيت عندى، دلوقتى على طول.

أغلق الخط بعد أن ألقى أوامره، ثم كتب عنوان رانيا فى رسالة وأرسلها على الفور إلى أحمد، فى نفس الوقت الذى اندفعت فيه ياسمين قائلة:-

عساكر علشان مين؟

أجابها أشرف وهو يدير محرك سيارته مرة أخرى:-

علشان يحموكى إنتى وتامر، فى واحد بيهددنى، إن القضية دى لو ما خلصتهاش فى خلال يومين، هيخلص عليكى إنتى وتامر، ولازم أحميكم، لغاية ما أخلص.

أمسكت ياسمين بذراع أشرف بقوة وهى تقول بصوت مرتجف:-

إيه يقتلنا!!! وانت هتكون فين؟ هتسيبه يخلص علينا؟

ربت على كتفها مطمئنًا وهو يقول بهدوء:-

ما تخافيش مفيش حاجة من دى هتحصل، أوعدك لو حصل حاجة حياتى هتكون فداكم... وقد كان صادقًا.

****

- ها يا أيمن عملت إيه؟

استمع الضابط لسؤال المقدم أشرف بانتباه ثم تحرك لسانه مجيبًا:-

تمام يافندم، عرفنا مين هو عليوة الهوارى.

قال أشرف وهو يلوح بذراعه غاضبًا:-

طب هو فين؟ ما جيبتهوش ليه؟ هو أنا هعرفك شغلك يا حضرة الظابط.

- يافندم مستحيل أجيبه معايا.

أجابه بهذه الإجابة المستفزة، مما زاد من غضب أشرف فاندفع قائلًا:-

مستحيل!!! ما تتكلم علطول فى إيه؟

صمت أيمن قليلًا قبل أن يلقى بقنبلة شديدة التدمير:-

لأن عليوة الهوارى ده، مات من خمس سنين.

- عقد أشرف حاجبيه وتأثير كلمات تدوى بداخله قبل أن يقول بصوت متحشرج رغمًا عنه:-

مات!!! يعنى إيه مات؟

أكمل الرجل حديثه وهو يتطلع إلى رئيسه حائرًا:-

ده خط متسقع يافندم.

- يعنى ايه خط متسقع؟

- يعنى خط صاحبه مات من فترة، والخطوط دى بتاخدها عيال من الجيارة والباطنية وأغلب المناطق العشوائية، وتبيعها بعد كده لأى حد هربان أو عليه حكم، أو هيقوم بأى عملية إرهابية، أو أى سكة وسخة من سككهم.

- أمال مين اللى كلمنى فى التليفون؟ وجاب رقمى منين؟ ابعت لى أحمد.

انطلق أيمن لإحضار النقيب أحمد فى حين أشعل هو إحدى سجائره النفاذة وانطلقت خلايا مخه الرمادية تعيد بناء أحداث القضية، مرة أخرى، من الذى يسعى لمعرفة القاتل غير أحد أقاربه، أو زوجته، لقد شاهد جثة فؤاد بنفسه بل وحضر جنازته ولم يلاحظ أى شخص غريب غير الرجل الذى طلب نقوده من زوجة المرحوم، إذًا فمن الذى يتحدث إليه، ويهدد زوجته وابنه الوحيد، بالقتل هو لن يسمح بهذا حتى لو كانت حياته هى الثمن، لن يهدأ له بال حتى يصل للقاتل ولمن يتحدث إليه أيضًا، سيبدأ مرة أخرى ولكن

من ناحية رانيا صديقة زوجته فهى التى.....

قاطعه صوت طرقات قوية على الباب، أعقبها دخول النقيب أحمد الذى بادره أشرف قائلًا:-

جِبت رانيا؟

أجابه أحمد:-

مع الأسف يافندم، رانيا عامر مسافرة شرم الشيخ عند والدتها.

ضرب أشرف بقبضته سطح المكتب غاضبًا، ثم زفر زفرة قوية أخرج معها حمم النيران التى تستعر بداخله قبل أن يقول :-

ماشى، عملت ايه مع عمر حسين؟

- موجود عندى فى المكتب فى انتظار أوامرك.

- طب خليه عندك وهات لى كامل، علشان أستجوبه يمكن أطلع منه بحاجة.

- حاضر يافندم.

***

obeikan.com

كامل محمد

من المعروف أن أدب الخيال العلمى ينقسم إلى قسمين رئيسيين، القسم الأول هو عبارة عن فكرة فانتازيا خالصة، من خيال المؤلف، والقسم الثانى عبارة عن فكرة أو نظرية تم تنفيذ جزء منها وهنا يبدع المؤلف فى وضع تخيل للجزء الثانى ومن هنا يتم وضع الـ ..... استمر رئيس اللجنة المصرية لأدب الخيال العلمى فى إلقاء كلمته التى يلقيها أمام الحضور فى مقر هيئة اتحاد كتاب مصر، فى المؤتمر العلمى الذى يقام كل عام فى هذا الموعد، والذى أحرص

دائمًا على حضوره، لدرجة أننى حفظت وجوه الحضور وجه وجه، وأعرفهم معظمهم معرفة شخصية

ومن يحضر لأول مرة أستطيع تمييزه بسهولة وذلك لتواجدى المستمر فى هذا المكان، لحبى ولعشقى الشديد لأدب الخيال العلمى وكتابه سواء من العرب أو الغربيين، عالم ساحر يأسرك أفكار غريبة وتقنية تكنولوجية هائلة وصراع بين الثقافات والحضارات و.....

لفت انتباهى أحد الوجوه الجديدة فى هذا اليوم وخاصة عندما بدأ صاحبها فى الحديث مع رئيس اللجنة ويناقشه بكل ثقة واعتداد، فى إحدى روايات هربرت جورج ويلز أحد أقطاب أدب الخيال العلمى على مستوى العالم، كان من الواضح أنه مثقف وعلى دراية بما يقوله من معلومات عن الرواية وعن أدب الخيال العلمى بوجه عام.

ملت على أحد الحضور وسألته عن هذا الرجل فأخبرنى أنه يدعى دكتور فؤاد وهو صاحب دار البهظ لنشر الكتب والروايات، والتى حازت شهرة واسعة فى الوسط الثقافى فى الفترة الحالية، تعجبت من اسم الدارولكننى قلت فى قرارة نفسى أن هذا الاسم جذاب على الرغم من فظاظته، انتهى اللقاء وعقلى مازال منشغلًا بهذا الرجل العجيب الذى اقتحم حياتى فجأة وبلا مقدمات، وبكل حزم اتخذت قرارى وذهبت إليه.

- مساء الخير.

- مساء النور.

- كامل محمد.

- اهلا وسهلا، دكتور فؤاد.

- أنا أول مرة أشوف حضرتك هنا.

- بالعكس، أنا مواظب على حضور الندوات اللى بينظمها اتحاد الكتاب باستمرار، لكن فعلًا دى أول

مرة أحضرندوة للخيال العلمى.

- أنا عندى رواية عن الخيال العلمى وعايزأنشرها عند حضرتك، أنا سمعت إنك صاحب دارنشر

لها إسمها.

- مفيش مشاكل، الرواية دى من تأليفك؟

- طبعًا يافندم.

- أنا بسألك علشان دلوقتى بتلاقى الكاتب يسرق الفكرة من رواية تانية وينقل الأحداث من رواية تالتة وفى الآخريقول لك أنا اللى مألف الرواية.

- لأ طبعًا، أنا ما بعملش كده، الرواية كلها من تأليفى من الألف إلى الياء.

- جميل، ده الكارت بتاعى فيه رقم تليفونى والإيميل بتاع الدار، إبعت العمل

ولجنة القراءة

هتقيم العمل وتشوفه صالح للنشر ولا لأ.

شكرته بحرارة وأنا أمسك بالكارت بين يدى

بحرص شديد، وكأن حياتى تتمثل فى هذه القطعة البلاستيكية الصغيرة.

****

والعمل اتقبل؟

ألقى أشرف صابر سؤاله على مسامع كامل الذى بدأ التحقيق معه منذ قليل، فابتسم

بسخرية ثم غمغم:-

إتقبل، مع الأسف.

- مع الأسف!!! ليه؟ مش دى كانت أمنية حياتك يعنى المفروض تبقى فرحان، لأن روايتك هتشوف النور.

- تشوف النور!!! حضرتك متفائل أوى يا حضرة الظابط، أنا اللى حصل لى بعد كده ما يرضيش

ربنا، أنا شوفت الويل وسواد الليل.

- إحكى لى، أنا وقتى كله ليك، قولى الأول تحب تشرب إيه؟

- ولا حاجة، متشكر جدًا.

- أنا هشرب قهوة، تشرب معايا؟

- مفيش مشاكل.

ضغط أشرف زر صغير على مكتبه، دخل على رنينه العسكرى الرابض أمام الباب، فأمره بجلب

اثنين من القهوة المظبوط، وعندما انصرف الجندى لتنفيذ الأمر، بدأ كامل فى السرد

مرة أخرى، ومع كل كلمة ينطق بها كانت عينا أشرف صابر تتسعان عن آخرهما، فما كان يحكيه الرجل لم يكن يخطر على بال أى أحد مهما سبح بخياله إلى أبعد مدى.

****

تعلقت عينى باللوحة الرقمية فى ذلك المصعد كبير الحجم على غير المعتاد، والذى دائمًا ما كان يثير بداخلى مخاوف عديدة، ولكن مخاوفى لم تكمن فى المصعد فقط والذى كان يتحرك فى هدوء قاتل، وكأنه عربة نقل الموتى التى تثير حفيظتى دائمًا، ولكن فى الطابق الذى أنا متوجه إليه، فهو طابق تعمل على حراسته الأشباح وتقوم على رعايته وحمايته شياطين الإنس، كان هذا هو موعدى المنشود مع فؤاد والذى أطلقت عليه اسم البهظ والتى تعنى الشخص عديم المروءة والأخلاق ولهذا أسبابه التى ستظهر تباعًا وأنا أحكى عن تجربتى المريرة، وصل المصعد فى هذه اللحظة إلى الطابق المنشود، كان باب الدار مفتوحًا على مصراعيه، وتنبعث من داخله موسيقى هادئة تبعث على الراحة والطمأنينة، التقطت نفسًا عميقًا قبل أن أضغط على جرس الباب، وما هى إلا ثوانٍ قليلة وسمعت صوتًا أنثويًا ناعمًا يدعونى للدخول، فابتلعت ريقى بصعوبة، ودلفت إلى المكان، لأجد دار النشر عبارة عن شقة كبيرة الحجم كباقى شقق العقار، بها مكتب كبير، اصطفت عليه عدة شهادات تقدير من العديد من الجهات التى تهتم بالأدب، وفى أحد أركان الشقة مكتب آخر تجلس عليه فتاة حسناء لا يزيد عمرها عن العشرون، ترتدى حجابًا وقورًا، ولا تضع فى وجهها أية مساحيق، جميلة المُحَيَّا، أزالت ابتسامتها الهادئة كل التوتر والقلق الذى اجتاحنى منذ أتيت لهذا المكان، رحبت بى قبل أن أعرفها بنفسى، وأقول لها عن سبب مجيئى للدار، أشارت لى بالجلوس قبل أن تقول: ثوانى والدكتور هيكون مع حضرتك.

مرت نصف ساعة ولم يأتى البهظ، ثم أتمت الساعة دورتها ولم ياتى بعد، مما جعلنى أقول لها: -

هو الدكتور هيتأخر؟

أجابتنى دون أن تنظر إلى وهى تعبث بأزرار حاسبها الآلى باهتمام، الأستاذ فى الحمام، عنده إسهال.

لم أتمالك نفسى من الابتسام وأنا أقول: -

إسهال!!!

جائتنى الإجابة من خلفى تمامًا، عندما انبعث صوتًا هادئًا، يقول: -

عمرك ما شوفت حد عنده إسهال يا أستاذ كامل؟

التفت إلى مصدر الصوت فبادرنى قائلًا:-

أهلًا بك.

طربت أذنى عند سماعها لترحيب الهظ بى، وامتلأت عينى بطلعته البهية، لم يكن بالطويل ولا بالقصير، خمرى اللون، له صلع خفيف فى مقدمة رأسه، عيناه بنيتان واسعتان تموجان بالخبث والدهاء، يرتدى بنطالًا من البلوجينز، وتى شيرت أخضر اللون فى منتصفه رسمًا لميكى ماوس وهو يحتضن مينى ويقبلها، مَدَّ كفه إلى ليصافحنى بهدوء فأسرعت لمصافحته، ولقد كانت دهشتى عظيمة عندما وجدته يجذبنى إليه ويحتضننى، ثم يقبلنى بلهفة ويقول:-

أهلًا وسهلًا، أهلًا وسهلًا، ألف مبروك عملك اتقبل.

على الرغم من دهشتى لما صنعه إلا أننى كنت سعيدًا بهذا الاستقبال الحار، الذى قضى تمامًا على توترى وخوفى وخاصة عندما هنأنى بقبول عملى، على الرغم من أننى عرفت ذلك عن طريق الرسالة التى أرسلها لى على الإيميل.

جلس خلف مكتبه بوقار، ثم بدأ فى العمل على حاسبه الآلى بسرعة ومهارة يحسد عليها، ثم أشار إلى بالجلوس، فجلست على الفور، فبادرنى قائلًا دون أن ينظر إلى:-

- تشرب إيه؟

- متشكر جدًا يافندم.

- مش ممكن، إنت ضيفنا النهاردة.

- خلاص مع الحر الرهيب ده، يبقى أشرب حاجة ساقعة.

رفع رأسه إلى الفتاة التى كانت ناظرة بدورها إلى حاسبها الآلى، ثم قال:-

حاجة ساقعة للأستاذ يا آنسة لو سمحتى.

أجابته دون أن تنظر إليه:-

مفيش حاجة ساقعة يا دكتور.

زم شفتيه وقال آسفًا:-

مفيش حاجة ساقعة، تحب تشرب حاجة تانية؟

خلاص لو ممكن بعد إذنك كوباية مية.

ردت الفتاة على الفور، وهى تعقد حاجبيها وتدقق نظرها فى شاشة الحاسب بتركيز غير عادى:-

المية قاطعة.

التفتتُ إليها متعجبًا، فقال الهظ:-

طب معلش إنزلى هاتى لنا إزازتين مية، وب ٢ جنية عصير قصب لى فى كيس.

زمت شفتيها غاضبة وهى تقول:-

طب والشغل يا دكتور؟

ابتسم قائلًا:-

ما تخافيش، هستناكى.

قامت من مكانها على مضض، فعاد هو يلتفت إلى حاسبه الآلى ويضغط على عدة أزرار به، ليوقف شيئًا ما قبل أن يلتفت إلى ويقول وعلى وجهه ابتسامة عريضة، ثم مد يده والتقط كتابًا متوسط الحجم من على المكتب وأعطاه لى وهو يقول بثقة:-

ده شغلنا لو تحب تشوفه.

التقطت الكتاب منه بشغف لتقع عينى على العنوان (الأية المقلوبة)، تعجبت

من الاسم، ثم ابتسمت على الرغم منى وأنا أنظر إلى الغلاف الذى كان عليه رسم لقط ضخم أبيض اللون، مكشرًا عن أنيابه يعدو وراء كلب أسود من نوع الدوبرمان يبدو عليه الفزع والهلع، نزلت بعينى لاسم الكاتب (عبده مسألش)، رفعت عينى للفسل وقبل أن أتكلم هز رأسه فى ثقة وقال:-

الكتاب ده هيكسر الدنيا، والكاتب كمان ممتاز، أنا ما كنتش عايز أنشر الكتاب ده علشان كان محتاج شغل كتير، قلت للكاتب يعمل إيه، وأشرت عليه بأفكار جديدة، وعرفته إزاى يشتغل على نفسه كويس علشان يقدر ينافس الكتاب اللى فى السوق دلوقتى، وعلى فكرة الرواية دى مرشحة لجايزة الجوكر.

عقدت حاجبى وأنا أبتسم قائلًا:-

حضرتك تقصد جايزة البوكر.

هز رأسه نافيًا لكلامى قبل أن يتراجع فى مقعده ويلوح بكفه ويقول بلهجة العالم ببواطن الأمور:-

دى تسمية خاطئة، ومع الأسف مش كل الناس تعرف التسمية الصح للجايزة دى، الموضوع يرجع للقرن الخمستاشر، فى عهد الملك حمص الرابع ملك فرنسا، هو اللى اكتشف لعبة الكوتشينة على فكرة وهو اللى حط فيها ورقة الجوكر، كان بيحط ورقة واحدة من الجوكر فى الكوتشينة، واللى بتجيله كان بيبقى هو الكسبان، حتى لو كان خسران فى اللعب، ومن هنا جت تسمية أكبر جايزة فى الوسط الثقافى، الجوكر لأحسن عمل أدبى كل سنة. لم أستطع أن أجادله فيما يقوله، لعلنى أكون مخطئًا، فى معلوماتى المحدودة فى عالم الثقافة والأدب.

- إحنا بنشتغل فى أكتر من نوع من أنواع الورق، النوع اللى معاك ده إسمه توباكوكو، وده من أفخر الأنواع وأغلاها، لإنه مستورد، وفى نوع تانى اسمه زبدة الكراميل، وفى نوع كمان إسمه مالكى.

أتم حديثه ثم نظر إلى وقال:-

تفضل أى نوع من الورق؟

ازدادت حيرتى مع سؤاله، فقلت على الفور:-

هو إيه الفرق بين الأنواع التلاتة؟

عقد ساعديه أمام صدره ثم أخذ نفسًا عميقًا، وقال وكأنه سيلقى إحدى المحاضرات الهامة:-

توباكوكو أفضل نوع من أنواع الورق لإنه مستورد زى ما قلت لك، الورق ده بنستورده من بانكوك، وهو ورق خشن وقوى ومتين جدًا، وده بيرجع لإنه معمول من ورق الطوباق بتاع السجاير، وبيلفوه هناك على وراك الفراخ البدارى وهى صاحية، وبعدين يتنقع فى الخل يومين بنفس لفته، وبعد كده يفردوه على صدور الفراخ الشامورت وهى صاحية برضو، فيشد نفسه وبيبقى فى منتهى القوة، علشان كده الورق ده غالى شويتين عن الورق المصرى، أما النوع اللى اسمه زبدة الكراميل، واللى ناس كتير بتقول عليه زبدية، الورق ده بيبقى للمقاسات الصغيرة لإن السوق كله بيشتغل فى مقاس ١٤×٢٠، لكن الورق ده بيكون مقاسه بعد الخروج من الفرن ٥×٩، علشان بيكش أوى، وبنستخدمه فى الكتب اللى بتشبه القطع الأمريكانى، اللى معروفة عندنا باسم روايات الجيب، أخر نوع هو الورق المالكى، اللى له تسمية خاطئة فى مصر، باسم البالكى، لكن الصح مالكى وده بيرجع لإن المالكى الكبير الله يرحمه هو أول واحد لف فيه سندوتشات الحلاوة بالقشطة فى المحل بتاعه، ها، تحب أى نوع من أنواع الورق علشان روايتك؟

أجبته على الفور قائلًا:-

أنا عايز أحسن نوع، أنا مش كل يوم هألف كتاب.

راح يعبث بعدة أوراق أمامه قبل أن يقول:-

خلاص يبقى التوباكوكو، بس ده هيتكلف زيادة شوية عن اتفاقنا، إحنا كنا قلنا كام؟

وضعت يدى فى جيبى ثم أخرجت رزمة ضخمة من المال وضعتها أمامه وأنا أقول:-

عشر تلاف جنية.

التقط النقود بأطراف أصابعه ثم قال:-

كده يبقى ناقص ألفين كمان، علشان الورق.

قلت على الفور:-

بكرة إن شاء الله يكونوا عند حضرتك.

هز رأسه متفهمًا ثم قال:-

مفيش مشاكل.

صمت قليلًا ثم قال:-

نيجى للغلاف، يا ترى فى تصور معين عندك للغلاف؟ وتحب مين يعمله، سيد كنكة، ولا إبراهيم القرد؟

تعجبت لهذه الأسماء الغريبة، فقلت على الفور:-

أنا ما عنديش تصور للغلاف، لكن ممكن أتواصل مع المصمم، وناخد رأى بعض، بس حضرتك شايف أنهى مصمم أحسن؟

قال على الفور:-

والله الإتنين أحسن من بعض، والتنافس بينهم كبير أوى فى السوق، سيد كنكة بيتميز بالمخمخة فى العمل، بيعيش معاه علشان يطلع أحسن حاجة، وسموه سيد كنكة علشان لازم وهو بيشتغل يكون جنبة كنكة القهوة والسبرتاية والشاى، أجدع واحد يعمل السكلنس فى مصر، أما إبراهيم القرد، فده حكايته حكاية، إنت بس قول له على فكرة روايتك وسيبه، هيفضل يتنطط لغاية ما يعمل لك الغلاف اللى إنت عايزه، علشان كده سميناه القرد.

لماذا لا أستطيع أن أقاطع هذا الرجل وهو يتحدث، إن لحديثه وقع السحر على النفس، لا تملك أمامه إلا أن تندهش، وتطيعه على الفور، وهذا ماحدث معى وأنا أقول:-

اللى حضرتك تشوفه فى مصلحتى إعمله.

صمت قليلًا ثم قال:-

خلاص توكلنا على الله يبقى القرد، بس ده هيكلفك ألف جنية كمان زيادة فوق الحساب.

نظرت إليه مستعطفًا، قبل أن أقول:-

حضرتك مش شايف إن كده كتير شوية.

تغيرت ملامحه على الفور وتحولت إلى غضب كاسح رهيب، وهو يرفع مصحف ضخم موضوع بجانبه على عينيه ويقول بصوت مرتفع غاضب:-

والمصحف ده على عينى، وحياة ولادى، أنا كده يبقى هدفع من جيبى.

أسرعت قائلًا:-

أنا أسف والله، أنا معرفش، أنا لسه جديد فى الموضوع ده.

وضع المصحف بجانبه ثم أشاح بوجهه جانبًا وقال:-

خلاص، حصل خير. التقط نفسًا عميقًا ثم قال:-

عايز فنر؟

رددت كلمته متعجبًا، فنظر إلى وقال ساخرًا:-

إيه ما تعرفش الفنر، هو فى كاتب فى مصر ما يعرفش الفنر.

أطلقت العنان لتفكيرى قبل أن أقول:-

حضرتك تقصد بنر.

قلب شفتيه فى عدم رضا، ثم قال متبرمًا:-

اسمه فنر، مش بنر، يا ريت بلاش التسميات الغلط دى علشان هتضيعوا الشباب كده.

هززت رأسى موافقًا لكلامه، قبل أن أقول:-

أيوه عايز فنر، يكون كبير ومن نوع كويس.

أمسك قلم صغير أمامه وكتب عدة أرقام أمامه ثم قال:- يبقى كده المبلغ هيزيد ٥٠٠ جنية.

هززت رأسى موافقًا لكلامه فصمت قليلًا ثم قال:-

بمجرد دخول الكتاب للمطبعة بنعمل حملة دعاية كبيرة فى كل الجروبات الثقافية، والجرايد الإلكترونية،

وبمجرد خروج الكتاب من المطبعة بنبعت لك علشان تيجى تشوفه، وبعد كده بنعمل حفلة إطلاق للكتاب من الدار، والحفلة دى بتكون فى الدار طبعًا، ودى أهم حفلة على فكرة، عايزين نعمل مبيعات كويسة فى الحفلة دى، إعزم،كل أصحابك وقرايبك، وجيرانك، كل واحد يشترى كتابين، واحد يقراه والتانى يحتفظ بيه، وطبعًا كل كتاب الدار هيكونوا معاك وهيساندوك، وهيقفوا معاك وقفة رجالة، بعد كده بنوزع الكتاب على جميع مكتبات الجمهورية، وكمان خارج الجمهورية، إحنا الكتب بتاعتنا بتروح كل دول العالم تقريبًا، ها، نمضى العقد دلوقتى؟

أجبته قائلًا على الفور:-

أه طبعًا، طبعًا.

ارتفع صوت خطوات أنثوية فى هذه اللحظة داخل المكان قبل أن تقول صاحبتها:-

أنا جِبت الحاجة يا دكتور.

أشار إليها قائلًا:-

سيبيها عندك وجهزى صورتين عقد علشان هنمضى عقد كتاب الأستاذ دلوقتى، هو كتابك إسمه إيه صحيح؟

اجتاحت الدهشة معالم وجهى مع سؤاله، وقبل أن أجيبه ارتفع رنين هاتفه النقال، فالتقطه على الفور دون أن ينتظر إجابتى وقال:-

ألو.

صمت لثوانٍ قليلة قبل أن تهلل أساريره فرحًا وهو يقول:- الحمد لله، ألف حمد وشكر ليك يا رب، أنا قدامى شوية وهاجى علطول، مع السلامة.

أغلق الهاتف ثم التفت إلى وقال والسعادة تغمر قسمات وجهه:-

وشك حلو على.

ابتسمت بدورى وأنا أقول:-

الحمد لله، خيريا دكتور؟

انفرجت شفتاه ليجيب عن سؤالى، ولم أكد أسمع إجابته حتى ارتفع حاجبى، حتى وصلت لمنابت شعرى، فقد كانت أغرب إجابة يمكن سماعها فى هذا الوقت على الأقل.

****

- بيس ٢٠١٤

رددت هذه العبارة وأنا أنظر إلى وجه البهظ فى حيرة، قبل أن أسكت لثوانٍ ثم أقول متسائلًا:-

حضرتك تقصد...

قاطعنى قائلًا:-

بالظبط كده، لعبة بيس ٢٠١٤، وبالأبديت بتاعها كمان، ما تتصورش أنا وأصحابى تعبنا قد إيه علشان نجيبها، أكتر من شهرين واحنا بندور عليها، لغاية ما واحد معرفة جابها معاه من الخليج، وهييجى النهاردة من السفرووواحد صاحبى هيقابله فى المطارويخدها منه.

ابتسمت فى قرارة نفسى من بساطة الرجل وطيبته الواضحة فى حديثة التلقائى معى وهو الذى لم يرانى من قبل، ولكن هذا لم يمنعنى من سؤاله قائلًا:-

هو حضرتك بتلاقى وقت علشان تلعب فيه يا دكتور؟ أعتقد إن الشغلانة بتاعتكم دى بتخلى الواحد مشغول ليل نهار.

أجابنى على الفور قائلًا:-

أكيد طبعًا.

ثم اعتدل فى مكانه وأكمل حديثه قائلًا بهدوء:-

بص يا أستاذ أنا ارتحت لك جدًا، وعلشان كده هتكلم معاك براحتى، أنا بنزل

من بيتنا كل يوم الساعة سبعة الصبح، لإنى ساكن بعيد، وبركب مواصلات كتير، طبعًا إنت بتسأل نفسك دلوقتى معقول ما عندكش عربية وانت صاحب دار نشر، هجاوب على سؤالك بكل هدوء وثقة وأقول لك لا، ما عنديش عربية، لإن شغلانة النشر فى مصر مش مربحة، يا حبيبى أصحاب دور النشر هم أمناء على فلوس الناس، لازم يحافظوا عليها، ويتقوا الله فى شغلهم وفى فلوس الناس، صدقنى لو قلت لك إن عينى ما بتشوف النوم من ساعة ما عملت دار النشر دى، المهم أكمل لك كلامى، بوصل للدار فى حدود الساعة ١٠، فى أوقات بروح على المطبعة على طول، لو فى كتاب بيتطبع وقرب يخرج للنور، علشان أشوف أخباره إيه، وفى أوقات تانية بروح على بتوع الأغلفة علشان أستلم منهم الأغلفة الجديدة، وبعد كده برجع على المكتب، علشان أباشر باقى الأعمال من هنا، لغاية ما ييجى على الليل من غير ما أحس، يوم الجمعة هو اليوم الوحيد اللى برتاح فيه، باخده أجازة من أوله لآخره، بلعب مع ابنى على البلاى ستيشن، ولازم أروح أزورست الحبايب علشان أخد البركة.

تعجبت لبساطة الرجل فى حديثه معى، وعدم تكلفه، ولكن ما كان يثير حنقى هو اهتمامه فى أوقات كثيرة من لقائنا بحاسبه الآلى، ففى أوقات كثيرة يلتفت إليه وتعبث أصابعه بأزراره دون النظر إلى حتى أننى فى بعض الأحيان كنت أشعر أنه لم يسمعنى وأنا أتحدث.

دكتور..

نادته الفتاة فالتفت إليها بسرعة ووجهه متجهم فقالت على الفور:-

فتحنا منفذ جديد للتوزيع.

سألها قائلًا:-

فين؟

قالت وهى تنظر إلى حاسبها الآلى باهتمام:-

فى بلاد السندستان، بعتوا لنا إيميل دلوقتى بيطلبوا ٥٠ نسخة من كل عمل من أعمالنا.

التفت إلى وقال وهو يبتسم فى ارتياح:-

مش بقول لك وشك حلو عليا، خبرين حلوين فى أقل من نص ساعة.

قال على الفور موجهًا حديثه للفتاة:-

جهزى لهم الشغل دلوقتى وجهزى نفسك علشان توديه لشركة الشحن، وبلاش تركبى تاكسى زى المرة اللى فاتت، إركبى الأوتوبيس أو خدى الميكروباص من أول الشارع.

معقول يا دكتور هاخد معايا الشغل ده كله وهركب أوتوبيس أو ميكروباص، ده يرضى ربنا ده.

استشاط غضبًا وهو ينظر إليها ويقول:-

أنا مش قاعد على بنك، دى فلوس ناس، ولازم نتقى ربنا فيها، ده شغلك، إتصرفى.

- طب بعد إذنك عايزاك دقيقة.

قالت الفتاة عبارتها وهى تقوم من مقعدها بالفعل فاستأذن منى البهظ، ثم قام لينفرد بالفتاة فاسترقت السمع لأجده يقول لها بصوت خفيض حاد:-

عايزه إيه؟

نظرت إليه نظرة مستعطفة ثم قالت:-

بعد إذنك عايزة أقبض، النهاردة تسعة فى الشهر وأنا ورايا التزامات، ده أنا سالفة فلوس المواصلات من ماما.

قال لها على الفور:-

مفيش فلوس دلوقتى، أجيب لك منين؟ خليها بكرة.

اتسعت عيناها فزعًا وقالت:-

بكرة!!! مستحيل، بقول لك مش معايا فلوس أروح بيتنا.

لوح بكفه قائلًا فى ضجر:-

استلفى من أى واحدة من صاحباتك، بس أهم حاجة تودى الشغل لشركة الشحن النهاردة.

فردت كفها أمام وجهه وقالت:-

طب هات فلوس الميكروباص.

وضع يديه فى جيبه ثم أخرجهما فارغتين وهو يقول:-

لو معاكى إنتى هاتى.

أشارت إلى درج مكتبه وقالت:-

الراجل لسه مديك فلوس وانت حطيتها فى الدرج.

زم شفتيه غاضبًا ثم قال:-

إنتى بتتجسسى عليا!!!، أنا ورايا بلاوى متلتلة، لسه ورايا فلوس المطبعة علشان الكتب المحجوزة هناك، وفلوس الأغلفة المتأخرة، وقسط الغسالة، والديك فريزر اللى فى البيت، أجيب لكم منين، يلا يلا بلاش كلام فارغ جهزى العقد بتاع الأستاذ من صورتين وهاتيهم علشان نوقع العقد ونخلص.

لم ينتظر إجابتها، بل تركها فى مكانها تضرب قدميها فى الأرض مثل الاطفال، وذهب إلى مكتبه مرة أخرى وهو يبتسم فى وجهى قائلًا:-

إنت منورنا النهاردة.

رددت تحيته بهدوء، وما هى إلا لحظات ووجدت الفتاة تقول:-

العقد جاهز يا دكتور.

رد على الفور قائلًا:-

هاتيه هنا علشان الأستاذ يشوفه.

ناولته صورتين من العقد، أخذ واحدًا وأعطانى الآخر، ثم قال بلهجة عملية:-

إقرا العقد براحتك، ولو فى أى حاجة عايز تستفسر عنها قول لى.

قرأت العقد بند بند، كان العقد يتضمن شكل الكتاب ومواصفاته واسمه، ونسبتى من العقد التى وقفت عندها هى ومدة العقد فرفعت رأسى إليه وقلت:-

نسبتى ٢٥ فى المية بس، ده أنا دافع حق الطباعة بالكامل، وبعدين مدة العقد ٣ سنين، والمحاسبة بعد سنة من وقت خروج الكتاب، حضرتك شايف إن ده كده مظبوط؟

تراجع فى مقعده وعلى شفتيه ابتسامة واثقة قبل أن يقول:-

على فكرة مش هتلاقى دار نشر تعمل اللى احنا بنعمله هنا، ولا حتى بيكون عندهم مصداقية فى عدد الكتب اللى بتطبع، إحنا بنطبع ١٠٠٠ نسخة على طبعتين، طبعة أولى ٥٠٠ وطبعة تانية ٥٠٠ برضو، وعندنا أكتر من ٨٠ منفذ توزيع للكتب، ده غير منافذ التوزيع اللى فى الدول العربية والأوروبية كمان، يعنى مش هتبقى خايف على كتابك، وتأكد إن كتابك هيكون فى إيد أمينة، يا أستاذ ده حتى أمينة بتنشر عندنا.

قال عبارته الأخيرة ثم أطلق ضحكة ساخرة عالية، ثم أكمل حديثه قائلًا بجدية مفاجئة:-

وبعدين حضرتك دافع نص حق الطباعة بس، مش كلها والدار دافعة النص، علشان كده نسبتك ٢٥ فى المية بس، واسأل دور النشر التانية عن مدة العقود والمحاسبة، ولو لقيت غير اللى بقولهولك يبقى لك حق.

ثم أمسك بالمصحف مرة أخرى وقال:-

والمصحف ده، وحياة عيالى ولا أعدمهم كلهم فى وقت واحد، أنا بدفع من جيبى، علشانكم.

ابتسمت بهدوء قبل أن أقول:-

يا دكتور أنا سألت قبل ما آجى هنا وسمعتك سابقاك، أنا موافق على كل شروط العقد.

أعقبت كلماتى بتوقيعى على العقد ووضع رقم بطاقتى بجانب الإمضاء، ثم ناولتهم له فأخذ نسخة وأعطانى الأخرى وهو يبتسم ويقول:-

مبروك.

ثم تذكر شيئًا هامًا فقال على الفور:-

إستنى.

ثم نادى على الفتاة مرة أخرى وقال:-

عايزينك تصورينا صورتين علشان نرفعهم على النت.

زمت شفتيها متبرمة ثم قالت:-

حاضر.

التقطت كاميرا صغيرة من درج مكتبها ثم أخذت تلتقط عدة صور لى وأنا اوقع العقد مع البهظ قبل أن تقول:-

تمام.

قمت من مكانى وأنا أقول:-

طب أستأذن أنا دلوقتى.

قام من مكانه وصافحنى قبل أن يقول:-

بعد أسبوع من دلوقتى هييجى لك الغلاف علشان ناخد رأيك وبعدها بأسبوعين هنبعت لك الرواية بعد التصحيح علشان تراجعها، وبعد كده تدخل الطباعة يعنى على معرض الكتاب إن شاء الله، ممكن تستلم الكتاب.

رددت كلمته الأخيرة ثم أكملت قائلًا:-

مش ده وقت طويل أوى علشان الرواية تخرج من المطبعة، يعنى لسه شهرين.

ترك يدى ثم قال وهو يعقد ساعديه أمام صدره:-

لازم الكتاب ياخد دوره فى المطبعة، لإن فى كتاب كتير ليهم كتب قبلك، ولازم كل واحد ياخد حقه، على العموم أنا بتفق دلوقتى مع مطبعة تانية علشان تنجز لى الشغل، ما تقلقش، أنا يهمنى الكتاب يطلع للنور زيك بالظبط، وبعدين أنا بحب أدى وقت طويل للكاتب، والله الكتاب لو طلع قبل كده خير، هنعمل حفلة التوقيع بعد ما نحدد ميعادها على الفيس، ونوزع الكتاب على المكتبات، ولما ييجى معرض الكتاب يحلها حلال.

لم أتفوه بكلمة واحدة بعد كلماته الحاسمة، والتى شعرت معها بِكَمّ التعب والمجهود الرهيب الذى يقوم به لنشر الثقافة فى مصر، صافحته مرة أخرى فبادرنى قائلًا:-

معاك عربية؟

أجبته على الفور:-

لأ، كل مشاويرى بعملها بالتاكسى، وهو مستنينى تحت.

قال وهو يبتسم فى رجاء:-

طب ما تاخدنى معاك فى سكتك، إنت ساكن فين؟

أجبته وأنا أنظر فى ساعتى:-

فى مدينة نصر، بس عندى مشوار الأول فى الهرم، وبعد كده هروح على البيت.

قال لى وهو يلملم أشياءه من على المكتب بسرعة:-

جميل يعنى نفس الطريق، أنا رايح وسط البلد.

نظرت إليه مستغربًا، لتحدثنى نفسى فى هذه اللحظة وتقول:-

طب ليه ما يخدش هو تاكسى وينزل فى أى وقت، ولكننى أجبتها على الفور قائلًا:-

يمكن عايز يكمل كلامه معايا واحنا فى الطريق.

جهزى نفسك يا آنسة، وجهزى الكراتين اللى هتتشحن، هننزل مع الأستاذ دلوقتى، هياخدنا فى سكته.

حاضر يا دكتور.

ردت عليه الفتاة ثم أسرعت بدورها لتجهز كراتين الشحن، فقلت له متسائلًا:-

هو حضرتك دكتور فى أى نوع من أنواع الأدب؟

أجابنى قائلًا على الفور:-

فى البواسير.

سألته مرة أخرى كى أتأكد من الإجابة فقال لى مرة أخرى:-

البواسير، إيه عمرك ما سمعت عن دكتور جراح تخصص بواسير؟

أجبته قائلًا:-

لأ طبعا سمعت، لكن إيه علاقة البواسير بالأدب؟

ابتسم قائلًا:-

علاقة وثيقة طبعا، فى البواسير بنريح المريض من الألم، وفى الأدب بنريح القارئ وندخل السرور على قلبه بالكتاب الجيد، وبعدين دى حكاية طويلة هحكيها لك بعدين، أستأذنك أدخل الحمام ثوانى قبل ما ننزل.

تكلمت على الفور قائلًا:-

إتفضل حضرتك.

قمت من مكانى أتجول فى المكان حتى ينتهى هو والفتاة من صنيعهما، حتى وصلت لمكتب الفتاة فألقيت نظرة على حاسبها الآلى، لأرى جزءًا من عملها الذى يشغلها منذ أتيت إلى المكان، لتتسع عينى عن آخرهما، فما رأيته لم يكن له أى صلة بالأدب إطلاقًا فأسرعت إلى مكتب البهظ لأرى ما على شاشة حاسبه هو الآخر لأجد نفس ما رأيته على حاسب الفتاة، لعبة كاندى كراش، هى فى المرحلة ال ٥٠ وهو فى المرحلة ال٥١ إذًا هو متفوق عليها، لذلك كان يبتسم من حينٍ لآخر وهو ينظر إلى حاسبه ثم إليها.

يللا يا أستاذ.

انتفضت فى مكانى وأنا أتحرك بسرعة لأعود لمقعدى مرة أخرى، لأجد البهظ يخرج من الحمام بهدوء وهو يوجه عبارته لى، فقمت من مكانى وقلت وأنا أبتسم ساخرًا:-

يللا يا دكتور.

سبع كراتين متوسطة الحجم أعدتها الفتاة، فنظرت إليها وقلت والدهشة تنهش دواخل نفسى:-

كل دى كراتين.

رد على البهظ قائلًا وهو يحمل إحدى الكراتين بسرعة:-

دول خفاف يلا يلا إيدك معانا، هنحطهم فى الأسانسير وهنركب التاكسى علطول.

رن هاتفه المحمول فى هذه اللحظة فالتقطه دون أن يترك الكرتونة ثم قال:-

أهلًا أهلًا يا أستاذ.

قال عبارته ثم صمت لنصف دقيقة كاملة قبل أن يبتسم قائلًا:-

تمام، هكلمك بالليل.

أنهى مكالمته على الفور ثم التفت إلى وقال:-

المرة دى خبر حلو ليك إنت يا أستاذ.

خير، اللهم اجعله خير.

نطقت عبارتى وعينى تتعلقان بشفتى الهظ منتظرًا إجابته بلهفة، ليفاجأنى ونحن ندخل المصعد قائلًا:-

قلبى مرفرف زى الطير.

قالها ثم أطلق ضحكة عالية ساخرة وهو يلاعب لى حاجبيه، فضحكت على الرغم منى، من إجابته الغريبة، وقبل أن أتم ضحكتى تجهم وجهه على الفور واكتسى بجدية مفاجئة قبل أن يقول وهو يضع الكراتين فى التاكسى بعناية:-

عندك لقاء بكرة فى التليفزيون إن شاء الله، الساعة تسعة الصبح.

ارتجف قلبى فى مزيج عجيب جمع بين الرهبة والفرحة، والمصعد يصل بنا إلى الدور الأرضى، عند سماعى لكلماته، مبنى التليفزيون المصرى، ذلك المبنى الذى كنت لا أراه إلا فى التليفزيون فى تترات المسلسلات القديمة وبعض الحديثة، سأكون هناك بداخله، وسيرانى الجميع على الهواء مباشرة، ابتلعت ريقى بصعوبة وقلت متسائلًا بصوت خفيض:-

أنا هطلع فى التليفزيون؟

ابتسم ساخرًا ثم قال وهو يشير لى وللفتاة بركوب التاكسى وكأنه صاحبه:-

إيه خايف ولا إيه، بص أنا هفهمك، أنا أعرف معدين كتير فى التليفزيون المصرى، وعلاقاتى غير محدودة، زى باقات النت بالظبط، يعنى تقدر تقول إنى أعرف طوب الأرض، من صحافيين ونقاد ومراسلين ومذيعين ومذيعات، أنا بعمل

كل حاجة علشانكم وعلشان الكتب بتاعتكم تاخد الشو الإعلامى اللازم، كنوع من أنواع الدعاية، علشان كده كل فترة المعدين بيكلمونى علشان لو فى كتاب جديد عايزين نتكلم عنه، فبودى لهم الكاتب اللى أنا عايزه وعارف إنه هيشرفنى هناك، ودى فرصتك، يلا ورينى شطارتك .

التفتت إليه لتقابلنى ابتسامته الهادئة الواثقة من المقعد الخلفى للسيارة المنطلقة إلى منطقة وسط البلد، فقلت له وأنا أحاول تمالك نفسى من فرط سعادتى:-

طب الكتاب لسه حتى ما طلعش الغلاف بتاعه، هتكلم عنه إزاى وهنعمل له دعاية إزاى؟

ابتسم ابتسامة الواثق من نفسه ثم قال:-

مش مهم، كل ده مش مهم، هتجهز ملخص لكتابك وهديك رقم تليفون المعد اللى هناك هتكلمه وتقول له ملخص الكتاب، وبيتكلم عن إيه وفكرته إيه علشان يحط الأسئلة اللى هيسألك فيها المذيع، وبعد كده الموضوع سهل.

أخذنى الصمت لثوانى قليلة قبل أن أقول متسائلًا مرة أخرى:-

طب والغلاف، مش لازم غلاف الكتاب يتعرض على الشاشة فى التليفزيون، أنا كنت بشوف اللقاءات دى فى التليفزيون، وكان ده اللى بيحصل؟

مال بجذعه إلى الأمام ثم قال هامسا:-

لما نتغدى الأول هقول لك.

ثم سكت قليلًا قبل أن يقول وهو يضرب جبهته بكفه اليمنى ويقول بخبث:-

أه صحيح نسيت إنك عندك مشوار ضرورى بعد ما توصلنا، خلاص هكلم التليفزيون أخليهم يأجلوا اللقاء لغاية ما تبقى فاضى.

لا أرجوك، ده حلم حياتى، يغور المشوار، المهم لقاء بكرة.

هز رأسه متفهمًا ثم قال على الفور:-

خلاص يبقى ننزل الآنسة فى رمسيس، ونروح على عم مليجى البلطى بتاع السمك اللى فى معروف ونكمل كلامنا هناك.

تكلمت الفتاة فى هذه اللحظة قائلة بصوت غاضب:-

طب وأنا مش هتغدى معاكم، أنا جعانة أوى وعطشانة أوى.

نظر إليها باستخفاف قبل أن تتغير معالم وجهه فى ثانية ويقول غاضبًا:-

طب والشغل ده مين هيوديه لشركة الشحن؟

أنا مالى إنتى جعانة ولا شبعانة، هو أنا خلفتك ونسيتك.

ردت الفتاة على الفور ودموعها تترقرق فى عينيها:-

طب أنا عايزة أقبض، أنا ما قبضتش لغاية دلوقتى.

رد عليها قائلًا على الفور:-

بس يا بنت، إيه قلة الأدب اللى بقيتى فيها دى، احترمى نفسك، طب والله لو ما سكتى دلوقتى لأنزلك وأخليكى تكملى المشوار مشى لغاية الشركة.

همهمت ببعض كلمات غاضبة، قبل أن تدير وجهها ناحية نافذة السيارة التى اقتربت من ميدان طلعت حرب، واقتربت من هدف فؤاد فى هذه اللحظة، محل أسماك عم مليجى البلطى.

****

لم أتمالك نفسى من الضحك وأنا أرى فؤاد يقوم بنفسه ليأخذ الطلبات التى طلبها من محل الأسماك ويرصها بنفسه على المائدة الصغيرة التى جمعتنى معه على إحدى الأرصفة القذرة التى يتميز بها شارع (معروف) فى وسط البلد والذى يشتهر بمحلات سمكرية السيارات، والباعة الجائلين، يقع محل عم مليجى فى منتصف إحدى هذه الأرصفة، على بعد ٥٠ متر فقط من محل أبو طارق أشهر محل كشرى فى مصر بأسرها، والذى له شهرة عالمية أيضًا وبلا منازع.

بدأ فى تناول الطعام بنهم شديد وكأنه يأكل فى آخر زاده، لقد طلب لنفسه فقط نصف كيلو جمبرى جامبو وسمكتين بلطى ومثلهما قشر بياض وطبق كبير جدًا من الأرز وخمسة أرغفة ناهيك عن السلطات التى ملأت المنضدة، ظل يأكل لعشر دقائق كاملة دون أن يفتح فمه إلا لتناول الطعام فقط.

دكتور..

رفع رأسه عن طبق الأرز الكبير الذى بات على علاقة غير شرعية به، ثم نظر إلى نفس نظرته المتجهمة وكأنه يرأنى لأول مرة، قبل أن يمسح فمه بظهر كفه ويقول متبرمًا:-

إيه، فى إيه؟

أجبته على الفور قائلًا بلهفة:-

هنعمل إيه بكرة بالنسبة لغلاف الكتاب اللى لسه ما اتعملش من الأصل؟

أجابنى قائلًا بفم مملوء بالطعام بعد أن استمر فى تناوله وأنا أتحدث إليه:-

مممممفففهه، عععثثة، ييكملنتتل.

نظرت إليه محاولًا فهم ما يقول، قبل أن أسأله مستفسرًا:-

نعم، مش فاهم حضرتك بتقول إيه.

لم يعِرنى أى اهتمام حتى ابتلع ما فى فمه تمامًا من طعام، ثم شرب وراءه كوبين من الماء وزجاجتين كبيرتين من المياة الغازية، ثم تجشأ بصوتٍ عالٍ ذكرنى بصوت أنين ذكر الضفدع فى موسم التزاوج قبل أن يتراجع فى مقعده ويقول:-

هنحط على الشاشة صورتى أنا وتحتها لوجو الدار.

عقدت حاجبى قبل أن أقول:-

إزاى، ده الكتاب بتاعى واللقاء معمول علشانى أنا مش حضرتك.

مال علىَّ قليلًا ثم قال ساخرًا:-

وهو أنا وانت إيه، مش واحد، ثم إن أى دعاية هتتعمل هتكون ليك إنت وللدار برضه، هنحط صورتى أنا ومعاها لوجو الدار، وانت هتطلع على الشاشة، نبقى كده خالصين، هتتكلم عن كتابك باستفاضة زى ما المعد هيقول لك فى كيس اللب و.....

قاطعته متسائلًا:-

كيس اللب!!! حضرتك تقصد الإسكربت اللى فيه الأسئلة.

لَوَّحَ بكفه فى ضجر ثم قال:-

مش مشكلة الأسماء، ليه بنقف عند التفاصيل، المهم إنك فاهم قصدى إيه، طبعًا هتذكر اسم الدار بتاعتى بكل خير وإنها من أفضل دور النشر فى مصر فى الوقت الحالى، ولازم طبعًا تذكر اسمى قبل أى حاجة، وكمان تتكلم عن التعب اللى الدار تعبته فى كتابك علشان يخرج بصورة مشرفة للوسط الثقافى، لو عملت اللى بقول لك عليه مش هاخد منك باقى الفلوس اللى عندك، وقبل الميعاد بتاعك بنص ساعة هكون مجهز الريسيفر بتاعى علشان أسجل لك الحلقة، علشان نرفعها بعد كده على صفحة الدار على الفيس بوك، وكمان فى الجروبات الثقافية كلها، وانت كمان لازم تعمل كده.

لم أملك إلا أن أوافق على كلماته الحازمة، وانطلق عقلى يعد تصورًا للقاء الغد الذى هو حلم حياتى.

- يا ريس، يا ريس

نادى فؤاد على عم مليجى البلطى وهو يضع يده فى جيبه فأسرعت أقول وأنا أمسك بيده:-

لا والله يا دكتور ما ينفعش الحساب عندى والله.

ابتسم ولم يرد على، ثم التفت إلى عم عبده الذى أتاه مسرعًا وقال:-

عايز ٢ كيلو جمبرى جامبوزى اللى أكلته دلوقتى، و٢ كيلو بورى مشوى، وزيهم بلطى، وما أوصيكش على الرز والسلطات والعيش، عايز تظبيطة من الآخر.

هز الرجل رأسه موافقًا لكلام البهظ وانطلق ليجهز الطلبات على الفور فى نفس اللحظة التى التفت إلى البهظ وقال مبتسمًا تلك الابتسامة السمجة والتى تحتار فى تميزها:-

خلاص هسيبك تدفع الحساب المرة دى، علشان أول مرة ناكل مع بعض.

قلت فى قرارة نفسى، لقد أكلت وحدك فأنا لم أضع يدى فى الطعام منذ أن جلسنا، لقد كنت تأكل وكأنك خلقت لهذا، حتى أنك كنت تقطر عرقًا من سخونة

الجو وسخونة حوارك مع الأسماك، وأصبحت تشبه الحنفية التى ينقصها جلدة كما يقولون فباتت تقطر ماءًا طوال الوقت، ولكن كل هذا لم يشغل بالى، ولا حتى المبلغ الباهظ الذى دفعته وقتها، فقد كان ما يشغلنى بالفعل هو لقاء الغد، وظهورى على الشاشة الصغيرة، ولكن ما حدث لم يكن فى الحسبان، لم يكن ليتوقعه أى مخلوق على وجه الأرض ولا حتى تحت الأرض، لقد كان لقاءًا غير عادى.

****

- الهاتف الذى طلبته ربما يكون مغلقًا.

أكثر من عشر محاولات للاتصال بالفسل، ولا أجد إلا هذه الإجابة السخيفة، لقد كان هذا فى صباحية اليوم الموعود، موعد اللقاء التليفزيونى، لقد جافانى النوم، وقرر أن يلملم أشياءه ويرحل عن عينى فى هذه الليلة، فلم يغمض لى جفن، القلق كان رفيقى طوال الليل، وانطلق عقلى يرسم تصورًا للحلقة، واندفعت الأسئلة كالسيل الجارف فى رأسى، هل سأستطيع الحديث أمام الكاميرات وخاصة أن اللقاء كان على الهواء مباشرة، أى كما يقولون (الغلطة بفورة (، لقد تحدثت إلى طوب الأرض من عائلتى وأصدقائى وجيرانى وكل من يعرفنى وأعرفه كى يستيقظ مبكرًا حتى يرانى فى التليفزيون المصرى، وعلى الهواء مباشرة، ولقد عرض على الكثير من الأصدقاء بتسجيل الحلقة، فقلت لهم واثقًا، مفيش داعى، متشكر لتعبكم، صاحب الدار هيسجل الحلقة ويتابعها لحظة بلحظة، دا حتى اشترى ريسيفر جديد من اللى بيسجل، علشان يسجل لى الحلقة، وكررت شكرى لهم وكلى ثقة فى وعد البهظ لى بتسجيل الحلقة، جهزت نفسى من السادسة صباحًا، أى قبل اللقاء بحوالى ثلاث ساعات، ولم أتناول إفطارى مبكرًا كعادتى، وارتديت حلة كاملة زرقاء اللون، ورابطة عنق رمادية أنيقة، وركبت سيارة أجرة إلى مبنى التليفزيون، ولأن الشوارع كانت

شبة خالية فى هذا الوقت فقد وصلت سريعًا إلى هناك، وفى تمام الثامنة صباحًا، كنت أخطو داخل ماسبيرو، أقدم خطوة وأتراجع بأخرى، ولكننى تمالكت

نفسى، ولقد كان الاستديو فى الدور الأرضى، حيث توجد القناة التى ستسجل معى الحلقة، جلست فى غرفة الانتظار، وأنا لا أكف عن الاتصال بالفسل ولكن لم أجد إلا تلك العبارة السمجة التى وضعتها شركات الاتصالات فى مصر لخنق المتصل أو لعقابه على انهيار الاتحاد السوفيتى قديمًا.

تقابلت مع الأستاذ المعد، وألقيت نظرة سريعة على الأسئلة التى سيلقيها على المذيع، قبل أن أعطيها له مرة أخرى، وما هى إلا لحظات حتى جاءت فتاة حسناء وأشارت إلى لأتبعها، فقمت من مكانى وتبعتها حتى وصلنا لباب ضخم فالتفتت إلى وقالت بجدية:-

- اقفل تليفونك لو سمحت.

أغلقت الهاتف ثم وضعته فى الجيب الداخلى لسترتى، فى نفس اللحظة التى قام فيها أحد مهندسى الصوت بوضع السماعات الخاصة بى، والتى من خلالها ساتواصل مع المذيع، وما هى إلا لحظات إلا ودخلت من الباب الضخم لتقابلنى مفاجأة أخرى زادت من تعقيد الأمر فى هذا الصباح الغريب، لقد استبدل المذيع باثنين من المذيعات، وكان من الواضح مدى الجدية على وجهيهما، ابتلعت ريقى وتلوت بعض الآيات القرآنية فى أعماقى، قبل أن أنظر إلى الكاميرا، وصوت مهندس الصوت يدوى فى أذنى قائلًا:-

ثرى تو وان

بدأت المذيعة فى إلقاء التحية على المشاهدين بتلك الطريقة التى تشتهر بها معظم المذيعات المصريات قبل أن ترحب بى وتبدأ فى إلقاء الأسئلة قائلة:-

ممكن حضرتك تكلمنا عن كتابك بيتكلم عن إيه؟

اعتدلت فى مقعدى ثم بدأت الإجابة قائلًا:-

الكتاب بكل بساطة بيتكلم عن ال.....

قاطعتنى قائلة:-

جميل جدًا، طب ويا ترى أخد منك وقت قد إيه علشان يخلص؟

عقدت حاجبى وكيانى كله يغلى من مقاطعتها لى قبل أن أجيب عن سؤالها الثانى قائلًا:-

الكتاب ده أخد منى حوالى....

قاطعتنى مرة أخرى قائلة:-

ياه، دا أخد وقت طويل أوى.

أخذت منها المذيعة الأخرى دفة الحديث لتكمل قائلة:-

طب وإيه رأيك فى دور النشر اللى أصبحت منتشرة اليومين دول، وبياخدوا فلوس من الكتاب علشان ينشروا لهم أعمالهم، وفى النهاية الكاتب ما بياخدش حاجة من الأرباح ولا حتى بياخد فلوسه؟

قبل أن أجيب على سؤالها، أشارت إلى وقالت وهى تنظر فى اتجاه الشاشة وتقول:-

ومعانا اتصال من البهظ، صاحب دار نشر البهظ للطباعة والنشر والتوزيع، نفس الدار اللى نشرت الكتاب اللى معانا النهاردة، ونرحب بصاحبها ونقول له، إيه رأيك فى كتاب النهاردة وإيه هى الخطوات اللى مربيها الكتاب علشان يتنشر على الرغم من إنه لسه ما خرجش للنور زى ما الكاتب بيقول.

وعلى الفور انقسمت شاشة العرض إلى نصفين، صورة البهظ بإحداها والنصف الآخر عليه شعار الدار.

تكلم البهظ قائلًا بصوت يغالبه النعاس:-

أنا ما كنتش هنشر الكتاب ده، ورجعته لصاحبه تانى، وقلت له روح عدله وظبطه علشان نقدر ننشره عندنا، وقلت له يعمل إيه، وكمان حطيت له كام فكرة كده لما عملهم وسمع الكلام، الكتاب اتغير خالص، فى كل حاجة، وأنا من هنا بقول إن دور النشر فى مصر عليها عبء كبير أوى فى الفترة اللى جاية، لإن أى كتاب هيخرج من تحت إيديهم لازم يكون قوى علشان دى سمعة الدار وكل واحد لازم يحافظ على سمعته، وبعدين إحنا بنتقى الله فى شغلنا، وعمرى ما بدخل على

بيتى فلوس حرام، دا أنا حتى بدفع من جيبى، لدرجة إنى ممكن أستلف علشان أطلع كتب الناس المتأخرة، ويكون شكلها محترم، ودى رسالتنا ناحية مصروناحية ثقافة بلدنا، تحيا مصر، تحيا مصر، طب قوم نادى على الصعيدى وابن أخوك البورسعيدى والشباب الاسكندرانى، اللمة دى لمة رجال و...

قاطعته المذيعة وهى تشير للمخرج بقطع الاتصال قائلة وهى تبتسم على الرغم منها:-

بنشكر طبعًا دكتور فؤاد صاحب دار نشر اليهظ، ونكمل كلامنا مع ضيفنا النهاردة ونقول له، يا ترى إنت منتظر إيه من الوسط الثقافى فى مصر فى الفترة اللى جاية؟

عدلت من وضع رابطة عنقى قبل أن أقول:-

مصر هتكون بخير لو كل واحد، اهتم بنفسه وحاسبها كويس أوى أول بأول، وساب الناس فى حالها، وابتدأ يكتب حاجة هادفة مش أى كلام وخلاص، الكتاب يا أستاذة بقى فى كل بيت دلوقتى، لازم نتقى الله فى اللى بنكتبه ونبتعد عن الإسفاف، لو كل واحد من الكتاب عمل كده، صدقينى مصر فعلًا هتبقى قد الدنيا، وطبعًا ده مش هيتم من غير مساعدة دور النشر ووزارة الثقافة.

شكرتنى المذيعة قبل أن تنهى الحوار، وقبل أن أغادر المكان ألقيت نظرة أخيرة على شاشة العرض لتقابلنى صورة الرجل الذى كان سببًا فى تغيير حياتى فى الفترة القادمة، ولكن إلى الأسوأ، وهو يبتسم ابتسامته الشهيرة التى تجمع بين الخبث والدهاء والسخرية فى نفس الوقت.

غادرت المبنى وأنا أردد قوله تعالى، حسبنا الله ونعم الوكيل، قبل أن أعاود الاتصال باليهظ مرة أخرى ليرد علىَّ هذه المرة على الفور، فبادرنى قائلًا:-

نجم والله من يومك، كنت منور الدنيا كلها، بس أنا اتكلمت أحسن منك على فكرة.

سألته مباشرة:-

سجلت الحلقة؟

تثائب وهو يقول:-

مش كلها، أنا جهزت كل حاجة من امبارح وقلت للجماعة يصحونى بدرى، وظبطت المنبة، لكن الواد زقلط ابنى الله يسامحه خده وأنا نايم وظبطه على الساعة عشرة علشان يصحى يتفرج على برنامج عالم بمبم اللى بيحب يشوفه كل يوم، ولما رن المنبه صحيت على آخر حتة فى البرنامج اللى عملوا معايا فيها المداخلة، روحت مسجلها على طول، وبعد كده على طول الواد شغل البرنامج بتاعه وفصل التسجيل ثم أطلق ضحكته الشهيرة وقال:-

واد ابن عفاريت.

تصارعت شياطين الغضب بداخلى وأنا أقول بصبر فارغ:-

يعنى كل ده وما سجلتش إلا الأربع دقايق بتوعك إنت وبس، حرام والله حرام، ده أنا صاحى من النجمة علشان الحلقة دى، ربنا يسامحك.

تكلم بوقاحة قائلًا:-

إيه يا عمنا، إيه اللى حصل يعنى، وبعدين أنا قلت لك قبل كده أنا وانت واحد، يبقى لزمتها إيه الحمقة دى، تتعوض إن شاء الله، الدنيا كلها هات وخد، وبعدين أنا هاخدك معايا مشوارين مهمين، والله العظيم وحياة ولادى أول مرة أخد حد من الكتاب معايا فى المشاويردى، جهز نفسك بكرة الصبح، علشان هوريك اللى عمرك ما شفته، ونهارك زى الفل، سلام.

قال كلماته بسرعة البرق حتى أننى لم أستطع الرد عليه، قبل أن يغلق الهاتف على الفور.

أخذت نفسًا عميقًا كى أستطيع السيطرة على أعصابى الثائرة، قبل أن أتخذ قرارى الحاسم، لن أذهب إلى هذا الرجل غدًا..

أبدًا.

****

ولكننى ذهبت معه، فكما يقولون قديمًا، لقد قتل الفضول القط، وهذا ما حدث معى، فعلى الرغم من الموقف القذر الذى فعله معى الهظ إلا أن الفضول كاد يقتلنى وأنا أتقلب على فراشى طوال الليل محاولًا معرفة المشوار الذى سيأخذنى الهظ إليه باكرًا، حتى أن زوجتى أشفقت علىَّ عندما استيقظت من النوم لتجدنى جالسًا فى الشرفة وحدى أحتسى قدحًا من القهوة وعقلى هناك مع فؤاد، وضعت كفها على كتفى فانتفضت فى مقعدى قبل أن تجلس أمامى وتقول:-

إيه اللى مصحيك لغاية دلوقتى؟

أدرت وجهى ناحيتها ثم ابتسمت فى إرهاق قبل أن أقول:-

ما تشغليش بالك، قلقان شوية وهدخل أنام دلوقتى.

تكلمت على الفور وقالت:-

يعنى إيه ما أشغلش بالى، مالك بجد؟

قمت من مقعدى والتقطت كفها ودخلنا إلى الحجرة مرة أخرى وأنا أقول بلهجة مطمئنة:-

المفروض بكرة إن شاء الله هروح مشوارمهم مع الهظ، قال لى إنه هيراضينى بيه، وهيعوضنى عن الموقف السخيف اللى حصل فى التليفزيون، وما رضيش يقول لى إيه هو المشواردە.

ابتسمت فى هدوء قبل أن تقول:-

إن غدًا لناظره قريب، كلها ساعات وتعرف كل حاجة.

هززت رأسى موافقًا لكلامها قبل أن أذهب إلى الفراش، وكلماتها تدوى فى عقلى، ساعات ونعرف كل شىء، ساعات وأحدد هل سأستمر مع هذا الرجل العجيب، أم سأنهى علاقتى به نهائيًا.

****

أنهيت عملى بالمدرسة، أه ... معذرة لقد أخذنى الحديث على هذا الكائن البيضوحطاطى ونسيت أن أخبرك يافندم أننى أعمل مدرس فيزياء منذ أكثر من ١٨

عامًا فى إحدى المدارس الخاصة، وأعتقد أنك تعلم أن مدرسى الطبيعة لا يملكون الوقت كما يملكه باقى البشر، فنحن ندور مع الدنيا كما تدور الرحى، وخاصة اننى لا أعمل فى فصل الصيف، كى أستمتع بإجازتى كباقى الخلق فى هذه الدنيا، المهم أننى فى هذا اليوم ألغيت عملى بعد الظهيرة، وانتظرت أن يتصل بى البهظ، ولكنه لم يفعل، الساعة تجاوزت الثانية بعد الظهر وهو لم يفكر حتى فى أن يعتذر لى عن لقاءنا اليوم، وبينما أنا أستقل إحدى سيارات الأجرة وقد قررت أن اذهب إلى منزلى لأحظى بالغداء مع زوجتى وأولادى فى سابقة يكتبها التاريخ وهو يبتسم لهذا الحدث الجديد الذى سيدونه فى مذكراته على مر الزمان، إذا بهاتفى النقال يصيح بأعلى صوته ليخبرنى أن فؤاد يلح فى طلبى، فكرت فى عدم الرد عليه والذهاب فى طريقى للمنزل كما وعدت زوجتى وأبنائى، وخاصة أننى كنت قد اشتريت دجاجة مشوية وكيلو كفتة من لحم الضأن مع الأرز والشوربة، من أحد المحال المشهورة بالقرب من المدرسة لغدائى مع أسرتى، ولكن كما قلت لكم من قبل، الفضول قتل القط، ركبت سيارة الأجرة وفتحت الهاتف، لأجد البهظ يقول بمرح:-

صباح الفل يا كبير، إيه، إنت فين؟

أجبته على الفور قائلًا:-

مروح .

رد علىَّ باستهجان قائلًا:-

مروَّح على فين يا ريس؟ مش إحنا عندنا ميعاد النهاردة، إنت نسيت ولا إيه؟

أجبته مرة أخرى قائلًا:-

لأ ما نسيتش ولا حاجة، بس إنت ما أكدتش عليا علشان ميعاد النهاردة، فقلت إنت لغيته.

قال وهو يتثاءب بقوة، وبصوت يذكرك بأفلام الرعب التى اشتهر بها ألفريد هتشكوك:-

هههاااااننننممممم، لا أصل أنا راحت عليا نومة فقلت أستنى النومة التانية وأكلمك.

قال عبارته ثم انطلق يضحك ضحكات متقطعة غريبة لنصف دقيقة كاملة حتى أننى أبعدت الهاتف عن أذنى حتى انتهى من فعلته قبل أن أقول:-

طب إيه النظام، أنا جبت أكل وقلت أروح أتغدى مع الولاد فى البيت النهاردة، لما لقيتك ما اتصلتش.

ما أن سمع كلمة الطعام حتى تغير صوته على الفور، من المرح إلى الجدية التامة ثم قال:-

لا لا غدا إيه، إحنا عندنا ميعاد النهاردة علشان نستلم الغلاف بتاعك، من عند إبراهيم القرد، وبعد كده هنروح المطبعة علشان تشوف بعينك نوعية الورق اللى اتفقنا عليها، وكمان تشوف المكان وتتأكد من كلامى، علشان الفترة اللى فاتت حسيت إنك فاكرنى بهرج أو بضحك عليك، يا أستاذ أنا فى الشغل ما أعرفش أبويا، وعلى فكرة أنا استعجلت المصحح الأستاذ سيكا الحنين، أحسن مصحح فى الوسط الثقافى كله علشان يخلص كتابك بسرعة، وكلمنى امبارح وقال لى كتابك خلص وأنا بعته ليك على الميل.

دب الحماس فى أوصالى من كلام البهظ المشجع والذى يدل على أننى ظلمته فى العديد من الأمور، فقلت على الفور:-

طب أنا هجيلك حالًا و.....

قاطعنى على الفور قائلًا:-

لأ، تيجى فين؟ أنا عايزك تقابلنى كمان ساعة فى مدينة نصر، عارفها؟

أجبته على الفور قائلًا:-

طبعًا عارفها، أنا ساكن هناك، عايز نتقابل فين؟

فى عباس العقاد ولا فى أول مكرم ولا فى سيتى ستارز، ولا سيتى سنتر ولا فى....

قاطعنى للمرة الثانية قائلًا:-

فى مقابر الغفير.

اخترقت عبارته أذنى، كرصاصة قوية فألهبت خلايا مخى الرمادية، قبل أن أردد كلماته مرة أخرى قائلًا بدهشة عارمة:-

مقابر الغفير!!!

ثم سألته على الفور:-

هى مقابر الغفير فى مدينة نصر؟

أجابنى ساخرًا:-

إيه إنت مش دارس جغرافيا ولا إيه؟ أومال بتقول ساكن فى مدينة نصر إزاى، هى بالظبط بين المقطم والعباسية لكن أنا بحب أدلعها علشان كده بقول عليها فى مدينة نصر، يلا بقى علشان أنا رايح على هناك، ما تروحش هنا ولا هنا تعالى على طول.

لم أملك إلا الرضوخ لكلامه وأنا أقول للسائق على العنوان، وما هى إلا ثلاث أرباع من الساعة إلا ووجدته فى انتظارى على أحد مداخل تلك المقابر التى تقع فى أقصى المنطقة الشمالية من قلعة الجبل، رحب بى كعادته قبل أن يأخذنى بالأحضان ويقبلنى، وفجأة اختطف منى الكيس الذى يحوى بداخله طعام الغداء الذى تنتظره زوجتى لأتناوله معها ومع الأولاد، وخاصة أننى أبلغتها بألا تصنع طعامًا اليوم لأننى سآتى به.

- عنك عنك.

قالها وهو يقلب فى كيس الطعام من الخارج، فتركته له وأنا أتلفت حولى باحثًا عن أى مخلوق يوحد المولى عزوجل فى هذا الشارع الذى نقف عند أوله، فالتفت إليه لأساله عن وجهتنا فوجدته يتشمم كيس الطعام وهو يغمض عينه فى هيام وتلذذ قبل أن يفتح عينيه الناعستين ببطء ويقول هائمًا:-

الله ينور عليك، ريحة الأكل جنان.

لم أملك إلا أن أقول:-

بالهنا والشفا، بس إحنا هنمشى منين، أنا شايف الطرق كلها شبه بعض.

أجابنى قائلًا:-

ما تشغلش بالك، تعالى معايا.

قال عبارته ثم تركنى وتحرك أمامى فى خط مستقيم فتبعته على الفور، فإذا به ينعطف يمينًا بسرعة ثم يسارًا بخطوات أسرع، فصنعت مثل صنيعه، دون وعى منى ولا تفكير، استمريسيرعلى هذا الوضع لعشردقائق كاملة قبل أن يتوقف تمامًا، لأجد نفسى فى أحد الأزقة الضيقة تمامًا والتى تتميزبها مناطق المقابرفى مصربأكملها، والتى لا تسع إلا لفرد واحد للعبور من خلالها، أخذت أتلفت حولى والخوف يضرب جدران قلبى بقوة وعنف، ناديت على البهظ ولكنه لم يلتفت إلىّ، كل ما قاله لى وهويعطينى ظهره:-

شششششششششش.

فالتزمت الصمت حتى أرى نهاية لهذا الأمرالغريب.

بندق، يا واد يا بندق.

ارتفعت عقيرة البهظ بهذا النداء، وما هى إلا ثوانٍ حتى سمعت صوتًا يبادله النداء قائلًا:-

يا مبندق.

وإذا بى أجد جزء من الحائط المجاور للبهظ قد تزحزح قليلًا عن موضعه وظهرت من الفراغ بين الحائط والجزء الآخررأس بشرية ضخمة، يحيط بها الشعر من كل جانب، حتى باتت تشبه فروة الخروف قبل ذبحه فى ليلة العيد الكبير، اهتزت الرأس هزات خفيفة، قبل أن تختفى تمامًا، فأشارلى البهظ بأن أتبعه، فتبعته إلى داخل المكان الغريب الذى ما أن عبرته حتى رأيت حوش من أحد أحواش الدفن يستقرفى منتصفه قبرقصيريحمل شاهدين يبرقان بشكلٍ غريب، حتى أن ضوءهما غشا عينى لثوانى، فأغلقتهما للحظات، قبل أن أفتحهما لأجد فؤاد يقول لى وهويشيرإلى سقف المكان:-

أقدم لك، إبراهيم القرد.

نظرت إلى القرد وتيقنت أن لقب القرد لم يكن من فراغ، لقد كان أمامى كائن غريب الشكل له عينان صغيرتان تشبهان إلى حد كبيرعينى القرد، أصلع الرأس

تمامًا، له لحية صغيرة فى منطقة الذقن فقط، وأنف دقيق، أما فمه فقد كانت بدايته من الأذن اليمنى ونهايته عند أول الشارع، نحيل على نحو مثير للشفقة، يرتدى بيجامة مقلمة بالطول، تشبه كثيرًا جلباب شفيق جلال الذى كان يرتديه فى فيلم خلى بالك من زوزو، كان مظهره يجعلك تتعاطف معه لأبعد مدى، وتدعو جميع منظمات حقوق الإنسان والبشرية بأسرها لرعايته والعطف عليه.

لم يكد فؤاد ينتهى من ذكر اسمه حتى اندفع ليسلم علىَّ بحرارة كأنه يعرفنى منذ القدم، قبل أن يتحرك بسرعة ويجلس فى منتصف الحجرة وهو يشير إلينا بالجلوس بجانبه، أشار إلى البهظ بالجلوس بجانبه، فجلست وأنا أنظر بين الفينة والفينة إلى القرد، فأجده يبتسم لى وهو يهز رأسه مرحبًا، كان لا يتكلم، فكل حديثه معنا كان بالإشارات والإيماءات، مال البهظ عليه وهو يشير إلى وإلى كيس الطعام، فقام القرد على الفور بالجلوس على فخذى وأخذ يقبلنى من وجنتى ورأسى وعينى، لم يترك مكانًا فى وجهى إلا وشرفه بالزيارة، قبل أن يفرك كفيه بسرعة وهو ينظر إلى الكيس مترقبًا، ولكن البهظ أغلق الكيس بإحكام ووضعه بجانبه ثم قام ببعض الإشارات السريعة التى يستخدمها الناس فى التعامل مع الشخص الأبكم.

التقط القرد هذه الإشارات لتنقلها عينيه إلى مخه الذى ترجمها على الفور فقام على الفور من على فخذى، ووقف فى منتصف الحجرة لثانية واحدة وهو يدير عينيه فى المكان وكأنه يبحث عن شىءٍ ما، استمر على هذا الوضع لنصف دقيقة كاملة، حتى أننى نظرت إلى فؤاد وأنا أشير إليها مستفسرًا عما يفكر فيه هذا الكائن العجيب، وقبل أن يجيبنى تحرك إبراهيم نحو أحد أركان المكان الأربعة ليرفع غطاء زير قديم ويخرج منه ورقة تشبه أغلفة الروايات، فأعطاها للدكتور وهو يبتسم ويختلس النظر إلى كيس الطعام فى ترقب، تناول فؤاد منه الغلاف قبل أن يفترثغره عن ابتسامة إعجاب ويقول وهو ينظر إليه فى فخر:-

الله ينور عليك يا قرد، حاجة زى الفل.

التفت إلى وهو يعطينى الغلاف ويقول:-

ها إيه رأيك؟ ده الغلاف بتاعك، أظن مفيش حاجة أحلى من كده.

التقطت الغلاف من يديه وألقيت نظرة عليه قبل أن تتسع عينى دهشة مما رأيت فى الورقة، فرفعت رأسى عنها وأنا أنقل بصرى بين الرجلين فى ذهول و..... وفقدت الوعى.

****

أغمى عليك.

نطقها أشرف مقاطعًا كامل وهو يمسح دموعه التى سالت مع ضحكاته العالية، على ما يحكيه مدرس الطبيعة، كان من الواضح أن الحكاية تروق لسيادة المقدم، فمع كل كلمة يلقيها على مسامعه الرجل كان يضحك بملء فيه، مما يؤكد أن الرواية تروق له، قبل أن يكمل الرجل حكايته ارتفع صوت طرقات قوية على الباب، فأذن أشرف لصاحبها بالدخول، وعلى الفور دلف النقيب أحمد إلى المكان وهو يقول بلهفة:-

رانيا عامر رجعت يافندم.

وعلى الرغم من أهمية هذا الخبر بالنسبة لأشرف إلا أن حكاية كامل يبدو أنها كانت تروق له إلى أبعد مدى، فقد لوح بذراعه بلا مبالاة وهو يقول:-

خد قوة وروح هاتها يا أحمد، وما تقاطعنيش تانى.

انطلق أحمد مغادرًا المكان، فى حين نظر أشرف إلى كامل وقال وهو يبتسم:-

ها، وحصل لك إيه بعد كده.

وأكمل الرجل الحديث، وبلا انقطاع هذه المرة.

****

فجأة تحولت الدنيا أمام عينى إلى اللون الأبيض الناصع، مددت يدى محاولًا اختراق هذه السحابة البيضاء، لأجدها تتمزق بين يدى بسهولة ويسر رفعت رأسى فإذا بى داخل أحد القبور، أما اللون الأبيض فقد كان كفنى الذى دثرونى فيه بعناية فائقة، ولكن هل أنا ميت بالفعل؟ ولو كنت ميتًا فما هذا اللون الأبيض

الذى يحيط بى من كل جانب حتى بعد خروجى من الكفن على عكس شدة الظلام الذى تمتاز به القبور، وما هى إلا ثوانٍ قليلة وجاءتنى الإجابة على شكل دفقة من المياة الباردة اصطدمت بوجهى لتلقى بى لأرض الواقع مرة أخرى، اعتدلت فى مكانى لأجد القرد يجلس أمامى مباشرة ويحدق بعينيه الصغيرتين فى وجهى باهتمام شديد، وفى يده اليمنى قلة من القلل القناوى، يشرب منها القليل من الماء قبل أن ينثره من فمه على وجهى، بين الحين والأخر، أشرت إليه بأن يكف عن صنيعه، ثم ضممت ركبتى إلى صدرى وجلست فى مكانى، لأتابع الموقف من جديد، لقد كان فؤاد جالسًا على بعد مترين منى، يتناول الطعام بنهم شديد وبلا مبالاة لما حدث لى قبل أن يرفع عينيه عن الطعام ويقول ساخرًا:-

إيه، سلامتها أم حسن.

لم ينتظر منى إجابة فأكمل حديثة قائلًا وهو يعود لتناول الطعام مرة أخرى:-

أنا عارف إن القرد بيعمل أغلفة جامدة، لكن مش لدرجة إنك تدوخ وتقع وتفرهد مننا كده أول ما تشوف الغلاف، عجبك، صح؟

قبل أن أتكلم أمسك القرد الغلاف وأشار إليه ثم يشير إلى صدره بفخر نظرت إليه ولم أفهم ما الذى يعنيه بهذه الإشارات العجيبة، فنظرت إلى الدكتور وسألته:-

هو بيقول إيه؟

أشار البهظ إلى القرد كى يعود لتناول الطعام معه، فأسرع إليه على الفور وبدأ فى تناول الطعام مرة أخرى، ليلتقط أحد وركى الفرخة ويلقى به بأكمله فى فمه وما هى إلا لحظات وأصبح فى خبر كان، قطع فؤاد تأملاتى للقرد قائلًا وهو يمسح يديه فى التى شيرت الأخضر اللون الذى لا يرتدى غيره:-

بيقول لك إنه تعب أوى فى عمل الغلاف ده، وإن الشغل ده ما بيطلعش غير للحبايب.

أمسكت بالغلاف ونظرت فيه مرة أخرى قبل أن أرفعه أمام وجه البهظ وأقول بصوت يقتله الغضب:-

هو فين الغلاف ده، كل اللى فى الورقة نقطة حبر سوداء فى وسط غلاف أبيض اللون، فين الفن اللى هنا؟ هه، ممكن تقولى فين التعب اللى تعبه؟

نظر البهظ فى عينى ببرود قبل أن يشير إلى الغلاف مرة أخرى ويقول:-

مش الرواية بتاعتك من نوع الخيال العلمى، زى ما بتقول؟

هززت رأسى موافقًا لكلامه فأكمل حديثه قائلًا:-

طب عايز إيه تانى؟ أهم حاجة اليومين دول فى الأغلفة هو الرمزية، هو لازم علشان الرواية خيال علمى يروح راسم لك كائنات فضائية ووحوش وحاجات من اللى السيما خربت بيها عقولكم، الغلاف اللى فى إيدك ده هيحير القارئ ويخليه يسأل عن معناه، وهنا نقدر نرد عليه، رد يتوهه أكتر فيشترى الرواية علشان يقرأها ويعرف سر الغلاف، وبكده تزيد المبيعات ونخلص الطبعة بتاعتك ونعمل غيرها وغيرها والبلية تلعب، علشان تسرسق البصارى وأنشفك دوغرى.

على الرغم من أنى لم أفهم معنى الكلمات الأخيرة التى تفوه بها البهظ، ولكننى سألته قائلًا:-

طب ممكن تقول لى الغلاف ده معناه إيه؟

وأقول لك أنا ليه، ما نسأل اللى عمله أحسن.

قال عبارته وهو يلتفت لإبراهيم القرد ويبدأ فى إرسال إشاراته مرة أخرى التى لم يكد القرد يترجمها حتى قام من مكانه وأخذ يقفز على أربع عدة قفزات قوية، ثم نام على ظهره ورفع قدميه لأعلى قبل أن يقفز ليتعلق بالنافذة الحديدية مرة أخرى وهو يطلق أصواتًا غريبة، تشبه أصوات القرود تمامًا، ثم عاد ليقفز إلى الأرض مرة أخرى ويهرش فى رأسه على نحو سريع ثم ينظر لأصابعه، أكثر من مرة، وفجأة سكت تمامًا وهو يتبادل النظرات مع البهظ الذى هز رأسه متفهمًا، ثم قال:-

بيقول لك إن الغلاف ده أخد منه وقت طويل جدًا، لغاية ما لقى الفكرة دى، ده غلاف رمزى جدًا، بيوصف حال الإنسان بعد هلاك البشرية، وحدوث انهيارات جليدية فى كل مكان على وجه الأرض، وده بيمثله اللون الأبيض، واللى هيحصل

بعد كده إن الإنسان هيتفحم من كتر البرد وقسوته، والإنسان هنا هو النقطة السوداء.

سألته ساخرًا:-

يتفحم من كتر الجليد وقسوته، إزاى ده يعنى؟

وضع كفه على كتفى وقال بلهجة حازمة:-

علشان دى رواية خيال علمى يا أستاذ، يبقى لازم الإنسان يتفحم من الثلج.

قال عبارته ثم اقترب من القرد وأشار إليه ببعض الحركات السريعة والتى عرفت بعد ذلك أنها تعنى أن هذا الغذاء الذى طفحوه سويًا هو حق الغلاف الذى قام بالإبداع فيه ذلك الكائن المدعو إبراهيم القرد.

بالغدا ده يبقى حق الغلاف وصلك يا قرد.

ولكن هذا الرجل لم تكن لترضيه هذه الوجبة فوضع إصبعيه السبابة والوسطى على فمه، فأخرج فؤاد من جيبه علبة سجائر من النوع الردىء والتقط منها واحدة وأعطاها للقرد الذى ابتسم فى سعادة وأخذ يقبله من وجنتيه قبل أن يأخذه بين أحضانه ويبكى من فرط السعادة.

ربت البهظ على ظهر القرد وهو يبتسم بحنان وشفقة قبل أن يقول:-

فنان، والله العظيم فنان.

قال عبارته ثم التفت إلىَّ وقال:-

يلا يا أستاذ علشان قدامنا مشوار تانى مهم، ولسه الطريق طويل.

أشرت للغلاف وقلت على الفور:-

طب والغلاف ده هنعمل فيه إيه؟ خلاص كده خلص الغلاف يعنى؟

ابتسم البهظ وقال موضحًا:-

دى البروفة، ولسه فى تعديلات كتير عليها، سيبه دلوقتى والقرد عارف هيعمل إيه.

تركته له، فناوله للقرد وهو يشير إليه ويؤدى بعض الحركات بذراعيه فيما معناها:-

كده تمام، إعمل الفنش بتاعه بقى، ويللا خرجنا من هنا بقى علشان عندنا مشوار مهم.

أخذ القرد يهز رأسه وهو يتحرك نحو القبر القصير الذى يوجد فى منتصف الحوش، وأزاح إحدى شاهديه بقوة فتحرك القبر بأكمله جانبًا لتظهر درجات سلالم تقود إلى أسفل، أشار فؤاد إلىَّ وقال:-

يلا بينا.

تيبست مكانى وأنا أشير للقبر وأقول والرعب يعصف بكيانى:-

إيه ده؟ إحنا هننزل هنا؟

أمسك البهظ بذراعى بقوة وقال وهو يدفعنى دفعًا نحو القبر:-

ما تخافش ده آخره فى ممر هيخرجنا على الطريق على طول.

تراجعت وأنا أدفع يديه بعيدًا عنى وأقول:-

طب ما نرجع من مطرح ما جينا.

وقف فجأة ثم أشار للقرد وقال:-

هتيجى معايا ولا أسيبك معاه.

نظرت للقرد فوجدته ينظر إلىَّ بحنان ويلاعب حاجبيه ويلقى لى بقبلات فى الهواء، فنظرت لفؤاد وقلت وأنا أمسك بذراعه وأقول راجيًا:-

لأ، خدنى معاك، تحت أهون من القعدة مع البنى آدم ده.

بدأنا ننزل درجات السلم بهدوء، حتى أصبحنا داخل القبر، وفجاة أغلق القرد القبر علينا، ليحل علينا ظلام دامس رهيب، لا نكاد نرى حتى أصابع أيدينا من خلاله، بدأت أتحسس طريقى دون أن أترك ذراع البهظ الذى كان يتحرك بهدوء وثقة داخل المكان وكأنه ولد فيه، وفجأة اصطدمت قدمى بأحد الجثث الموضوعة على الأرض، فأطلقت صرخة مدوية، ثم أتبعتها بأخرى أشد منها عندما ارتفع صوت الرجل قائلًا:-

وحدددددووووه.

ثم بدأ يجد فى السير حتى وصلنا لآخر القبر لنجد حائط كبير، دفعه الهظ ببطء، فانزاح جزء صغير منه يكفى لعبورنا نحن الإثنين، ومع عبورنا أغشى أعيننا ضوء قوى مبهر، لنجد أنفسنا خارج منطقة المقابر، فى نفس المكان الذى تقابلت فيه مع فؤاد قبل أن ندخل لإبراهيم القرد.

وقفت ألهث فى مكانى، وأنا أبتلع ريقى بصعوبة، ثم صافحت الدكتور وأنا أقول:-

أنا همشى دلوقتى، مش قادر بجد، أنا حاسس إنى تعبان أوى.

ترك يدى ثم قال:-

رايح فين؟ والمشوار التانى، مين اللى هيروحه معايا؟

لوحت بيدى وأنا أقول:-

مش قادر بجد، روح إنت.

اقترب منى وقال:-

أروح أنا فين؟ لازم تيجى معايا، علشان تشوف كل حاجة وتعرف شغلنا ماشى إزاى.

وضعت كفى على كتفه ثم قلت:-

أنا واثق فيك، روح إنت مشوارك وسيبنى فى حالى.

ضاقت عينى الهظ ثم قال:-

أيوة بس أنا بقى دلوقتى اللى مش واثق فيك، ولو ما جيتش معايا دلوقتى، كتابك هينزل السنة اللى جاية، إنت حر.

قالها ثم أولانى ظهره واستعد لعبور الشارع، فأمسكت بذراعه وقلت له:-

خد هنا، إنت رايح فين؟ خلاص هاجى معاك بس عايز أعرف إيه حكاية القبر ده، وحكاية الراس اللى كان كلها شعر وفتحت لنا قبل ما ندخل على القرد.

أشار إلى ميكروباص فتوقف على الفور، صعد إلى الميكروباص وهو يشير إلىَّ أن أحذو حذوه، ففعلت ثم قال وهو يخرج أجرة الميكروباص من جيبه ويعطيها للراكب الذى يجلس أمامه ويقول:-

واحد يا ريس.

قال كلمته ثم التفت إلىَّ وقال وهو يبتسم فى سماجة:-

معلش أصل مفيش معايا فكة.

قلت على الفور وأنا أخرج أجرتى وأعطيها لنفس الراكب:-

ولا يهمك.

قال البهظ وهو يتراجع فى مقعده:-

أنا هحكى لك كل اللى عايز تعرفه واحنا فى طريقنا للمعلم بصبوص العترة، الطريق لسه طويل.

عقدت حاجبى وأنا أردد كلمته:-

بصبوص العترة!!! وده يبقى مين كمان؟

نظر إلىَّ فى استخفاف ثم قال:--

هو فى حد فى مصر ما يعرفش مين بصبوص العترة، على العموم قبل ما أقول لك هو مين، عايز أقول لك إن القبر اللى كنا فيه ده، هو المكان الوحيد اللى بيحب يقعد فيه القرد وعمل له مخرج على الشارع علشان لما يتخنق يخرج يتنفس ويرجع تانى، بيقول إن الوحى بييجى له فى المكان ده بالذات، وبيطلع أحسن أغلفة يحكى ويتحاكى بها الناس.

قلت فى سخرية مريرة:-

يحكى ويتحاكى بها الناس، هى دى أغلفة دى.

ربت على فخذى برفق ومودة ثم قال:-

أصبر بس لما تشوف الغلاف ده لما يخلص، والله وحياة ولادى ليكسر الدنيا، أما حكاية الراس اللى طلعت لنا فجأة دى وما لقيناهاش لما دخلت عند القرد، دى يا سيدى تبقى راس القرد برضه، الواد ده من زمان وهو مخاوى، شوية تلاقيه بشعر وشوية من غير شعر خالص زى ما شوفته كده، شوية هادى وشوية جن مصور، وعلى فكرة راس القرد دى اللى اتعمل عليها المثل المشهور اللى كل الناس عرفينه.

عقدت حاجبى وقلت متسائلًا:-

مثل إيه؟

ابتسم وهو يدير وجهه ناحيتى ثم قال:-

هو يعنى إحنا ما نجيش إلا عند راس القرد ونشمها.

ابتسمت على الرغم منى قبل أن أقول وأنا أشير إليه بالسبابة:-

على فكرة إنت بتقول المثل غلط، المثل بيقول

ما نجيش إلا عند.....

قاطعنى قائلًا وهو يضع كفه على فمى ويتلفت حوله:-

اللى قلته لك هو المثل الصح، أسكت هتودينا فى داهية.

اجتاح الصمت أفواهنا، حتى وصل الميكروباص إلى منطقة السيدة عائشة، فنزلنا منه على وجه السرعة، قبل أن نركب ميكروباص آخر متوجهًا إلى منطقة المنيل، ثم ركبنا آخر إلى الكورنيش، ثم آخر إلى منطقة دار السلام، وفى كل مرة أقوم أنا بدفع الأجرة إلى السائق، وعندما وصلنا إلى كوبرى دار السلام الشهير، قال لى الهبظ وهو يصعد إلى الكوبرى سيرًا على الأقدام:-

مش هنقدر نركب تانى لإن الدنيا زحمة فى الحتة دى، هنتمشى شوية.

هززت رأسى موافقًا وأنا أصعد معه الكوبرى، وما أن أصبحنا فى منتصفه حتى اتسعت عينى دهشة وتعجبًا من هول ما رأيت.

****

جموع رهيبة من البشر، تسير فى شارع ضيق، يتوسطه رصيف صغير ليقسم الشارع إلى نصفين، نصف ذهاب والآخر عودة، من المفترض أن هذا الشارع تسير فيه السيارات فى اتجاهين مخالفين، ولكن الأعداد المهولة من البشر كانت تعوق حركة سير السيارات، التى توقفت تمامًا من شدة الزحام، أما أسفل الكوبرى فقد انتشرت عربات الباعة الجائلين وبائعى الخضروات، وغيرها وغيرها من السلع

المعمرة وغير المعمرة، لدرجة أننى شعرت أنه فى أى لحظة سأسمع عن من ينادى على بيع العبيد أسفل الكوبرى.

نظرت إلى رفيقى وأنا أشير إلى جموع البشر التى تتحرك كأسراب النمل التى تتحرك فى همة ونشاط للبحث عن قوت يومها، قبل أن أقول:-

إحنا هنمشى فى الشارع ده؟

أجابنى قائلًا وهو يجد فى السير:-

المطبعة بتاعت المعلم بصبوص فى آخر الشارع ده، وهو ده الطريق الوحيد علشان نوصل له، يللا بسرعة مفيش وقت.

ثم توقف فجأة والتفت إلىَّ ثم نظر فى عينى وقال بجدية:-

إسمع الكلام اللى هقوله لك ده كويس وركز فيه، وحاول تنفذه بقدر الإمكان، الشارع اللى هنمشى فيه ده إسمه شارع فايدة كامل، من أكتر الشوارع شهرة فى دار السلام، وأكترها زحامًا، دار السلام مساحتها مش كبيرة، وعدد سكانها ٤٦٩٧١٥ نسمة مغطيين مساحتها كلها، يعنى كل واحد له مساحة بيتحرك فيها، وده حقه ونصيبه، منطقة عشوائية، يعنى ممكن تتوقع أى حاجة ممكن تحصل لك فى أى وقت، خلى بالك من نفسك، ولو توهنا من بعض خلينا على رنات بقى، معاك رصيد؟

أجبته قائلًا وأنا أخرج هاتفى من جيبى وأرفعه أمام وجهه:-

أه معايا.

هز رأسه ثم قال:-

طب حول لى عشرة جنية.

لم ينتظر منى أى رد على كلامه، بل أولانى ظهره وسار فى طريقه وأنا خلفه، حتى نزلنا من على الكوبرى واندمجنا مع جموع البشر، كان الليل قد طرق أبواب اليوم واستعد لاحتلاله، واستعد أصحاب المحلات لهذا جيدًا فأشعلوا أضواء محلاتهم وأخذ الباعة الجائلين ينادون على بضاعتهم، واختلط الحابل بالنابل على أرض

دار السلام، الفتيات لم تسلم من المعاكسات، ناهيك عن التحرش فى الزحام، والشباب المتسكع على جانبى الشارع قاموا بمهامهم جيدًا فى سرقة عباد الله، وفى غمرة هذه الأحداث وبقوة الدفع ليس إلا، وصلت إلى منتصف الشارع بفضل الله تعالى، ولكننى لم أجد فؤاد، أخذت أتلفت يمينًا ويسارًا باحثًا عنه ولكن دون جدوى، رفعت تليفونى وطلبت رقمه، استمعت لرنين الهاتف ولكن بلا مجيب، وبصبر الجمال وبراعة ميسى التفتت إلى الخلف وراوغت بمهارة أفواج البشر التى قابلتنى وأنا أعود مرة أخرى لأخر مكان تقابلت فيه مع رفيقى، وبعد نصف ساعة من البحث والتقصى، وبعد الغوص فى جالونات من العرق سواء كان من الرجال أو النساء أو غيرها من الكائنات التى تمشى على قدميها أو حتى على أربع، وجدته.

كان يقف عند أحد محال عصير القصب، يرفع كوبًا عائليًا من العصير ويتجرعه مرة واحدة بسرعة البرق، قبل أن يلتقط كوبًا آخر ويصنع به ما صنعه بأخيه، وبجانبه يقف رجلًا يشرب العصير بسرعة محاولًا مجاراة الهبظ ولكن هيهات، لقد كان يواجه ما لا قبل له به، يواجه الهبظ رجل آخر الزمان، اقتربت منه لأجده يقول بأعلى صوته وهو يصفع الرجل على قفاه بقوة:-

كده يبقوا تمانية يا قفل، إيدك على عشين جنية.

لم ينبس الرجل ببنت شفة وهو يضع يده فى جيبه ويخرج العشرين جنيهًا ويعطيها لغريمه الذى التقطها على الفور وأخفاها فى جيبه وهو يقول لصاحب المحل:-

الحساب عند الزبون يا معلم حنتيرة، ليلتكم بتضحك.

قال عبارته والتفت ليجدنى أمامه، فبادرنى قائلًا:-

بقى ده إسمه كلام يا راجل، عمال أدور عليك من الصبح، روحت فين؟ أنا لما زهقت من كترما بدور عليك ومالقيتكش قلت أشرب لى كوباية عصير عقبال ما تيجى.

أشرت إلى أكواب العصير الثمانية وأنا أقول:-

كوباية عصير!!! دول تمانية.

أطلق ضحكة عالية ساخرة قبل أن يقول:-

دى مسابقة بيعملها المحل كل أسبوع والنهاردة كان ميعادها، والحمد لله كسبت الواد بصلة، أكترواحد فى الحتة بيشرب عصير، ولبسته حق الليلة، هو مش عارف بيلعب مع مين ولا إيه؟

علشان كده كنت مستعجل علشان نيجى هنا بسرعة وكل شوية تبص فى الساعة.

أشار إلى بسبابته اليمنى وهو يبتسم ويجيبنى:-

الله ينور عليك، ودلوقتى يللا علشان ما نتأخرش على المعلم بصبوص.

أشرت بيدى إلى آخر الشارع المزدحم بالبشروأنا أقول:-

مع الناس دى كلها والشارع المميت ده يبقى هنوصل بكرة إن شاء الله.

نطقت عبارتى واليأس يقتلنى كلما نظرت لهذا الجمع من البشر، الذى يشبه يوم الحشر العظيم، وخاصة عندما وجدت بجانبى شيخًا عجوز مسن يبكى ويرفع يديه للسماء ويقول:-

يا رب، المرة دى، يا رب المرة دى.

فأشرت للهظ وقلت له الراجل ده ماله؟

أجابنى قائلًا وهو يمسكنى من ذراعى:-

ده عم (إبراهيم كده)، كل ما ينزل من بيتهم ما يعرفش يروح من الزحمة، والمرة دى داخل على أسبوع مش عارف يروح، ربنا معاه، يللا علشان هنتأخر، فى طريق مختصر هنوصل منه على طول، بص هنخرم من الحارة اللى جاية دى وآخرها هنلاقى المطبعة.

هبط كلامه على رأسى كالصاعقة ولم أستطع الحديث من بعدها، ما دام فى طريق مختصر، يبقى ليه نمشى من الشارع الزحمة ده؟

وصلنا أخيرًا للمطبعة، التى تقع فى آخر شارع فايدة كامل، فى أحد البيوت

المهجورة والتى تمتازبها هذه المنطقة، وقبل أن ندخل من باب البيت إذا بحائط ضخم يعترض طريقنا، فتوقفت عن السيروأنا أتطلع إليه لأجد أمامى كائن بشرى هائل الحجم يصل طوله إلى المترين ومحيط صدره إلى المتروالنصف يرتدى بنطالًا من الجينزوتى شيرت مقلم بالعرض يذكرك بالتى شيرت الذى كان يرتديه دنجل دائمًا فى مجلة ميكى، له رأس صغيرة لا تتناسب مع حجمه، وليس له أى ملامح واضحة، اعترض طريقنا وقال بصوت رفيع حاد عندما تسمعه لابد أن تضحك:-

على فين يا حلو إنت وهوه.

تكلم فؤاد وهو يفرد صدره بقوة ويقول بصوت قوى لا يهاب أحد:-

إحنا جايين للمعلم بصبوص فى شغل، قول له البهظ، وكلمة السر مال الحلو ماله.

لم يكد الرجل يسمع كلمة السر حتى اختفى من أمامنا لدقيقة كاملة قبل أن يعود مرة أخرى ويقول:-

المعلم بيقول لك، ما جيناش على باله.

أتم العملاق كلمة السر ثم أشار إلينا وقال:-

تعالوا ورايا.

انطلقت أنا وفؤاد خلفه، وهو يسير عبر ممرات طويلة، يخرج من واحد ليدخل فى الآخر حتى وجدنا أنفسنا أمام باب حديدى ضخم، دفعه العملاق بسهولة ثم عبره وهو يشير إلينا بالدخول، فدخلنا من الباب ورفعت بصرى لأجد أمامى مكتب ضخم من خشب الزان، ومطلى بماء الذهب، يجلس خلفه الرجل الذى تحملنا المشاق كى نصل إليه، المعلم بصبوص العترة، أخيرًا رأيته، ويالينى ما رأيته.

****

كل دى غيبة يا واد يا وسخ، وحشتنى والله، فينك وفين أيامك الحلوة.

نطق المعلم بصبوص بهذه العبارة وهو ينظر إلى البهظ والفرحة تملأ عينيه وكيانه بأكمله.

ابتسم الدكتور ابتسامته الشهيرة وقال وهو يتراجع فى مقعده بهدوء:-

مشاغل والله يا معلم، إنت عارف الدنيا تلاهى.

ضحك المعلم حتى بانت لوزتيه ثم قال من بين ضحكاته:-

لسه زى ما إنت، بتحب ترسم الدور على ال...

قاطعه فؤاد كى لا يستمر فى الحديث عنه وعن تاريخه الأسود، قائلًا:-

أحب أعرفك بالأستاذ كامل يا معلم، كاتب جديد بس من النوع الجامد أوى، عامل رواية جديدة اسمها أحلام هتكسر الدنيا.

تكلمت على الفور مصححًا لفؤاد إسم الرواية:-

رواية أفلال مش أحلام.

لوح بكفه بلا مبالاة، فى نفس اللحظة التى التفت إلى المعلم بصبوص وقال مرحبًا:-

يا أهلًا وسهلًا، نورتنا يا أستاذ.

قال عبارته ولم ينتظر رد ترحيبه بى، بل التفت إلى التنين المهاجر الذى فتح لنا الباب وقال بلهجة آمرة:-

شوف الأستاذ يشرب إيه ياض يا كتكوت.

تكلم كتكوت بصوته الرفيع الذى يشبه صوت صفير البلبل قائلًا:-

حضرتك تشرب إيه؟

وضعت كفى اليمنى على صدرى وقلت وأنا أبتسم:- متشكر جدًا يا معلم، الله يخليك.

وضع المعلم (لَىّ) النرجيلة التى يشرب منها، والذى يشبه خرطوم عربة المطافى،والذى لم يتركه بصبوص منذ دخولنا عليه، كان يحتضنه وكأنه طفله الرضيع، وعندما يضع المعلم لى النرجيلة، فلابد أن هناك أمرًا جللًا سيحدث، وبالفعل حدث هذا الأمر، عندما قام من مكانه واقترب منى ونظر فى عينى مباشرة وقال:-

إيه يا أستاذ، إنت بخيل ولا إيه؟ عيب لما تقول كده إنت فى حتتنا، وحقك علينا واجب، لازم تشرب حاجة، فاهم ولا أقول تانى.

ابتلعت ريقى بصعوبة وأنا أنظر إلى عينيه الناريتين، وإلى قامته الطويلة وعضلات ذراعيه المنتفخة والتى تبدوواضحة من أسفل الجلباب الصعيدى الذى يرتديه، على الرغم من اتساعه، لم أملك أمام هذا الهجوم إلا أن أقول:-

لو ممكن حاجة ساقعة يا معلم، بعد إذنك.

أشار بسبابته اليمنى إلى عينيه قبل أن يلتفت إلى اليهظ ويقول:-

وانت تشرب إيه يا فؤاد؟

فرك كفيه وقال بسرعة:-

نص فرخة يا معلم، بس خليه يقرص على الشواية شوية، أحسن ما إتغديتش لغاية دلوقتى.

اتسعت عينى دهشة من كذب الرجل، ما دمت تقول أنك لم تتناول غدائك حتى الآن، فمن الذى التهم طعامى هو وإبراهيم القرد، ظللت أنظر إليه فغمزلى بعينه اليسرى، كى لا أتكلم فالتزمت الصمت وأنا أكاد أنفجر غيظًا وكمدًا،

انطلق الجاموس الأبيض المدعو خطئًا بكتكوت ليأتى بالطلبات، فى نفس اللحظة التى التفت فيها بصبوص إلينا وقال بلهجة عملية:-

خير، أنا تحت أمركم.

تكلم فؤاد قائلًا بجدية:-

إحنا عايزين نشوف الورق اللى عندك يا معلم، علشان عايزين نطبع الرواية بتاعت الاستاذ، أخبارورق التوباكوكو إيه؟

أطلق المعلم زفرة حارة قبل أن يقول:-

إنت عارف إن الورق ده بييجى من بره يا بهظ، والجمارك زادت على الورق ده بالذات للضعف، بيقول لك يا سيدى بعد ما بيلفوا الورق على وراك الفراخ البدارة لازم يفردوه تانى على صدور الفراخ الشامورت، وهنا المشكلة بقى، الفراخ

الشامورت فى الموسم ده، بقت تعبانة أوى، أول ما تحط عليها الورق علشان تفرده، تفرهد منك وتفرفر فى ساعتها، وطبعًا ده وقف تصنيع الورق لفترة، حتى الفراخ مبقاش فيها بركة.

زم البهظ شفتيه وقال مفكرًا:-

امممممم.

ثم غمز بعينه اليسرى للمعلم وقال وهو يبتسم:-

طب مفيش كام روزمة شايلهم على جنب للحبايب، أنا عارف إنك بتدكن الشغل النضيف لغاية ما الحواجب تلعب من تانى.

صفعه بصبوص على قفاه بود وهو يضحك ويقول:-

طول عمرك لماح يا وسخ، أنا فعلًا عندى شغل مدكنه للحبايب، وعلشان الأستاذ أبو وش سمح ده مش هعزه عنك، قوم تعالى معايا علشان أوريه لك.

لم يعترض البهظ عندما ضربه المعلم على قفاه، بل ابتسم فى سعادة، فقلت فى نفسى لعلهم أصدقاء، وبين الأصدقاء لا توجد حواجز.

أشار إلينا المعلم كى نتبعه فقمنا من المكان فى نفس اللحظة التى وصل فيها كتكوت وهو يحمل الطلبات التى طلبناها، تناولت أنا المياه الغازية، واختطف فؤاد اللفافة التى تحوى بداخها نصف الدجاجة الحزينة، والتى التقطها من اللفافة بسرعة البرق وأمسكها من وركها جيدًا بيمناه، وفى يسراه أمسك بكوب من الطحينة الطازجة، وبدأ فى اغتصاب الدجاجة المسكينة ثم يتجرع الطحينة من الكوب مباشرة، كان مظهره يدعوا للرثاء والاشمئزاز فى نفس الوقت، ابتسم بصبوص الذى حمل بدوره نرجيلته الحبيبة، وقال وهو يخرج الأنفاس من منخريه باحتراف:-

شكلك جعان بجد ياض.

أجابه البهظ بصوت أجش غريب قائلًا:-

مممممفيسس، عموممنت.

ضحك بصبوص وقال:-

طب بالراحة، كل بالراحة هتموت.

قال عبارته ثم أولانا ظهره وسار فى طريقه، فما كان منا إلا أن تبعناه حتى وقفنا أمام باب خشبى عتيق، فأشار إلينا المعلم بالتوقف والابتعاد لمسافة لا تقل على خمسة أمتار، فقلت وقتها أن هذا الباب لا يفتح إلا بكلمة سر لا يعلمها إلا المعلم، لذلك لا يريدنا أن نراها، ولكن ما فعله بعد ذلك لم يكن فى الحسبان أبدًا.

****

لقد فعل ما جعل دهشتى يرتفع منسوبها بداخلى إلى أعلى معدلاتها، فقد رأيت مع فؤاد عجب العجاب ولكننى لم أكن أتخيل ما صنعه بصبوص فى هذه اللحظة، لقد وقف أمام الباب ثم طرقه ثلاث طرقات ثم شرع يطبل عليه كما يفعل أمهر عازفى الدربوكة، استمر نقره على الباب لدقيقتين كاملتين، أخذ فيهما فؤاد يتمايل يمينًا ويسارًا مؤديًا إحدى الرقصات الشعبية، وانطلق كتكوت يصفق بيديه بمهارة، شعرت وأنا واقف بينهما أننى فى أحد الأفراح الشعبية التى تقام فى الحوارى والأزقة، وفجاة توقف المعلم عن الطرق على الباب، وسكت معه فؤاد وكتكوت وكأن شيئًا لم يحدث، وفجأة تحرك الباب لينفتح أمامنا، فأشار لنا المعلم بأن نتبعه إلى الداخل، وبالفعل دخلت أنا والفسل إلى المكان السرى، الذى يحتفظ فيه بصبوص بالورق، ضغط المعلم على زر الإضاءة فى جانب الحائط ليغمر الضوء المكان على الفور، ويحيله فى ثانية واحدة إلى نهار مشرق بسام، والحق يقال أن الذهول كان هو سيد الموقف والذى يجب أن نرفع له القبعة فى هذه اللحظة، لقد كان المخزن خاليًا تمامًا من أى نوع من أنواع الورق، ولكن ما أثار دهشتى بحق هو تعليق فؤاد الذى ابتسم فى رضا وقال:-

الله ينور عليك يا معلم، حاجة زى الفل.

نظرت إليه وقلت مستنكرًا:-

هو إيه اللى زى الفل؟ فين الورق؟

لم يعِرنى أى اهتمام، وهو يلتفت إلى بصبوص ويقول راجيًا:-

بقول لك إيه يا معلم، أنا طمعان فى كرمك وكرم أخلاقك، تخلينى أبات فى المكان ده، اليومين دول أحسن أنا تعبت من كتر المرواح والمجى كل يوم، والدار مش نضيفة، والولية أم السعد مش عايزة تيجى تنضف المكان تانى.

لم يكد المعلم يسمع اسم أم السعد حتى احمرت أذنيه وسال اللعاب من شدقيه فى شبق وتكلم بصوت مبحوح قائلًا:-

إنت تقصد أم السعد اللى كل حاجة عندها كبيرة يا واد يا فؤاد؟

غمز بعينه اليسرى وعلت شفتيه ابتسامة خبيثة وهو يجيب المعلم قائلًا:-

هى يا معلم، وعلى فكرة بتسلم عليك، وبتقول لك، العجل هد المصطبة.

انتفخت أوداج المعلم، وغمرت السعادة وجهه وملأت جوانب نفسه وهو يقول:-

ياه ياه، والله كانت أيام حلوة، بص ياض أنا هعمل معاك اتفاق، كلم أم السعد تيجى تنظف لى البيت يوم الجمعة، وخالتك أم شاهين هتكون فى البلد، والبيت هيبقى فاضى، أهو منها أم السعد تنظف البيت ومنها تشوف لى الفنجان زى زمان، بس خلى بالك، الموضوع ده لو فكس، هركب لك ديل.

هز البهظ رأسه وارتفع صوته قائلًا:-

إلعب يا سمك، حلاوتك يا معلم، أحلامك أوامر يا كبير، اعتبر الموضوع ده خلص، واعتبر النهاردة الجمعة كمان.

ضحك المعلم وقال:-

طب خلاص روح بقى علشان أم السعد زمانها جاية.

ضحك البهظ بدوره وقال:-

طب أروح أجيب ٦ مشبرين؟

ارتفعت ضحكاتهما معًا، وأنا أستشيط غضبًا فقلت بصوتٍ عالٍ محاولًا جذب انتباههم لى:-

طب ومشكلة الورق يا جماعة هنعمل فيها إيه؟

عقد فؤاد حاجبيه متسائلًا ثم قال:-

ورق إيه؟؟

اتسعت عينى فى دهشة وأنا أردد كلماته فى ذهول حتى ضربه المعلم على ظهره بكف يده الضخمة وقال:-

اصحى ياض وفوق بقى، الورق بتاع الراجل علشان روايته الجديدة أفلام.

التفت إلى المعلم وقلت مصححًا:-

اسمها أفلال يا معلم، مش أفلام.

لوح المعلم بكفه فى ضجر وقال:-

ياعم بلاش خوتة بقى أفلال زى أفلام زى بتنجان، أهو كله بيتقرى اليومين دول، خليها على الله، المهم الورق بتاعك هناك أهو.

نظرت إلى موضع إشارته فلم أجد إلا عدة رُزَم من الورق لا تكفى لعمل حتى حلة ورق عنب، فأشرت بيدى إلى الورق وقلت مستهجنًا:-

هو ده الورق؟ ده هيكفى يتعمل به الكتاب.

أجابنى المعلم قائلًا:-

صلى على اللى هيشفع فيك يوم القيامة، البركة فى القليل.

علق فؤاد وهو يلتهم أخر قطعة من الدجاجة الحزينة التى أجهز عليها قائلًا:-

الله ينور عليك يا معلم.

ثم التفت إلىَّ وقال:-

ما تقلقش يا أستاذ، أنا هظبط لك الدنيا، ووالله لترجع لأهلك مجبور الخاطر.

أرجع مجبور الخاطر هو أنا كنت م....

قاطع المعلم اعتراضى على كلام فؤاد وقال:-

خلاص إستبينا، إبعت لى البى دى إكس، بتاع الأستاذ يا بهظ، وبعون الرحمن نخلص له كتابه، قول يا رب.

يا رب يا معلم، ربنا ما يحرمنا منك، ولا من عطفك وحنانك.

قال الهظ عبارته، والمعلم يتحرك مغادرًا المكان، فلحق به وقال:-

كده نبقى خالصين يا كبير.

توقف المعلم وقال متسائلًا:-

قصدك إيه ياض؟

حرك رأسه يمينًا ويسارًا وهو يلاعب حاجبيه ويقول:-

يعنى المكنة اللى طلبتها، أم السعد يعنى،قدام شوية الورق دول، وصدقنى يا كبير، أنا كده أبقى دافع زيادة من جيبى كمان، انت عارف أم السعد دى صعب تروح لأى حد، بس إنت عارف غلاوتك عندى، طب وحياة محبتك لى أنا كنت ب....

قاطعه المعلم قائلًا وهو يبتسم:-

خلاص يا روح أمك، إنت هتصيع عليا، أنا موافق، بس خلص وابعتها بسرعة قبل خالتك أم شاهين ما تيجى.

لم أعلم ما الحوار الذى دار بينهما بعد ذلك، ولكننى لم أتمالك نفسى من سؤال رفيقى فى طريق العودة عما سيصنعه بكتابى وعن المعلم بصبوص، فقلت له ونحن نركب أول الميكروباصات لمغادرة مدينة الحناكيش التى كنا فيها منذ قليل:-

هنعمل إيه فى الكتاب بتاعى؟ والورق ده هيكفى؟

أجابنى قائلًا وهو يناول السائق الأجرة قائلًا:-

واحد يا اسطى الله يخليك، معلش أصل مفيش معايا فكة، معايا ورقة بمتين جندى.

وضعت يدى فى جيبى وأخرجت أجرتى ونقدتها للسائق وأنا أقول:-

مفيش مشاكل، عادى ولا يهمك.

لم يلتفت لكلماتى الأخيرة وقال:-

بص يا سيدى بكرة تيجى لى الدارعلى الساعة ٥ كده، هيكون الأستاذ سيكا

الحنين موجود، عايز أعرفك عليه، وعلى فكرة ده من احسن المصححين فى مصر كلها، كتابك عنده من يوم ما مضيت العقد معايا، كنت عايز أعملها لك مفاجأة بس خلاص بقى اضطريت احرقها، الراجل خلص الكتاب وعايز يناقشك فى كام حاجة فيه، فقلت له ييجى بكرة علشان تدردشوا مع بعض على رواقة.

صمت قليلًا ليلتقط أنفاسه ثم أكمل حديثه قائلًا:-

كنت سألتنى قبل كده عن المعلم بصبوص، معنى إسمه إيه؟ الموضوع ده راجع لجد جد جد جده الكبير باص_بوص، آخر سلالة للفراعنة فى مصر القديمة وحلوان، الراجل ده كان صاحب مزاج، كان بيبصبص للى رايحة واللى جاية، وكان هو المتحرش الرسمى لمعبد الإله خازوق_مان، كان ياخد الواحدة من دول وراء المعبد ويعمل فيها الفحشاء والمنكر، وفى الآخر يدور على غيرها، ومفيش واحدة كانت تقدر تفتح بقها، ولا تهمه بحاجة، كل الكهنة كانوا عارفين حكاياته، لكن محدش كان بيعمل له حاجة لإنه كان ماسك على كل واحد فيهم ذلة، يعنى فى مرة شاف كبير الكهنة بيعملها على روحه وهو نايم، والمساعد بتاعه كان ما بيلبسش غيارات داخلية من تحت، وغيره وغيره، فكل دول ما كانش فيهم حد بيقدر يفتح بقه مع باص_بوص، كل ده كان مكتوب فى بردية اسمها (نعم للتحرش فى كل زمان ومكان (، وعلى فكرة إحنا طبعنا الكتاب ده عندنا، وحقق مبيعات خرافية، وزى ما بيقولوا فى المثل (ابن الوز شمام(فالمعلم بصبوص اللى إنت شوفته ده، وارث جينات جده الكبير، تجيب سيرة النسوان قدامه، يتغير حاله زى ما إنت شوفته كده.

أخذنا الحديث عن المعلم بصبوص، حتى وصلنا لمفترق الطرق، وتركنى وانطلق إلى منزله، على وعد بلقاء الغد، وفى طريق عودتى إلى منزلى، سألت نفسى نفس السؤال الذى سألته لفؤاد ولم يجِبنى عليه، هل الورق الذى رأيناه عند المعلم بصبوص سيكفى لعمل الكتاب؟

****

للمرة الثانية لم يتمالك أشرف صابر نفسه من الضحك عندما انتهى كامل من حكايته، فأطلق ضحكاته القوية لتحلق فى سماء الحجرة، وعلى الرغم من حرارة الجو، ومن المروحة الصغيرة الموضوعة على مكتبه لتبدد القليل من جو الحجرة الخانق، والتى طالما صَبَّ جامَّ غضبه عليها وعلى الإدارة التى لم توفر له جهاز التكييف الذى طالب به مرارًا وتكرارا، إلا أنه كان سعيدًا برواية كامل، فطوال سنوات عمره التى قضاها فى إدارة المباحث بين القضايا الخطيرة والشائكة إلا أنه لم تقابله قضية بهذه الغرابة، ولا أشخاص كالذين حقق معهم.

التقط نفسًا عميقًا ثم قال وهو يبتسم:-

وطبعًا الرواية بتاعتك ما خرجتش من المطبعة.

زوى كامل ما بين حاجبيه ثم قال:-

حضرتك عرفت منين؟

- ولا حاجة، مجرد استنتاج.

- فعلًا الرواية ما خرجتش من المطبعة ولا طلعت من الأصل، البهظ اختفى، اتبخر، تليفوناته مقفولة، وتليفون الدار مرفوع من الخدمة، ولما قررت أروح للدار على طول لقيتها مقفولة والبواب قال إن الدكتور مسافر، فضل الوضع على كده لغاية ما جه معرض الكتاب، وهناك قابلته واتكلمت معاه، لكن كان ليه عذر غريب جدًا، زيه بالظبط، قال لى إن مكنة الطباعة إتعطلت وإن شاء الله الرواية هتخرج بعد المعرض، وبعد المعرض اختفى تانى، وخلاص عليه العوض ومنه العوض، وبعد كده عرفت بخبر موته.

تكلم أشرف وهو يتراجع فى مقعده بهدوء:-

وطبعًا عايزنى أصدق التهريج والهبل اللى حكيته لى دلوقتى، إنت إيه بتستخف بعقلى؟

هَزَّ كامل رأسه وهو يقول:-

أبدًا والله يافندم، ده هو اللى كان بيستخف بعقولنا كلنا.

عقد ضابط المباحث حاجبيه فى تساؤل قبل أن يقول:-

يعنى إيه؟

تراجع كامل بدوره فى مقعده قبل أن يقول بأسى:-

كان بيراقبنا يافندم، اللى عرفناه بعد كده انه كان كل فترة يروح أماكن معينة علشان يوقع صيدة جديدة فى حباله، وبعد كده يعمل عليهم فيلم يناسب شخصيتهم، يعنى على سبيل المثال أنا مثلًا بعد ما اتقابلنا فى ندوة الخيال العلمى، عرفت إنه عمل عنى تحريات سريعة كده، عرف منها طبيعة شخصيتى، يعنى أنا مثلًا بحب الضحك والتهريج وما بشيلش للدنيا هم، فيدخل لى من الناحية دى، فكانت حكايتى كوميدية لأقصى درجة، وأكبر دليل على صدق كلامى إنه لما اختفى بعد أخر مرة سألت على الناس اللى عرفنى عليهم، إبراهيم القرد، وبصبوص العترة، وغيرهم وغيرهم، لقيتهم مالهمش وجود من الأصل، وعمل الكلام ده مع ناس كتير أوى، علشان يوصل للى هو عايزه، الفلوس وبس.

مال أشرف على مكتبه ثم استند عليه بمرفقيه ووهو يبتسم بسخرية ويقول:-

يعنى عايز تفهمنى إن راجل زى ده، كان ليل نهار عمال يلف على رجله وسايب أشغاله كلها، علشان يوقع الناس دى كلها فى الفخ اللى نصبه لهم، ده كلام معقول برضو.

استطرد كامل قائلًا:-

أيوه كلام معقول طبعًا يافندم، لإن هى دى كانت شغلته، يروح مثلًا حفلات توقيع لكتاب شبان ويبدأ يناقشه ويتكلم معاه قدام الناس كلها، ويحاول بقدر الإمكان إنه يستخدم مصطلحات محدش سمعها قبل كده علشان يحرجه ويبين له إنه هو ناشر بيفهم وعارف كل حاجة وممكن يفيده أحسن من الناشر اللى هو معاه، ده غير إنه كان له ساعات معينة بيقعد فيها على الفيس بوك بتكون أغلب الناس موجودة فيها، فيدخل على الجروبات الثقافية وينزل بوستات معينة تجذب الناس وطبعًا ده بعد ما يعرفهم بنفسه، على إنه دكتور فى الأدب، مرة بقى

فى الأدب الإنجليزى ومرة فى الأدب المقارن وغيرها وغيرها من الهرى اللى الناس بتحب تسمعه، وبعد كده الناس تنجذب له وتجيله لغاية عنده.

التقط أشرف نفسًا عميقًا وهو يستمع لكامل الذى بمجرد أن سكت تكلم هو قائلًا:-

وانت بقى عرفت كل الحاجات دى إزاى عنه؟

أجابه وعلى شفتيه ابتسامة تجمع بين الظفر والسخرية:-

أنا قلت لحضرتك قبل كده إنى أنا كمان عملت عنه تحريات كبيرة أوى بعد ما اختفى فجأة علشان أعرف عمل فيا ليه كده، وده اللى قدرت أوصله.

غمز أشرف لكامل بعينه اليسرى وهو يقول:-

وطبعًا قررت تاخد حقك منه، وتقتله.

انتفض كامل فى مقعده وهو يقول بحدة وارتباك:-

لأ طبعًا يا أشرف بيه، أنا هضيع حياتى علشان واحد زى ده.

قرر الضابط المحنك أن ينتهز فرصة ارتباك الرجل فقال مباشرة:-

طب تفتكر مين اللى قتله، ونيس مثلا؟ ولا عمر؟

- لأ طبعًا، لا ده ولا ده.

- وإيه اللى خلاك متأكد أوى كده؟

- لأنى عارف الإتنين دول كويس، وعمرهم ما يعملوا كده أبدًا.

لدقيقتين كاملتين تفحصت عينا أشرف كل تفصيلة فى ملامحه، كان من الواضح أنه صادق تمامًا فى كل كلامه، لذلك فقد تنهد يائسًا ثم تراجع فى مقعده وهو يشير لكامل بالانصراف قائلًا:-

طب اتفضل دلوقتى قول كل كلامك ده تانى فى محضر رسمى عند الضابط أحمد، وما تمشيش

هبعت لك تانى.

أومأ كامل برأسه موافقًا قبل أن يغادر الحجرة، فالتقط أشرف سماعة

الهاتف وطلب رقمًا قصيرًا ثم قال:-

أحمد، كامل هييجى لك دلوقتى علشان تاخد أقواله، ابعت رامز هو وتوفيق لبيت رانيا عامر خليهم يجيبوها معاهم، علشان أستجوبها بنفسى.

وضع سماعة الهاتف دون أن ينتظر إجابة من أحمد، ثم التقط قلما وورقة وكتب فيها أسماء جميع المشتبه فيهم فى القضية، ثم بدأ فى التخطيط على كل واحد، ووضع الرابط الذى يربطهم ببعض كان كل واحد منهم عنده دافع للقتل سواء كان من الكتاب أو الكاتبات، ولكنه حتى الآن لم يعثر على أى دليل يدين أحدهم، لقد..... انطلق رنين هاتفه الخلوى فى هذه اللحظة، فجفل قليلًا قبل أن ينظر إلى رقم المتصل وترتجف كل

خلية من خلايا جسده، فعلى الرغم من شهرته الواسعة فى المديرية بأنه يمتلك قلبًا من الفولاذ لا يتأثر بأى موقف، إلا أنه فى هذه اللحظة فقد لقبه عن جدارة، فاسم المتصل كان يشير إلى رجل عاد من قلب الجحيم كى ينتقم كان الدكتور فؤاد، القتيل.

****

- هتتغدى معايا النهاردة ولا زى كل يوم.
- معلش يا بابا، عندى شغل كتير النهاردة، غصب عنى والله.
- ربنا معاكى يا بنتى، خلى بالك من نفسك.
- خلى بالك إنت من نفسك، وما تخافش عليا، بنتك بمية راجل.
- أنا بنتى أحلى واحدة فى الدنيا كلها، نفسى أعيش لغاية ما أشوفك بفستان الفرح.
- ربنا يسهل يا بابا، لسه نصيبى ما جاش، وبعدين إنت زهقت منى ولا إيه يا جنرال، أنا اللى هجوزك

بقى، إيه رأيك فى واحدة مزة ترجعك شباب تانى.

(شهيرة، المدير عايزك)

قطعت إحدى زميلاتها حديثها التليفونى مع والدها، فاستأذنت منه، وهى تشير إلى زميلتها

بأنها فى طريقها إليه.

أغلقت هاتفها الجوال ثم هندمت ثيابها قبل أن تنطلق

إلى رئيس التحرير، وهى تدعو الله أن يكون طلبه لها خيرًا، فمن المعروف عن رئيس التحرير، أن من يطلبه بالاسم كى يذهب إليه، فإن ما ينتظره هو أمر جلل، طرقت باب مكتبه بهدوء وهى تتمالك أعصابها، فانبعث صوته قويًا من الداخل، يأمرها بالدخول، ففتحت الباب على الفور وهى تقول:-

- حضرتك طلبتنى؟

تراجع فى مقعده وهو يتفحص ملامحها ثم قال:-

- أيوه يا شهيرة، إتفضلى اقعدى.

حاولت الابتسام لتتغلب على توترها الذى بلغ ذروته مع نظرات المدير التى لم تنزل من على وجهها، منذ دخلت إلى مكتبه، وعندما ظل على صمته قررت هى بدء الحوار فقالت:-

خير يافندم.

استند بمرفقيه على المكتب وهو يميل ناحيتها ويقول بحزم:-

أقدر أعرف إنتى ليه ما غطيتيش الجنازة بتاعت دكتور فؤاد؟ ليه كل الصحف التانية يكون لها السبق الصحفى ده، مع إنك كنتى أقرب واحدة منه ومن عيلته.

- علشان كده ما قدرتش أغطى خبر الجنازة بتاعته لأنى عارفه مراته وأمه، إزاى يافندم عايزنى أصور الجنازة واتابعها واعمل حوارات مع الناس عن إنسان كنت بحترمه وبعزه، بأى وش هقابل مراته بعد كده، ما كنتش هسامح نفسى أبدًا لو عملت كده، الميت له حرمته.

- يا أستاذة مصلحة العمل فوق كل شىء، حتى لو على حساب العلاقات الشخصية، إزاى صحفية شاطرة زيك تغلط الغلطة دى، إزاى؟

- أنا آسفة يافندم، بس صدقنى كان هيبقى صعب عليا أوى.

- يا خسارة يا شهيرة، ضيعتى على الجورنال وعلى نفسك سبق صحفى هايل.

ساد الصمت المكان بعد حديثهما للحظات، قطعه المدير قائلًا بأسف:-

إتفضلى يا شهيرة، ما كانش قدامى غير إنى أحولك للتحقيق، وعلى فكرة دا أخف عقاب قدرت أوقعه عليكى.

قامت من مكانها ثم قالت بصرامة:-

آسفة يافندم مش هحضر التحقيق.

تقافزت شياطين الغضب فى وجهه وهو يقول:-

بلاش عناد، ده مش فى مصلحتك.

اعتدلت وقالت بلهجة من اتخذ قرارًا لا رجعة فيه:-

أنا عارفه مصلحتى كويس، وعلشان كده أنا مستقيلة.

قالت عبارتها وغادرت المكتب بكل ثقة واعتداد تاركة خلفها رئيس التحرير، عيناه متسعتان عن آخرهما كمن تلقى ضربة قوية على أم رأسه فلم يستطع التفوه ببنت شفة، لقد كانت كلماتها حازمة وفاصلة، فضربت بكلامه عرض الحائط وأخبرته بقرارها، الحاسم.

- ألو، بابا تحب تاكل إيه؟

أنا هتغدى معاك النهاردة.

- معقول يا حبيبتى، طب وشغلك هتعملى فيه إيه؟

- بلا شغل بلا وجع دماغ، ما طول عمرنا بنشتغل خدنا إيه يعنى، إنت عندى بالدنيا.

ختمت حديثها مع والدها وهى تغادر مبنى الجريدة نهائيًا.

* * *

رانيا عامر

- أهلًا رانيا، إتفضلى اقعدى.

استجابت فتاة فى أواخر العقد الثانى من العمر رقيقة، جميلة، لها عينان بلون السماء وأنف مستقيم وبشرة بلون الحليب لأمر أشرف، ثم تنهدت وقالت:-

ممكن أعرف أنا هنا ليه الأول؟

أجابها وهو يبتسم بهدوء:-

سؤالين وهتروحى على طول. اندفعت قائلة بلوم:-

أشرف إنت عارفنى كويس وعارف كل حاجة عنى بحكم إنى صديقة مراتك، وبيننا ود واحترام متبادل أعتقد لو كانوا السؤالين دول بصفة ودية عندى فى البيت كان هيبقى أحسن.

قلب شفتيه وهو يقول:-

أنا فعلًا كنت هعمل كده بس إنتى كنتى مسافرة، وبعدين الموضوع مش مستاهل التوتر ده كله، الأول قولى لى سمعتى الصوت ده فين قبل كده.

قال كلماته وهو يضغط على زر معين فى هاتفه النقال لينبعث منه صوت أشرف وهو يقول:-

ألو.

أجابه صوت محدثه قائلًا بسخرية:-

المهلة قربت تخلص يا حضرة الظابط، وإنت ما إتحركتش خطوة لقدام.

obeikan.com

تكلم أشرف قائلًا:-

مين معايا؟

ازدادت سخرية المتحدث وهو يقول:-

أكيد مش هتعرف صوتى لأنك ما سمعتهوش قبل كده، لكن كل اللى أقدر أقوله لك، المهلة قربت تنتهى ولازم تعرف مين اللى ارتكب الجريمة، وإلا هتندم أشد الندم، سلام.

- دكتور فؤاد.

نطقت رانيا بكلماتها فوضع أشرف هاتفه جانبًا ثم قال:-

إحنا حاولنا نتتبع رقم التليفون لكن مع الأسف مالحقناش، لكن إزاى؟ ده أنا حضرت جنازته بنفسى وشوفت جثته وهى بتنزل القبر، يبقى إزاى يرجع للحياة تانى، مستحيل.

- أنا متأكدة من الكلام اللى بتقوله، لكن ده فعلًا صوت دكتور فؤاد.

استمع لعبارتها والتفكير يأكل خلايا مخه، قبل أن يحرك رأسه يمينًا ويسارًا ثم يقول:-

ماشى خلى الموضوع ده دلوقتى ولو إنى متأكد إن فى حد بيلعب بينا وعايز يقنعنا إن فؤاد لسه عايش، ولازم أعرف هو مين وإيه هدفه من كل ده، لكن دلوقتى ياسمين قالت لى إنك طبعتى كتاب عند فؤاد، عايز أعرف التفاصيل بتاعة الموضوع ده من أوله لآخره.

ملأت رئتيها بهواء الحجرة الحار ثم استطردت قائلة:-

إنت عارف إنى من زمان بحب أكتب خواطر وأبيات شعرية وكنت بخلى المقربين منى يقروا اللى بكتبه ويقولوا لى رأيهم، وفى يوم أشارت عليا واحدة من صاحباتى إنى أنشر الخواطر دى فى كتاب وكل الناس تقرأها وخاصة إن الناس كلها كانت بتعجبهم كتاباتى.

صمتت قليلًا لتلتقط أنفاسها ثم تابعت وعينى أشرف تتابعها فى اهتمام:-

سمعت عن دار نشر ظهرت فى الفترة الأخيرة وبقى لها إسمها فى فترة قصيرة، سألت عنها وعرفت إن صاحبها دكتور محترم ومهذب وبيخاف ربنا، استشرت ياسمين فوافقت على الموضوع وطلبت منها تيجى معايا وحددنا ميعاد مع صاحب الدار بعد ما وافق على نشر العمل بتاعى.

نفث أشرف دخان سيجارته ثم قال وهو يشير لها بالتوقف عن الكلام:-

الكلام ده كان من حوالى قد إيه؟

أغمضت عيناها وعقدت حاجبيها محاولة تذكر المدة الزمنية

قبل أن تفتح عيناها وتقول:-

من حوالى ٣ شهور تقريبًا.

هز رأسه ثم أشار إليها بالاستمرار فتابعت قائلة:-

روحنا هناك والراجل رحب بينا جدًا، كان محترم وذوق فى التعامل معانا، لغاية ما أخد الفلوس بتاعت طباعة الكتاب منى، ووعدنى بإن الكتاب هيكون فى المكتبات بعد إسبوعين لكن مع الأسف لغاية دلوقتى الكتاب ما خرجش من المطبعة.

- ده لو كان دخلها أصلًا، هو المبلغ اللى أخده منك كام؟

- عشر تلاف جنية.

- والكتاب حجمه قد إيه؟

- هو قال لى هيكون ١٠٠ ورقة.

١٠٠ - ورقة بعشر تلاف جنية، يعنى الورقة تقف ب ١٠٠ جنية، يا بلاش.

- تقصد إيه؟

- باختصار يا رانيا، إنتى إتنصب عليكى، زى ما اتنصب على كتاب كتير نشروا كتبهم عند الحرامى ده.

- بس ده دكتور محترم جدًا ومش ممكن يعمل كده.

- أولًا ده مش دكتور ده طلع معاه دبلوم صنايع وكان معرف الناس كلها إنه دكتور وراسم نفسه على الناس كلها، ثانيًا إنتى واثقة أوى فيه كده ليه؟

ده أكتر من نص الناس اللى حققت معاهم قالوا عنه إنه نصاب.

- كلامه وأسلوبه كان راقى جدًا.

- وده يأكد كلامى، النصابين بيعرفوا يضحكوا على الناس كويس، والمثل بيقول طول ما المغفلين كتير، النصابين بخير.

تجهم وجهها ولم تستطع الرد عليه، بعد أن أصابتها خيبة أمل كبيرة فى إرجاع نقودها أو خروج كتابها إلى النور، ولكن أشرف نظر إليها نظرة ثاقبة قبل أن يقول بلهجة مباغتة:-

رانيا، الراجل ده طلب منك فلوس؟

هزت رأسها موافقة لكلام أشرف وهى تبتلع ريقها بصعوبة، الذى تابع قائلًا بلهجة حازمة:-

طلب منك كام؟

تلعثمت وهى تقول:-

١٠٠ ألف جنية.

اتسعت عينا أشرف دهشة من المبلغ المطلوب ثم قال:-

إوعى تقولى إنك إديتيله له المبغ ده كله.

حركت رأسها موافقة لكلامه للمرة الثانية فتابع قائلًا:-

ليه؟ هو وعدك بإيه علشان تديله المبلغ ده كله؟

تكلمت بصوت خفيض قائلة:-

وعدنى بالجواز، إنت عارف إن سنى كبر على الجواز، ولما لقييت ده إنسان محترم وفيه مواصفات كتير كويسة وافقت عليه وقررت أساعده بأى حاجة علشان أسهل له الطريق لما ييجى يتقدم لى.

- إنتى أكيد إتجننتى، إنتى ما تعرفيش إنه متجوز، والإسطوانة اللى قالها لك دى

قالها لبنات كتير غيرك، لغاية ما ياخد غرضه منهم وبعد كده يرميهم. قال عبارته الصارمة التى ذبحت رانيا بسكين صدئه، فلم تستطع أن ترد عليه، فقامت تترنح كالذبيحة، واستأذنت من أشرف أن تذهب إلى البيت لأنها تشعر بالتعب، فتركها ترحل بعد أن أمر إحدى سيارات الشرطة بتوصيلها لمنزلها كى يطمئن عليها، وبينما هى تدخل منزلها، دخل أحمد على أشرف وقال:-

مش فاضل غيرونيس، هنعمل معاه إيه؟

زفر بإرهاق ثم نظر إلى المروحة التى لم تعد ريشاتها تبعث له بأى هواء جديد إلى الغرفة مما زاد من سخطه على القضية بأسرها، فأشار إلى أحمد قائلًا:-

هاته خلينا نخلص من وجع الدماغ ده.

وما هى إلا دقائق عشر، حتى جاء أحمد وبصحبته ونيس، الذى بدا عليه التعب والإرهاق من طول انتظاره فى حجرة النبطشية، فجلس أمام أشرف بعد أن أذن له بذلك وبعد الديباجة الرئيسية التى يبدأ بها سيادة المقدم عادة تحقيقاته، لم ينتظر الرجل ليدلى بكل ما لديه عن فؤاد ليزيح عن كتفيه هذا الهم الثقيل، و... وكانت حكايته مختلفة عن صديقيه تمام الاختلاف.

***

مدحت

هات لى ربع زبيب يا إسحاق.

ألقى إسحاق إسكندر نظرة سريعة على صاحب الطلب، فوجد عينيه بلون الدم، والإرهاق بادٍ فى جميع قسمات وجهه، حتى شعره الذى كان يهتم به ويعقصه خلف رأسه دائمًا، فى هذه المرة تركه ثائرًا كأنه شيطان، كان من الواضح أنه لم يذق طعم النوم منذ أكثر من أربعة أيام على الأكثر، وكان ذلك واضحًا من الهالات السوداء الكبيرة الموجودة أسفل عينيه، جاءه إسحاق بالطلب فأخذه منه وصب لنفسه كأس كبيرة ثم جرعها مرة واحدة، وبينما هو يصب الثانية إذا بإسحاق يقول:-

مالك يا أستاذ مدحت، فى حاجة مضايقاك؟

جرع مدحت الكأس الثانية كسابقتها، فتحول وجهه إلى كتلة حمراء قانية قبل أن يلتقط أنفاسه ويقول بضجر:-

مفيش حاجة.

اقترب إسحاق منه وقال:-

يا إبنى أنا زى أبوك، شكلك تعبان، وأنا خايف عليك، إنت زبون دايم عند خمارة إسحاق وأنا بحب زبايني وبخاف عليهم، لو فى مشكلة عندك قولى، فضفض، ممكن أفيدك بحاجة.

ضرب مدحت الكأس بقوة على المنضدة فتهشمت

فلم يتحرك إسحاق من مكانه قيد أنمله، فقد اعتاد ما هو أكثر من ذلك من زبائن المحل منذ ما يقرب من العشرين عاما، ولكن مدحت زاد على فعله بأن دفع إسحاق بيده بعيدًا وهو يقول:-

إبعد عنى دلوقتى يا أبووش عكر.

سقط العجوز أرضًا، فعقد مدحت حاجبيه خاصة عندما اندفع عمال المحل ليساعدوا إسحاق على النهوض، نهض معهم، فقام مدحت من مكانه وأزال بعض الأتربة التى علقت بملابس إسحاق وهو يقول آسفًا:-

ما تزعلش منى يا إسحاق، أنا أعصابى تعبانة ومش عارف عملت كده إزاى.

جلس العجوز على مقعد مجاور لمنضدة مدحت ثم قال بوهن:-

ولا يهمك، ياما شوفنا من زباين عندنا أكتر من كده بكتير، المهم إحكى لى مالك وإيه اللى مضايقك.

اغرورقت عيناه بالدموع وهو يصب لنفسه الكأس الثالثة ليرتشف منها رشفة قليلة ثم يقول بحزن:-

أحكى لك على إيه ولا إيه، دا اللى جوايا محتاج سنين وسنين علشان يتحكى.

ابتسم إسحاق بهدوء وقال:-

احكى اللى إنت عايز تقوله، إحكى من أى حتة تعجبك، علشان ترتاح ونفسك تهدى، وما تحملهاش أكتر من طاقتها.

تطلع مدحت إلى قسمات العجوز التى نحتتها سنوات عمره الستون، ثم طأطأ رأسه أرضًا، قبل أن يرفعها ويجرع ما تبقى من زجاجته الموضوعة أمامه، ثم مسح فمه بكفه، وبدأ فى سرد حكايته ولكن من

الجزء الذى أراد أن يحكيه، وليس غيره.

****

البقاء لله، شد حيلك.

ألقى إسحاق بتعازيه على مدحت الذى أنهى حكايته ثم انخرط فى بكاء مرير، حتى أن البارمان ربت على كتفه مواسيًا، فرفع الشاب عينيه السابحتين فى بحر من الدموع وهو يقول:-

الشدة على الله.

ابتسم إسحاق ابتسامة حزينة وهو يستطرد:-

كل ده علشان صاحبك مات.

هز مدحت رأسه بأسى وهو يقول آسفًا:-

دا ما كانش صاحب يا إسحاق، دا كان كل حاجة أخ وصاحب وصديق وحبيب، الله يرحمك يا فؤاد.

- بس التحريات وصلت لإيه دلوقتى؟

- ولا حاجة، لسه الظابط اللى ماسك القضية بيحقق مع كل اللى له صلة بالمرحوم، لكن لسه ما بعتليش، شكله مخلينى للآخر.

- ربنا ما بيسيبش يا ابنى، وعندكم فى الإسلام مقولة بتقول (من قتل يقتل، ولو بعد حين)، يعنى القاتل هياخد جزاؤه وهيقع يعنى هيقع.

انتفض مدحت فى مكانه مع كلمات إسحاق الحاسمة وظل ينظر إليه لدقيقة كاملة وكأنه يراه لأول مرة، قبل أن يبتلع ريقه ويقول بصوت خفيض:-

عندك حق يا إسحاق، من قتل يقتل ولو بعد حين.

- إتطمن يا مدحت روح صاحبك هترتاح قريب إن شاء الله.

فجأة قام الشاب من مكانه تاركًا المكان بأكمله دون حتى أن يستأذن من إسحاق، الذى ضرب كفًا بكف وهو ينادى على مدحت الذى أسرع بالخطى حتى غاب عن عينى العجوز فزم شفتيه فى ضيق ثم قام من مكانه ليزاول مهنته التى اعتادها منذ أكثر من خمسون عامًا، أما هو فقد أخذ يهرول مبتعدًا عن المكان كان بداخله بركان يغلى وخوف بلاحدود من المجهول، فما حدث له لم يكن فى

الحسبان، فطوال حديثه مع إسحاق كان يتفادى الجانب المظلم فى حمايته مع فؤاد، كان يسرد له الجزء الأخير من الحكاية، أما البداية فقد كانت منذ زمن بعيد، لقد....

حاسب، حاسب يا اسطى.

ارتفع ذلك الصوت فجأة على بعد أمتار قليلة من مدحت وتردد فى كل مكان من حوله من عدة أشخاص على جانبى الطريق، فالتفت الشاب إلى مصدر الصوت ثم أدار رأسه إلى الناحية الأخرى ليجد أمامه مباشرة سيارة نصف نقل تندفع نحوه بأقصى سرعتها لتطيح به أمامها لعدة أمتار قبل أن تلقى به على جانب الطريق، التف الناس حوله محاولين إسعافه، وأمسك أحدهم بهاتفه محاولًا طلب سيارة الإسعاف، أما هو فقد كان يعيش حالة من الوعى واللاوعى وسائل الحياة يسيل من عدة مناطق متفرقة من جسده، ورفرف ملك الموت بجناحيه على المكان، واستعد ليقتنص روحًا جديدة حان موعدها من بنى البشر.

***

ونيس فضل

- هتروحى حفلة مادى بكرة؟
- مش عارفة عندى ميتنج الصبح وهروح عند مامى بالليل.
- وانا كمان المفروض هسافر شرم بكرة الصبح ومش عارفه هرجع إمتى.
- بس إنتى عارفه لو ما روحناش لمادى هتزعل وهى بتتلكك علشان تعمل زعلانة. كان هذا الحواريدور أمامى يوميًا تقريبًا، لدرجة أن الملل أصبح ملازمًا لى كلما أتيت إلى النادى فى فصل الصيف، كانت الشلة التى أعتبر عضوًا أساسيًا بها، تتكون من أربعة أفراد أنا خامسهم، لمياء وسها ومديحة وشوقى، كنت أشترك معهم فى نشاطاتهم العديدة من مساعدة الفقراء وتكوين الجمعيات التأسيسية فى النادى وغيرها وغيرها من الأعمال الخيرية التى تعاهدت أنا وأصدقائى على المداومة عليها كى نكون مؤثرين فى مجتمعنا العزيز، تثائبت فى إرهاق وأنا أدقق النظر فى الفتاة القادمة نحونا، كانت شهيرة فكرى صديقتى العزيزة، والتى أعرفها منذ كانت صحفية صغيرة تكتب مقالات بالقطعة للعديد من الجرائد بأجر رمزى، ولأنها نشيطة فقد استطاعت أن تتفوق على نفسها وتثبت مكانتها بين الجميع، لم تكن وحدها بل كان يصاحبها رجل متوسط الطول، قمحى اللون، يرتدى بنطلون جينز واسع جدًا غير مناسب لبنيته الضئيلة، وقميص بنفسجى اللون يصلح للنساء عن الرجال، يبتسم ابتسامة عجيبة تجمع بين البلاهة والحماقة فى نفس

الوقت، لوحت لى بكفها مرحبة فلوح لى هو أيضًا وكأنه يعرفنى منذ زمن بعيد، بادلتهم التحية، من مكانى لأرحب بهما، صافحتها بحرارة، قبل أن تعرفنى على الرجل فقالت وهى تبتسم:-

أحب أعرفك على دكتور فؤاد، صاحب دار البهظ للنشر والتوزيع. ثم قالت وهى تقدمنى للرجل:-

ونيس فضل واحد من اهم وأعز أصدقائى، وكمان صاحب أكبر فريندز على الفيسبوك، وصاحب أحلى مؤلفات كوميدية قريتها فى حياتى.

صافحنى بحرارة ثم دعوتهم لمنضدة منفردة كى نظل بمفردنا بعيدًا عن صخب الشلة الذى لاينتهى. جلسنا ثم طلبت الجرسون وأخذت منه قائمة الطعام والمشروبات وقدمتها لهما، راقبت عينى الرجل الحائرتين بين الأصناف العديدة التى تملأ القائمة، فابتسمت فى قرارة نفسى قبل أن أقول:-

ها تطلب إيه يا دكتور؟

رفع عينيه إلىَّ وهز رأسه فى حيرة ثم قال:-

مش عارف.

قررت أن انقذه مما هو فيه فطلبت لنا جميعًا قهوة إكسبريسو وتشيزكيك، فسألنى والنادل يغادرنا كى يآتى بالطلبات، عما هو التشيزكيك فأخبرته بأنه كيك الجبنة، وكم كانت دهشتى عظيمة عندما أخرج من جيبه رغيف خبز أسمر اللون والذى يوجد بالأفران وثمنه خمسة قروش فقط، نفض الرغيف بيده ثم فتحه وهو يقول:-

ما دام فى جبنة يبقى نجهز كل حاجة علشان أول ما تيجى أفطر على طول.

ثم أخرج من الجيب الخلفى لبنطاله الواسع خيارة مسحها بطرف كمه قبل أن يقضم منها قضمة صغيرة وهو يبتسم فى سعادة.

أشرت لسمية بطرف خفى عما فعله صديقها، فابتسمت بدورها ثم قالت:-

هو فؤاد كده، عايش على طبيعته، ودى أحسن حاجة فيه.

لم أنطق بحرف بعدها حتى وصل الجرسون بالطلبات ووضع الطبق الخاص بالرجل أمامه، التقطه على الفور وأخذ قطعة الكيك بيده ووضعها فى رغيف الخبز ثم شرع فى التهامه وهو يقضم معه قضمات صغيرة من الخيارة التى كان يعدها لذلك، أتى على الرغيف بسرعة البرق ثم تجشأ بصوت عال وهو يبتسم فى سعادة بالغة وكأنه قد حاز الدنيا بحذافيرها.

تجاوزت هذا الموقف ثم استمعت إلى سمية التى قالت:-

إيه رأيك يا ونيس لو المواقف الكوميدية اللى بتكتبها مع نفسك وعلى الفيس ينشرها لك الدكتور، وتبقى فى كتاب وكل الناس تقراه؟

أعجبتنى الفكرة ولكننى تمهلت قليلًا وطلبت مهلة للتفكير، بعد ذلك جاء ميعاد ماتش الكورة الذى اعتدنا لعبه فى هذا الوقت من اليوم، دعوت فؤاد للعب معنا ولم يمانع، وعندما وجهته لغرفة تغيير الملابس، فاجأنى بأن خلع ملابسه على الفور، لتتضح الصورة المخزية، كان يرتدى كلسون أبيض صعيدى وفانلة بيضاء وأخذ يقفز فى المكان ويؤدى بعض التمارين الرياضية السريعة، لم اتمالك نفسى من الضحك من هذا المشهد المؤسف، تم تقسيمنا إلى فرقتين، وبالطبع كان الدكتور من ضمن فريقى، بدأت المباراة، فى البداية كان يعدو فى الملعب فى كل الاتجاهات ومع أى فريق من الفريقين، وفى إحدى الهجمات على فريقنا أخذ الكرة ببراعة من مهاجم الفريق الآخر ثم أتى بأمر عجيب، لم أره من قبل فى عالم كرة القدم، لقد راوغ حارس مرمى فريقنا ثم ضرب الكرة بقوة ليحرز هدفًا داخل مرماه، انطلق فريقنا بأكمله نحوه يريدون الفتك به، ولكنه وقف بثبات وهو يبتسم ابتسامته الشهيرة التى تجمع بين البلاهة والحماقة، وقال بهدوء:-

يا جماعة واحدة واحدة، بالراحة، مش المفروض اننا نجيب جون؟

أجابه الجميع بصوت جهورى واحد:-

أيوه.

لَوَّح بذراعه وهو يقول وكأنه يلقى محاضرة لمجموعة من الطلبة:-

طب ما هو ده اللى أنا عملته، إيه اللى يخلينا نروح لغاية هناك علشان نجيب جون، ونجرى ونتعب نفسنا، ياجماعة الموضوع أسهل من كده بكتير الإنسان دايمًا بيدور على الشىء اللى يتعبه ويعمله مشاكل فى حياته، الجون اللى إنت قريب منه دخل فيه علطول، وبكده هيبقى معانا اسكور كتير يكفينا كلنا، خد الحكمة دى منك له، سمعتها قبل كده من الواد سيد عجينة لما كنا بنلعب زمان فى الكفر بتاعنا، كان دايمًا يقول (رَبَّح رُكَبَك ولَمَّعهَا، هييجى وقت وترفعها).

قال خطبته العصماء ثم ترك الفريقين فى حالة ذهول ثم أخذ يلهو ويلعب بالكرة وحده ويحرز الأهداف

هنا وهناك، والعجيب أن الجميع قد بلغ منهم التعب مبلغه، ولكنه لم يتأثر ولا حتى ذرف قطرة عرق واحدة، كان إنسانًا عجيبًا من نوعية لم أقابلها من قبل، انتهى اليوم ومازالت صورة هذا الرجل أمامى، أضحك كما لم أضحك من قبل كلما تذكرته، ولأننى أحب المغامرة فقد اتخذت قرارى بنشر أعمالى الكتابية معه، فاتصلت بشهيرة كى تحدد لى موعدًا مع الدكتور لمقابلته وتوقيع التعاقد على نشر أول أعمالى الأدبية، رحبت بالفكرة وقالت لى إن هذه خطوة ناجحة على طريق طموحاتى وأحلامى، فزادت كلماتها من حماسى وتفاؤلى بالموضوع، وماهى إلا نصف ساعة حتى كانت تتصل بى مرة أخرى لتخبرنى أن فؤاد قد حدد يوم الخميس القادم للمقابلة، والذى أطلقت عليه فى ذلك الوقت اسم الخميس الموعود.

***

تم توقيع العقد بعد أن أصَرَّ هو على عدم قراءة العمل قائلًا:-

هو احنا هنطلع إيه جنب الآلاف اللى عندك، مش هم قالوا رأيهم قبلنا وعجبتهم الكتابات، خلاص نتوكل على الله ونوقع العقد.

اشتمل العقد على بنود كثيرة أصَرَّ على وضعها بيده كان أغلبها فى صالحه،

ولكننى لم ألقِ بالًا لها فقد كان همى الأساسى هو نشر الكتاب ومشاهدته بين يدى الجميع، ولقد أوفى الناشر المحترم بوعده وتم نشر الكتاب، ولكن لم تكن هذه هى المشكلة، المشكلة أنه لم يلتزم بعدد الطبعات التى اتفقت معه عليها، مما أدى لعدم تواجد الكتاب فى العديد من المكتبات فى معظم المحافظات وكذلك فى أغلب الدول العربية، وعندما واجهته بالموقف أجابنى إجابة غريبة وعجيبة وغير متوقعة.

- الحل الوحيد، إننا نضرب الكتاب.

- نضرب إيه؟ نضرب الكتاب ليه؟

- إسمعنى، لما الكتاب ينضرب هيبقى فى كل حته فى مصر، على الأرصفة وفى المكتبات وفى أهم سوق ثقافى فى مصر، سور الأزبكية، أنا تعمدت أخلى كتابك شاحح من السوق علشان يتسأل عليه

مرة واتنين وتلاتة، ولما الناس تسأل عليه هيبقى له قيمة بين الكتب.

- طب وهنعمل إيه علشان الكتاب ينضرب؟

- ما تقلقش، أنا لى سكة فى الموضوع ده، الواد إبراهيم روزمة عنده الحل، هروح له وهروق معاه والدنيا هتبقى زبادى.

لم أفهم العديد من الكلمات التى كان يقولها فى وقتها ولم أحاول أن أسأله، واعتبرت هذه العبارات هى شفرة أو سيم بينه وبين الكثير من العاملين فى الوسط الثقافى، وبالفعل تم ضرب الكتاب، وصدق فؤاد، لقد أصبح الكتاب فى كل مكان، وفى يد الجميع، وعندما جاء وقت الحساب، حاسبنى بما يرضى الله، ولكن ليس على جميع الطبعات لقد كنت أتابع طبعات كتابى والتى فوجئت أنها وصلت للطبعة العاشرة فى أربعة أشهر فقط، وهذا يعتبر فتح مبين فى عالم الثقافة والأدب، فأخبرته بعدد الطبعات فاندهش وقتها ثم قال بأن الأمور صعبة معه والحالة المادية ليست على ما يرام، صدقته ولكننى اشترطت عليه أن يحدد لى موعدًا ثابتًا للمحاسبة، ولكن كما يقولون فى المثل القديم

(ديل الكلب عمره ما بيتعدل، ولو علقوا فيه قالب)،

اختفى تمامًا ولم يعد له أثر، وانتشرت الأخباروالإشاعات بأنه قد صفى الدار، وهناك من يقول بأنه سيقوم بجولة فى جميع المعارض المصرية وغيرها حتى يتوفر الكتاب فى كل مكان فى الجمهورية. لم أستطع العثور عليه بعد ذلك، ومن بعدها علمت أنه قد قتل فى مقر الدار.

****

تنهد أشرف صبحى بعمق بعد أن انتهى ونيس من حكايته مع فؤاد، ثم طرقع أصابع يده وهو يقول:-

يعنى كلكم بتجمعوا على إنه بمجرد ما بياخد الفلوس منكم بيهرب ويختفى خالص.

أومأ ونيس برأسه موافقًا لكلام أشرف الذى أشار لأحمد بإحضار رفيقيه، وعلى الفور أحضرهما الرائد إلى المكتب، الذى دعاهما ضابط المباحث للجلوس فيه ثم فرقع بإصبعيه لأحمد، الذى ناوله هاتفه المحمول، فضغط زر إعادة ما سجله الهاتف الذى كان موضوع فى الدرج الخاص بمكتب الرائد والذى قام بتسجيل الحوار الذى دار بين الأصدقاء الثلاثة داخل مكتب أحمد.

امتقعت وجوههم عندما انسابت أصواتهم من الهاتف الصغير، والتى كشفت الكثير من الحقائق التى لم يفصحوا عنها خلال التحقيق معهم. انتهى التسجيل فأغلق أشرف الهاتف ثم أدار عينيه

فى وجوه الكتاب الثلاثة قبل أن يقول بلهجة حازمة:-

إيه رأيكم فى الكلام ده؟

اندفع ونيس يقول:-

اللى حصل إننا إتقابلنا مع بعض واتفقنا على إننا نروح نتكلم مع فؤاد ونواجهه بكل اللى جوانا من ناحيته، وننهى تعاقداتنا معاه، ونشوف هيكون رده إيه على كل واحد مننا.

قطع عمر حديثه قائلًا:-

كنا بنقول إنه مش هيقدر ينكر أى حاجة من كلامه مع كل واحد مننا لما نواجهه واحنا مع بعض. نظر أشرف إلى كامل الذى لم ينطق بكلمة واحدة منذ دخل إلى حجرة ضابط المباحث، كل ما فعله هو أن أخذ يفرك يديه فى توتر ثم يقضم أظافره، قبل أن يهرش فى رأسه، ولم تَغِب كل هذه التغيرات عن عينى صقر مثل المقدم أشرف الذى قال وهو ينظر فى عينيه مباشرة ليزيد من توتره:-

وإنت ما عندكش حاجة تقولها؟

حرك رأسه بعصبية ثم قال:-

لأ يافندم مش أكتر من اللى قالوه، لكن صدقنى والله العظيم إحنا ما قتلناهوش ولا حتى لينا يد فى قتله، والكلام اللى كان بينا فى مكتب الرائد أحمد كان كلام عادى، بس كل الحكاية إنى كنت خايف وهم يهدونى.

عقد أشرف حاجبيه فى تساؤل وهو يقول:-

خايف من ايه؟

أجابه وهو يقترب منه:-

منكم، أنا عندى عقدة خوف من رجالة الداخلية يا باشا.

ابتسم أشرف على الرغم منه، من بساطة الإجابة ثم أشعل إحدى سجائره النفاذة الرائحة ونفث دخانها فى وجوههم قبل أن يقول بفراغ صبر:-

تقدروا تتفضلوا، بس لو احتجت لكم، هجيبكم تانى.

شكره الثلاثة قبل أن يسرعوا بمغادرة هذا المكان المخيف بعد كل ما تعرضوا له خلال الأربعة وعشرون ساعة السابقة، أما ضابطى المباحث فقد نظرا إلى بعضهما البعض بقلة حيلة، قبل أن يقول أحمد:-

هنعمل إيه دلوقتى يافندم؟

تراجع أشرف بظهره إلى الوراء ثم حملق فى سقف الحجرة لنصف دقيقة كاملة قبل أن يعتدل ويقول بحماس:-

لازم نعمل جولة ميدانية، أنا وانت يا أحمد.

جلس أحمد على المقعد المقابل لأشرف ثم قال متسائلًا:-

جولة ميدانية !! تقصد إيه يافندم؟

تنهد أشرف ثم قال:-

هنفتش مكان الجريمة مرة تانية، لكن لوحدنا، أنا حاسس إنى هلاقى حاجة هناك توصلنا لشخصية القاتل، وصدقنى يوم ما هقبض عليه، هعمل له بنفسى احلى حفلة توقيع فى حياته. ولم يعترض أحمد، ولم يضع أشرف ثانية واحدة.

***

obeikan.com

أشرف صابر

استمر المصعد فى طى الطوابق حتى وصل إلى الطابق العاشر حيث مقر دار البهظ التى أغلقت الشرطة بابها حتى ينتهى التحقيق فى القضية، فتح أشرف الباب ودلف منه إلى الداخل وتبعه أحمد بعد أن حصلا على إذن من النيابة بفتح الشقة مرة آخرى. كانت الدار غارقة فى الظلام فمد أحمد يده إلى زر الإضاءة وضغطه فاشتعلت الأضواء بأكملها لتحيل المكان إلى نهار صحو، استمر الضابطين فى البحث والتفتيش لأكثر من نصف ساعة فى الصالة فلم يجدا شيئًا مثيرًا للاهتمام كان هناك هاجس يعربد فى عقل أشرف بأن هناك شىء فى الدار لم تلاحظه قوات الشرطة وهى تفتش المكان بعد وقوع الجريمة مباشرة، شىء سيفيده فى التحقيق والوصول لشخصية القاتل ولكنه مع الأسف لم يجد ما يثير الاهتمام، فأشار إلى أحمد أن يتبعه إلى إحدى الغرف الجانبية، تحرك أشرف إلى الحجرة بهدوء وهو يدير عينيه فى الصالة ليلقى عليها نظرة آخيرة ويده تدفع باب الحجرة ويدلف إليها بخطوات واثقة وفجأة أحس بحركة خافتة فى المكان فأسرعت يده إلى زر الإضاءة وهو يشير لأحمد إشارة ذات معنى فاستل مسدسه وتبع زميله إلى الداخل بحذر.

- اثبت مكانك، ولا حركة.

أطلق أشرف هذا التحذير الصارم وهو يحملق فى الرجل الجالس أمام جهاز كمبيوتر نقال ويعبث فى آزرارها باهتمام، وقف الرجل مطيعًا لأمر الضابط، ومن خلف قناع (فينتيدا) الذى يرتديه ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتيه فاقترب

منه الضابطين بترقب ومسدسيهما مشهورين فى وجه الرجل، وبينما هما يتجهان نحوه إذا برنين هاتف أشرف النقال يطلق رنينًا قويا فجفل الضابط للحظة استغلها الرجل أحسن استغلال، فألقى بمنفضة السجائر الصغيرة الموضوعة بجانب الحاسب الآلى فى وجه أشرف

ثم انتزع شيئًا صغيرًا من الكمبيوتر، يبدو أنه كان ينتظره حتى ينهى عمله على الجهاز، ثم قفز بكل جرأة من النافذة الكبيرة التى تقع خلفه مباشرة، وفى هذه اللحظة أطلق أحمد الرصاص على الرجل لتصيب رصاصاته أطار النافذة ثم تنحرف عنها دون أن تصيب الهدف، الذى تبخر فجأة من الحجرة ولم يعد له أى أثر.

****

كانت كل خلية فى جسد أشرف وزميله تنتفض غضبًا بعد أن غافله الرجل واستطاع الهرب منه بكل سهولة، فانطلق إلى النافذة وهو متوقع أن يجد جسد الرجل وقد تحول إلى أشلاء بعد أن قفز بإرادته من هذا الارتفاع، ولكنه وجد مالم يتوقعه أبدًا.

لقد وجد الرجل حى يرزق وهو يواصل نزوله بسلام ولكن قفزًا على وحدات التكييف الخارجية التى تعلق على العمارات من الخارج، أعجب أشرف بجسارة الرجل، وثقته بنفسه، فأشار لأحمد أن ينزل بأقصى سرعة ليستقبل الهارب أسفل العمارة، بعد أن يأخذ معه اللاب توب، بينما قفز هو من النافذة ليلحق بالرجل وليثبت لنفسه أنه لا يقل جرأة عن الهارب.

استمر الرجل فى النزول بنفس الطريقة وأشرف يلهث محاولًا اللحاق به بأى شكل من الأشكال، وبينما الرجل يقفز على آخر وحدة إلى الشارع كان أحمد قد خرج من باب العقار بسرعة الصاروخ وهو يحمل بين يديه الكمبيوتر المحمول ويصرخ فى الناس بالابتعاد عن المكان وساعده عبده البواب فى إبعاد البشر الذين تجمعوا لمشاهدة هذه المطاردة المثيرة، والذين اعتقدوا أنها مشاهد تصوير لأحد أفلام الصيف.

صَوَّبَ أحمد مسدسه نحو الهدف وهو يصرخ فيه بالاستسلام، ولكن الهدف لم يسمع لتهديدات الضابط الهمام، بل قفز من مكانه ليهبط فوقه وهو يعاجله بضربة قوية من قبضته سقطت على أنف أحمد فهشمته تمامًا، فسقط أرضًا وقدم الرجل تضربه بقوة فى رأسه، قبل أن يهشم اللاب توب بقبضتيه تمامًا، ولم ينتظر ثانية بعد ذلك بل انطلق بسرعة الصاروخ إلى إحدى الدراجات النارية ليعتليها ويغادر المكان بلا رجعة.

أما أشرف فلم يكد يرى أحمد وهو ملقى أرضًا بعد هجوم المقنع عليه ثم هروب الرجل من المكان حتى قفز آخر قفزة إلى الأرض وهو يلقى نظرة على زميله الذى أشار إليه أنه بخير، فاندفع إلى سيارته ثم أدارها بسرعة وانطلق مغادرًا المكان وهو يطلق عدة أعيرة نارية من مسدسه ليتفرق الناس مبتعدين عنه وهو يدير عجلة القيادة للالحاق بغريمه الذى أثار غضبه عدة مرات فى دقائق معدودة. كانت مطاردة مثيرة فى شوارع منطقة الأهرامات أثبت فيها الهارب أنه بارع بحق فى قيادة الدراجات النارية، وأثبت فيها أشرف أيضًا أنه لا يقل عنه براعة ومهارة فى قيادة السيارات، ولكن كان لخفة الدراجة البخارية عامل كبير

فى سرعة هروب الرجل المقنع، لقد كان يقفز بمهارة فوق الأرصفة ويتفادى الشوارع الواسعة ليمر من الحوارى الضيقة والتى من الصعب على أشرف اللحاق به فيها لكبر حجم سيارته، ولقد أدرك الضابط البارع هذا بسرعة، فترك سيارته وأخذ يجرى بسرعة الصاروخ وراء الدراجة النارية، وعندما كرر الهارب فعلته مرة أخرى وقفز فوق أحد الأرصفة ثم إلى جزء مائل لأعلى ليطير من فوق رؤوس البشر إذا بأشرف صابر يصوب رصاصته بإحكام نحو إحدى إطارات الموتوسيكل، التى استقرت بداخله وأفرغت هوائه المضغوط بقوة، وعندما عادت الدراجة مرة أخرى إلى الأرض لم يحتمل الإطار الفارغ الارتطام بالأرض، فانقلب الموتوسيكل رأسًا على عقب، وعندما دفع الرجل الحطام عنه واستعد للهروب

مرة أخرى إذا به يندفع إلى الأمام بقوة بعد أن تلقى ضربة قوية على مؤخرة رأسه من مسدس أشرف، الذى أخرج أصفاده الحديدية وقيد بها أيدى الرجل خلف ظهره، ثم انتزع عنه قناعه بقوة، وهو يقول بصوتٍ لاهث:-

ورينى وشك كده يا روح امك.

وعندما نزع القناع ظهرت الحقيقة المخيفة، لقد كان الرجل الذى أمامه هو نفس الرجل الذى رأى جسده بنفسه وهو يوارى التراب، لقد كان فؤاد بشحمه ولحمه.

***

obeikan.com

فريـد

- أنا عايز أعرف كل حاجة، من البداية لغاية دلوقتى، إزاى إنت عايش وأنا شـوفت جثتك بعينى الإتنين، ومشيت فى جنازتك لغاية ما إتدفنت قدام الناس كلها، إزاى بقى تبقى قاعد قدامى كده حى ترزق؟

ألقى أشرف سؤاله على الرجل الجالس أمامه والذى كان من الواضح أنه قد تلقى تعذيبًا بما فيه الكفاية، من جراء اعتدائه على أحمد ومحاولات هروبه من الضابطين، ابتلع الرجل ريقه بصعوبة ثم قال بوهن:-

أنا مش فؤاد.

اندفع أحمد نحوه وصفعه صفعة قوية زادت من آلامه، قبل أن يقول بغضب:-

نعم يا روح أمك، أومال انت تبقى مين؟

نظر أشرف إلى زميله معاتبًا، لعدم تحكمه فى أعصابه، ثم وجه كلامه إلى الرجل قائلًا وهو يشير إلى وجهه:-

أمال ده وش مين اللى محاوط جمجمتك ده؟

- أنا مش فؤاد، أنا أخوه التوأم، فؤاد ما إتقتلش.

حَدَّقَ الضابطين فى وجهه بدهشة عارمة قبل أن يقول أشرف بصرامة:-

أخوه التوأم !! يعنى إيه؟.

هز الرجل رأسه موافقًا ثم استطرد قائلًا:-

إحنا ثلاثة توأم فؤاد وفريد وفهمى. اتسعت عينا أشرف وهو يتبادل نظرات دهشة مع أحمد الذى احتبست الكلمات فى حلقه، فأصابته بغصة مؤلمة، أما أشرف فقد جلس على مقعده ببطء وهو يقول:-

إحكى لى الحكاية من الأول بقى كده يا حلو، وإوعى تنسى أى حاجة، فاهم؟

أومأ فريد برأسه موافقًا ثم بدأ حكايته هو وأخويه.

***

obeikan.com

ست الحسن

انطلقت صرخة هائلة، شقت سكون ليل أحد القرى المصرية، كانت الصرخة لامرأة فى أواخر العشرينات، قرر وليدها أن ينزل إلى الدنيا فى هذه الساعات القليلة قبل الفجر، كان من الواضح أنه قرر أن يذيق أمه أشد العذاب مقابل أن يمنحها لقب أم، فقد كانت آلامها مبرحة إلى أقصى مدى، ولتخفيف الآلام عنها نادت القابلة بأعلى صوتها على من بالبيت لإحضار بعض الماء الساخن وبعض الخرق الصغيرة، التى تستخدمها مع الماء فى زيادة حدة نبضات الرحم كى تصنع ما يسمى بالطلق، والذى يساعد بشكل كبير فى إتمام عملية الولادة. أطلقت السيدة صرخة أخيرة قوية، لتمتزج معها صرخة المولود الصغير، الذى قرر أخيرًا التواجد فى عالم البشر، قامت القابلة بقطع الحبل السرى بسرعة ومهارة وأخذت المولود لتزيل عنه بقايا الدماء العالقة به وتنظفه حتى تعيده إلى أمه مرة أخرى، ولكنها فوجئت بالأم تعاود الصراخ من جديد، فتركت الصغير وذهبت إليها لتساعدها، كان من الواضح أن الأم لم تنتهى من ولادتها، وأنها فى طريقها لوضع توأمها الثانى، الذى أنهك قواها تمامًا، ولكنه فى النهاية استسلم لقدره وأطلق صرخته الأولى فى عالم البشر، كانا صبيين آية فى الجمال، جعلا عينى القابلة تنطقان بالسعادة والفرح وهى تقول:-

بسم الله، ماشاء الله، ولدين زى القمر.

ولكن الأم لم تُعِرها أى اهتمام وهى تطلق صرختها الثالثة والأخيرة والتى معها خرج التوأم الثالث إلى الحياة. وتراخى جسد الأم تمامًا بعد هذه المعركة الشرسة للبقاء فى هذه الدنيا.

اقتربت القابلة منها وأسعفتها سريعًا ثم ابتسمت عندما فتحت المرأة عينيها مرة آخرى، فقالت القابلة:-

ألف حمدلله على سلامتك يا ست الحسن.

ردت عليها قائلة بوهن:-

الله يسلمك، الأولاد عاملين إيه، يا أم سيد.

ألقت القابلة نظرة على التواءم الثلاثة، لتجد واحدًا منهم يتثائب بقوة ثم يطلق عدة صرخات قوية متتالية فابتسمت أم سيد وهى ترفعه وتبدأ فى تنظيفه سريعًا قبل أن تأخذ الثالث وتصنع به نفس ما صنعت بأخويه، وعندما استقر الثلاثة متجاورين، ألقت عليهم أمهم نظرة حانية قبل أن تذرف عينيها الدموع وهى تقول بخفوت:-

الله يرحمك يا تيسير، كان نفسه يعيش علشان اللحظة دى.

ربتت أم سيد على كتفها وقالت مواسية:-

الله يرحمه، ربنا يصبرك يا اختى.

ثم قرنت قولها بأن التقطت أحد الصغار، والذى ما زال يطلق صرخات قصيرة وناولته لها وهى تقول:-

سمى كده وخدى رضعى الأولانى عقبال ما أجهز لك الإتنين التانيين، ألا صحيح هتسميهم ايه؟

التقطت منها الولد وقالت وعلى شفتيها ارتسمت ابتسامة حانية، وهى تتذكر ذكرى قريبة:-

هسميهم فؤاد وفريد وفهمى، زى ما أبوهم الله يرحمه كان موصينى.

ابتسمت القابلة ابتسامة حزينة وهى تلتفت إلى الصغيرين قبل أن تقول:-

أنا هخرج أفرح الناس اللى بره، أحسن هيموتوا من القلق عليكى.

أمسكت ست الحسن بيد أم سيد وهى تقول راجية:-

طب ما تخليش حد يدخل على طول، علشان أنا مش ناقصه قروحسد.

ربتت أم سيد على كتفها برفق وقالت:-

من عينى حاضر.

تركتها وفتحت الباب لتلقى بالخبر السار على أهل القرية وانطلقت الزغاريد فى كل مكان بالبيت، تحمل الفرح والسعادة للأولاد الثلاثة، فعادت عينى ست الحسن تذرفان دموع الفرح والحزن معًا، الفرح على ما رزقها الله به، والحزن على زوجها الذى تمنت أن يكون بجوارها فى هذه اللحظة، مررت يدها على أطفالها الثلاثة لتتحسسهم وتشعر بنبض قلوبهم فى نبضات كفها، وبينما هى على حالها، لاحظت أن نبض اثنين من الصغار قد توقف تمامًا، وأن عينهما ظلت شاخصة فى السماء، بينما الثالث يتحرك بهدوء.

أطلقت صرخة فزع وهى تنادى على أم سيد، التى اندفعت إلى الحجرة وتبعها بعض نساء القرية وأقارب ست الحسن لتستقبلهم بعينين دامعتين وهى تقول:-

العيال ما بتنطقش، إلحقونى.

وضعت القابلة أذنها على صدر المولود الأول فوجدت قلبه قد توقف بالفعل عن النبض، فوضعته بجانب أمه ثم التقطت الثانى وفعلت به نفس ما فعلت بأخيه فوجدته قد حذا حذو أخيه، فوضعته بجانب أمه وهى تتطلع بأسف إليها، فأطلقت الأم صرخة ألم وحسرة على ولديها، الذين فقدتهما قبل أن تفرح بهما، وكأن القدر قد استكثر عليها الفرحة والسعادة.

أشارت إلى من بالحجرة وهى تقول:-

سيبونى لوحدى، مش عايزه حد هنا.

أطاعها الجميع على الفور، وكان آخرهم هى أم سيد، التى نادت عليها ست الحسن قائلة:-

خليكى إنتى يا أم سيد.

أطاعتها على الفور وهى تغلق الباب خلف الجميع، فرفعت ست الحسن رأسها إليها وقالت:-

شوفتى يا أم سيد الدنيا قاسية عليا إزاى، مستكترة عليا إنى أفرح حتى بأولادى اللى رزقنى بيهم ربنا، يا رب ليه كده يا رب.

احتضنتها القابلة وهى تقول:-

وحدى الله، ما تكفريش يا ست الحسن، قولى يا رب عوضنى عنهم خير، وأكيد ربنا هيستجيب لك.

أبعدتها الأم عنها برفق وهى تنظر إلى الصغيرين، وعندما همت بالتعقيب على كلام أم سيد انطلقت فجأة صرختان قويتان للصغيرين معًا، لقد عادوا للحياة مرة أخرى بإرادة الخالق عزوجل، لا أحد يعرف ما الذى حدث، ولكنها إرادة الخالق عز وجل، لقد أراد أن يختبر إيمان الأم بحرمانها من المولودين، ولكنه أشفق عليها مرة أخرى فإعادهم إليها كى تقر عينها ولا تحزن.

احتضنتهما أمهما معًا وانفجرت بالبكاء وهى تبتسم وتقول:-

الحمد لله، ياما إنت كريم يا رب.

همت أم سيد بإطلاق زغرودة تعبر بها عن سعادتها بعودة الولدين للحياة مرة آخرى، ولكن ست الحسن أمسكت بيدها وقالت:-

اسكتى يا أم سيد، إوعى تقولى لحد على اللى حصل دلوقتى.

- إزاى يا ستى، دى حاجة تستخبى!!!.

ردت القابلة بعبارتها السابقة فقالت ست الحسن:-

اقعدى يا أم سيد واسمعى اللى هقول لك عليه وتنفذيه بالحرف.

هزت المرأة رأسها موافقة فأكملت ست الحسن قائلة:-

إنتى عارفه إنى طول عمرى بخاف من الحسد موت، وطول عمرى وأنا بتحسد من القريب قبل الغريب، لغاية ما الحسد جاب جوزى الله يرحمه الأرض، وقضى

عليه من إخواته وأنا ما عنديش استعداد ولادى يروحوا منى زى ماهو راح، اللى حصل دلوقتى له حكمة كبيرة عند ربنا، وعلشان كده أنا وانتى هنخبى حكاية إن الولاد رجعوا للدنيا تانى، يعنى قدام الناس أنا خلفت تلاتة ومات منهم اتنين.

تكلمت أم سيد قائلة على الفور:-

طب والولدين هنعمل فيهم إيه يا ستى.

تنهدت ست الحسن وقالت:-

هتاخديهم تربيهم إنتى يا أم سيد، إنتى جوزك مات الله يرحمه وما كانش له فى الخلفة، هتاخدى العيلين

وتنزلى على مصر، هتعيشى هناك، وأنا هبعت لك كل شهر مصاريفك ومصاريف العيال، دا غير أجرة

السكن اللى هتعيشى فيه، أنا من زمان عارفه إنك عايزه تعيشى فى مصر أم الدنيا، وإنك كمان زهقتى من شغلانة الداية دى، وآن الأوان ترتاحى من وجع القلب.

تلعثمت أم سيد التى أطلقت القرية عليها هذا اللقب لأنها لم ترزق بأى مولود منذ تزوجت من سنوات طويلة، فقالت:-

أصل يا ستى....

قاطعتها ست الحسن قائلة:-

لا أصل ولا فصل، يلا بسرعة قبل ما حد ياخد باله، روحى لعبد الحميد وخدى الولدين معاكى من غير ماحد ياخد باله وأنا هفهمه كل حاجة، يللا مفيش وقت.

ترددت أم سيد قليلًا، ولكنها فى النهاية استسلمت لرغبة سيدتها وأخذت الولدين ودثرتهما جيدًا فى ثياب ثقيلة ثم تسللت إلى خارج المنزل لملاقاة عبد الحميد الذى كان يذوب عشقًا فى ست الحسن منذ كانت صغيرة، فهو ابن عمها وكاتم أسرارها، والذى كان يتمنى أن يجتمع بها تحت سقف واحد، ولكنها كانت تحب تيسير ابن عم داوود الخولى منذ وعت عيناها على الدنيا، وقررت أن تتزوجه

رغم معارضة أهلها لهذه الزيجة، ولكن عبد الحميد كان يملك روحًا رياضية بل والأهم من ذلك، كان يحب ست الحسن التى كان لها نصيب كبير من اسمها، وكان يتمنى لها الرضا لترضى لذلك فقد كان عبد الحميد هو الإنسان الوحيد الذى تثق فيه وتأتمنه على سرها.

ولم يخيب الرجل ظنها فقد هاتفته بمجرد خروج أم سيد من عندها وشرحت له كل شيء فى كلمات قصيرة، ولقد تصرف بحكمة وحنكة بالغة، فقد قام بدفن دميتين صغيرتين بدلًا من وليدى ست الحسن، ثم أعطى رزمة مالية كبيرة لأم سيد وسهل لها الخروج ليلًا من القرية، قبل أن يخبر حبيبته بأن الأمور تمت كما أرادت، شكرته وتمنت له دوام الصحة والعافية، ثم ارتدت ملابسها السوداء على من فقدتهم، حتى نسيت القرية تمامًا حكايتها، وأطلقت هى اسم فؤاد على المولود الذى ظل معها وفريد وفهمى على الصغيرين التى تغمدتهما أم سيد بالرعاية والحماية، وظلت تزور طفليها كل فترة لتطمئن عليهما من آنٍ لآخر.

استخرجت أم سيد لهما شهادتى ميلاد وظلا فى كنفها حتى أصبحا شابين يافعين.

****

استمرت ست الحسن تزور الولدين وبصحبتها أخيهم فؤاد طوال سنوات عمرهم وفى إحدى الأيام سألها ابنها فريد، لماذا تتركهم هنا ولا تأخذهم معها ليعيشوا فى القرية، فقالت له بأنها تطمئن عليهم هنا أكثر من القرية، ولم يناقشها أولادها فى هذا الأمر مرة أخرى وإن لم يقتنعوا بإجابتها فى هذه الأثناء. حرصت على أن ينال أبناءها الثلاثة نفس الدرجة من التعليم ولكن شاء القدر أن يكون نصيبهم هو التعليم المتوسط، ولكنها لم تلتفت إلى ذلك فقد كان همها الأكبر هو أن يظل الإخوة الثلاثة على علاقة وثيقة ببعض، ولأنها لم تعرف شيئًا عن التوائم المتماثلة فقد كانت دهشتها عظيمة عندما حكت لها أم سيد عن العذاب الذى لاقته فى تربيتهم وفى ترابطهم معا فى كل شيء حتى فى المرض، فعندما كان يمرض

أحدهما يتأثر الآخر بالمضاعفات، فقارنت ست الحسن بين ما تحكيه لها القابلة وبين ما عانته بدورها عند تربية أخيهم الثالث فؤاد، نفس الآلام، نفس المشاعر والأحاسيس، ولكن كان الله رحيمًا بهم وبأمهم فقد تعبت فى بداية حياتهم حتى استقرت الأحوال.

فرك الطبيب المعالج لحالة ست الحسن عينيه وهو يراقب حالتها بعد أن وقعت فى غيبوبة عميقة ليس لها تفسير، بعد أن عادت من دفن ابنها، لقد شاهد الطبيب دموع غزيرة تسقط من عينى المرأة العجوز وهى فى بئرسحيق يعلم الله متى تعود منه إلى عالم الواقع، فأشار إلى الممرضة التى كانت تضع المحاليل لها وقال:-

مش دى دموع، ولا أنا نظرى ضعيف.

نظرت إلى ست الحسن فوجدت دموعها تغرق وجهها الذى كان يحمل يومًا جمالًا يخطف الأبصار ثم قالت متعاطفة:-

أيوة يا دكتور، دى بتعيط وهى نايمة.

مَطَّ الطبيب شفتيه ثم قال:-

الواحد ياما هيشوف فى الشغلانة بتاعتنا دى.

قال عبارته ثم كتب بعض الأدوية التى ستوضع لست الحسن فى المرحلة القادمة ثم ترك الحجرة وذهب لممارسة مهنته فى غرفة أخرى ومع مريض آخر، ولكن لو قدر له أن يدخل إلى رأس ست الحسن فى هذه اللحظة، لوجد إجابة لدهشته، لقد كانت هذه المرأة تتذكر حياتها السابقة مع فلذات أكبادها الثلاثة، وفقدها لأحدهم، ولحياتها معه.

***

فؤاد

- مش هتشغل إخواتك معاك زى ما اتفقنا.

انتظرت والدة فؤاد إجابته على سؤالها، فنظر إليها بضجر وهو يقول:-

وهى الفلوس اللى بياخدوها كل شهر مش مكفياهم؟

أجابته أمه هذه المرة وهى تتنهد:-

لأ يا ابنى مكفياهم الحمد لله، بس مش ده اللى أنا عايزاه، أنا عايزاهم يشتغلوا، تحطوا إيديكم فى إيد بعض وتبقوا كيان واحد محدش يعرف يكسره.

التقط علبة سجائره الأجنبية وأخذ منها واحدة أشعلها على الفور، ثم أطلق سحب الدخان من فمه قبل أن يقول وهو يشير بسبابته لأمه قائلًا:-

بصى يا أمى، أنا عملت نفسى بنفسى، كافحت واشتغلت علشان أعمل كل الفلوس والمستوى

اللى أنا فيه ده، أه أخدت دبلوم صنايع زى إخواتى، لكن أنا ما رضيتش بكده، لا أنا اشتريت دكتوراة فى الأدب زى ما كتير فى بلدنا بيعملوا، وبعد كده عملت علاقات كتير أوى مع صحفيين ونقاد ومفكرين وكتاب، علشان فى الآخر أفتح دار النشر اللى إنتى شايفاها دى، وما عنديش استعداد إنى أخسر كل ده، مهما كان التمن. التمعت نظرة عتاب فى عينى ست الحسن وهى تغمغم:-

بقى كده يا فؤاد يا ابنى، دى آخرتها برضو، إنت نسيت انى قلعت حتتين الصيغة اللى حيلتى وإديتهم لك علشان تبدأ المشروع بتاعك، ولما قلت لك خلى

obeikan.com

إخواتك يشتغلوا معاك عملت لى الموشح ده كله، ليه كده يا ابنى، دا إنتوا مالكوش غيربعض وأنا لو عيشت لكم النهاردة مش هعيش لكم بكرة خلى بالك من إخواتك يا فؤاد، إنتوا إتربيتم بعيد عن بعض وآن الأوان تبقوا إيد واحدة، وتعوضوا كل اللى فاتكم.

التقط فؤاد آخر نفس من سيجارته، قبل أن يلقيها أرضًا ويدهسها بقدمه، ثم قال بنفاد صبر:-

حاضر يا أمى، هشغلهم معايا.

****

اشتغلنا معاه، لكن من غير ما حد يشوفنا، ولا يتعرف علينا، كنا بنعمل له الأعمال الإدارية، ونخلى الورق على إمضائه، وهو ييجى يمضى على الجاهز بعد ما يراجع اللى عملناه، وزود لنا المرتب الشهرى اللى كان عامله لنا، علشان يرضى أمى، لغاية ما جه يوم عزمنا فى الغرزة اللى كنا متعودين نسهر فيها كل خميس يومها كلمنا بصراحة عن اللى بيحصل له الأيام دى، والمشاكل اللى الدار اتعرضت لها فى الفترة الأخيرة. قاطعه أشرف قائلًا:-

غرزة إيه؟

أجابه فريد قائلًا:-

غرزة فوزية بيجو، اللى فى الدويقة.

هز أشرف رأسه موافقًا، ثم أشار له بالاستمرار فى الحكاية، فاعتدل فى مقعده ثم عاد للسرد مرة أخرى وبكل استفاضة.

****

وضعت سيدة فى أواخر العشرينات، متينة البنيان، خمرية البشرة، ترتدى جلباب حريمى أسود اللون ستان ضيق يبرز مفاتنها بصورة فَجَّة، طاسة الفحم أمام فؤاد ورفيقيه ثم قالت بميوعة:-

ألف هنا وشفا. أطلق هو ورفاقه ضحكات سريعة متقطعة قبل أن يبدأ فى السعال بقوة ثم بصق على الأرض وقال بصوت متحشرج:-

تسلمى لى يا غالية.

رفعت حاجبها الأيسر بدلال ثم قالت:-

تسلم يا ملك، إيه جاى ولا الدور الجاى؟

ابتسم فؤاد بحنان وقال:-

لأ خليها الدور الجاى يا فوزية، أحسن فكرى مشغول حبتين.

بادلته الابتسام وهى تقترب منه وتقول:-

طب ما تيجى وأنا أخلى مزاجك عال العال، طب والنبى وما لك عليا حلفان، أخلى فكرى نفسه يركع تحت رجليك.

عاودته موجة الضحك مرة أخرى قبل أن يقول:-

معلش خليها وقت تانى.

قامت من مكانها وهى تقول بحسرة:-

براحتك، بس خلى بالك ممكن تيجى وانا رافعة الراية الحمرا، وقتها الموضوع هيكون خرج من إيدى ومش هعرف أعمل لك حاجة.

- ولا يهمك تتعوض إن شاء الله.

قال عبارته وهو يتابع خطواتها المبتعدة عنهم، وعينيه لا تفارقان أردافها الممتلئة والتى تهتز

يمينًا ويسارًا بقوة، ثم سحب نفسًا كبيرًا من النرجيلة التى بين يديه وقال:-

قال وبيقول لك اقتصاد البلد واقع، دى مصر عالية أوى، وهتفضل على طول فى السما.

كانت هذه هى فوزية البيجو، أشهر فتيات الدعارة فى المناطق العشوائية والتى اعتاد هو ورفاقه المجىء إليها بحثًا عن الراحة الزائفة سواء كانت فى قطعة حشيش أو فى نطفة يلقونها فى رحمها أو رحم صديقاتها، كانوا يلقبونه فى هذا البيت بالملك وذلك لكرمه الزائد مع كل رجل أو امرأة فى هذا المكان سواء كان من النقود أو قطع الحشيش التى لا تغادر جيبه إلا لتشتعل فقط. وفى هذه الليلة اجتمع فؤاد

مع توأميه لوضع حل لإعادة سمعة الدار إلى وضعها الأول، بعد أن تكاثرت الأقوال عن ابتزازه للكتاب والنصب عليهم، كان فهمى أول من تحدث قائلًا:-

وبعدين يا فؤاد هنعمل إيه فى الحكاية دى؟

عقد الهظ بين حاجبيه مفكرًا ثم قال:-

والله ما أنا عارف، الدنيا إتلخبطت خالص وحصل حاجات ما كانتش فى الحسبان.

لوح فريد بكفه فى ضجر ثم قال:-

اللى ليه حاجة عندنا ييجى يخدها، إحنا ما ضربناهمش على إيديهم علشان ينشروا عندنا.

نظر إليه فؤاد نظرة جانبية ثم افترثغره عن ابتسامة ماكرة ثم غمغم:-

بس هم لهم، ولهم كتير كمان.

قال عبارته ثم تابع التليفزيون الذى يعرض أحد الأفلام الاجنبية، وعند مشهد معين ترك فؤاد نرجيلته وهو يتابع المشهد باهتمام بالغ حتى أن فهمى قد لفت انتباهه تركيز أخيه مع الفيلم فقال بصوتٍ عالٍ:-

إيه يا نجم، عاجبك الفيلم أوى؟

أشار إليه أن يصمت، فابتلع لسانه وهو يحرك رأسه بلا مبالاة، وعندما انتهى المشهد، أدار وجهه لرفيقيه ثم قال:-

لقيت الحل ياض إنت وهو، بس لازم تكونوا معايا، هنتحرك إحنا التلاتة مع بعض، وخلى بالكم، الغلطة بفورة، يعنى اللى هيغلط هيضيعنا كلنا. الحكاية كلها إننا إحنا التلاتة هنكون نفس الشخص، الدكتور فؤاد، هنتبادل الأدوار، يعنى إنتم هتكونوا أنا طول الوقت. نفث فهمى دخان نرجيلته ثم قال:-

يعنى إيه، أنا مش فاهم حاجة؟

أشار إليهما فؤاد وقال:-

طب خلوا بالكم معايا وركزوا كويس فى الكلام اللى هقوله، الحكاية كلها إنى

هسافر إنجلترا بعد إسبوع من دلوقتى، ومش هرجع مصر تانى، دار النشر إنتوا اللى هتديروها فى غيابى، طبعًا محدش هيعرف يفرق بيننا إحنا التلاتة أبدًا، فريد هتبقى مسؤول عن الكتاب والكاتبات العرب والأجانب، وفهمى هتكون مسؤول عن الكتاب والكاتبات المصريين، وبعد فترة هتبدأ يا فريد تبيع الأملاك بتاعتى فى مصر واحدة واحدة من غير ما حد يعرف، وكمان أى عقود هتعملوها مع أى حد من الكتاب، وهبعت لك رقم حساب بنكى علشان تبعت لى الفلوس هناك، بعد كده ولما الدنيا تستقر تانى هتبيعوا الدار نفسها وفى نفس اليوم اللى هتخلصوا فيه كل حاجة هبعت لكم تذاكر الطيارة علشان تحصلونى على هناك، ونعيش مع بعض بقى يا ولاد كفاية إننا إتحرمنا من بعض طول السنين دى.

سأله فريد وهو يعقد حاجبيه بقوة:-

طب وأمك ومراتك هتعمل معاهم إيه؟

أجابه فؤاد وهو يبتسم ابتسامة خبيثة:-

ما تقلقش، أنا هظبط كل حاجة، المهم تتصرفوا زى ما قلت لكم بالظبط، ومحدش يتصرف أى تصرف من غير ما يقول لى، فاهمين؟

أومأ الإثنان معًا برأسهما موافقين لكلام فؤاد وتم تنفيذ الخطة.

****

وبعدين حصل ايه؟

استحث أشرف الرجل بسؤاله على إتمام حديثه فرفع فريد رأسه إليه وقال:-

ممكن سيجارة؟

ناوله أحمد سيجارة وأشعلها له، ثم قال:-

ها، حصل إيه بعد كده؟

التقط فريد نفسًا طويلًا من السيجارة، قبل أن يطلق سحب الدخان فى هواء الحجرة ليختلط مع زفرات أشرف الغاضبة وهو ينظر إليه مترقبًا فأكمل حديثه

قائلًا ببطء وهو ينظر إلى سقف الحجرة وكأنه يستعيد ذكرى قريبة:-

كل حاجة مشيت زى الفل، لغاية ما فهمى عمل اللى عمله.

سأله أحمد:-

عمل إيه؟

صمت فريد قليلًا ثم قال:-

عمل علاقة مع واحدة صحفية على إنه فؤاد، الصحفية دى إسمها شهيرة فكرى، كانت بتحب

فؤاد جدًا وهو كان بيسايرها علشان تخلص له شوية مصالح، يعنى تعمل تغطية صحفية لحفلة توقيع أو تكتب مقالة عن الدار، أى مصلحة وخلاص، لما فهمى شافها عجبته أوى، وقرر ينام معاها بأى شكل، طبعًا من غير ما فؤاد يعرف، وقتها قلت له كده غلط، ولو فؤاد عرف هتبقى مشكلة، قال لى وهو هيعرف منين، وفعلًا بدأ يجرناعم معاها، وهى طبعًا ما صدقت لأنها كانت بتحبه، لغاية ما عمل معاها علاقة جنسية كاملة ووعدها بالجواز لما الدنيا تتظبط والدار تقف على رجلها.

قاطعه أشرف وهو يعقد حاجبيه:-

معنى كده إن اللى اتقتل يبقى فهمى، أخوكم التالت.

هز فريد رأسه موافقًا لكلام الضابط، قبل أن يقول:-

وعلشان كده اتفقت أنا وفؤاد إننا نعرف مين اللى قتل فهمى علشان ننتقم منه، وخاصة بعد ما أمى وقعت فى غيبوبة من بعد ما رجعت من جنازة فهمى وهى فاكراه فؤاد.

صمت قليلًا ليلتقط أنفاسه وليستطيع أن يسيطر على أعصابه، ثم قال بغضب دفين:-

روحت للشقة وحملت كل اللى سجلته كاميرات المراقبة وقت الجريمة لغاية ما عرفت مين القاتل.

تبادل الضابطين نظرات سريعة ثم استطرد أشرف:-

إيه حكاية الكاميرات دى، ومين اللى قتل أخوك؟

رفع فريد رأسه ونظر إلى أشرف بثبات ثم قال:-

فؤاد فى الفترة الأخيرة كان خايف من الناس كلها وكان عنده هوس بإن الكل متربص له وعايزين يضروه بأى شكل، علشان كده حط كاميرات صوت وصورة فى كل حتة فى الدار، فى أماكن مستحيل أى حد يكشفها، مهما عمل، ولما الجريمة حصلت قالى روح فضى التسجيلات بتاعة الكاميرات واعرف مين اللى قتل فهمى ولما حضراتكم هاجمتونى هناك، كنت عرفت مين القاتل، والجريمة حصلت إزاى، وحملت كل ده على فلاشة صغيرة معايا، بعد ما بعت له التسجيلات على النت.

- فين الفلاشة دى؟

سأله أحمد على الفور، فأخرج فريد من جيبه فلاشة صغيرة أعطاها للمقدم أشرف، الذى التقطها بلهفة ثم أسرع إلى اللاب توب الخاص به والموضوع بعناية فوق مكتبه، ووضع فيه الفلاشة وما هى إلا لحظات وبدأت تظهر محتوياتها ولتتضح شخصية القاتل، التى حيرت الجميع منذ بدأت هذه القضية، والحق يقال أن القاتل كان مفاجأة للجميع، وبكل المقاييس.

***

فهمي

كانت محتويات الفلاشة توضح لقاءات فهمى مع الكتاب والكاتبات وتوقيعه للعقود معهم ثم تتابعت المشاهد حتى وصلت لليلة وقوع الجريمة، ليظهر فى الصورة وهو يرتدى روبًا حريريًا أحمر اللون، ولا يرتدى أسفله أى شىء، كانت الحجرة الموجود بها هى الحجرة الجانبية ف الدار والتى أعدها لملذاته ولمزاجه الخاص، أدار موسيقى هادئة، وأعد كأسًا من الخمر تجرعه مرة واحدة فاحمر وجهه حتى أصبح كلون الطماطم الصابحة، ثم أشعل سيجارة من الحشيش الأفغانى، والتى لا تفارق جيبه أبدًا، ومع انتشار الدخان الأزرق فى المكان، وارتفاع مزاج فهمى إلى أعلى معدلاته دق جرس الباب، فذهب ليفتح الباب، ليجد أمامه شهيرة فكرى، التى دخلت على الفور ثم اتجهت مباشرة إلى الحجرة الداخلية وهو يتبعها على مهل، ثم احتضنها من الخلف وهو يقول بصوتٍ حنون:-

وحشتينى. ولم يضِع وقتًا بعد هذه الكلمة فأخذ ينزع عنها ملابسها ببطء وهى تساعده وتتمايل يمينًا ويسارًا، وطوال ساعة كاملة، مارس معها كل ألوان وأنواع الجنس، وعندما انطفأت شهوتهما أخبرها أنه ليس أمامه إلا عدة أيام ليعقد قرانه عليها سرًا كما اتفق معها من قبل ففرحت وقبلته قبلة طويلة قبل أن تودعه وكلها أمل فى أن تقترب الأيام حتى تصبح زوجة الرجل الذى دق قلبها من أجله، وقبل أن تنصرف كشفت كتفها وقالت:-

ينفع كده، عورتنى، إنت إيه وحش!!!

قبلها من رقبتها وهو يعيد ثوبها إلى مكانه ويقول بصوت خافت:-

حد يشوف الجمال ده كله وما يبقاش وحش وستين وحش كمان، يا ابيض انت ياللى بتنور فى الضلمة.

انصرفت شهيرة فأخذ هو ينظر إلى جلدها الرقيق الذى علق جزء صغير جدًا منه بأظفاره، وهو يتمتم:-

دا أحلى تذكار منك يا مقلوظ. وبعد انصرافها بربع ساعة فقط دق جرس الباب مرة أخرى فاعتقد فهمى أنها نسيت شيئًا ما وأتت لتأخذه، فقام ليفتح الباب وهو لم يبدل ثيابه بعد ويلوك فى فمه قطعة من التفاح، وفى يده كأس الويسكى يتناول منه جرعات صغيرة، فتح الباب ليجد أمامه آخر شخص يتوقع وجوده فى هذه اللحظة، لقد كان مدحت هانى دعاه للدخول، فدلف إلى الشقة وهو يدير عينيه فى كل مكان فيها ثم توجه مباشرة إلى الحجرة التى كانت تضم العاشقين منذ قليل فلحق به وهو يقول:-

إيه يا أخينا، رايح على فين؟

بادره مدحت قائلًا:-

هى راحت فين؟

أجابه غاضبًا:-

هى مين؟ وبعدين البيوت ليها حرمة.

ابتسم ساخرًا وهو يقول:-

حرمة!!! هو انت تعرف حرمة البيوت، شهيرة فكرى اللى كانت معاك من شوية، إيه مش عارفها؟

- وانت عرفت إزاى إنها كانت هنا؟

أجابه مدحت بأن أخرج من جيبه جهاز صغير يشبه (البيجر) ضغط على زر صغير به لتظهر

كل تفاصيل اللقاء الغرامى الذى كان بين العاشقين منذ قليل، فاتسعت عينا روميو رعبًا ثم قال:-

إنت جِبت البتاع ده منين؟ إنت بتتجسس عليا؟

أغلق مدحت الجهاز ثم وضعه فى جيبه وهو يقول:-

إنت تقريبا نسيت إنى أنا اللى عامل لك الكاميرات اللى فى الدار كلها بحكم شغلى وإنه مش هيكون صعب عليا إنى أعرف إنت بتعمل إيه فى أى وقت. خبط فهمى قدمه فى الأرض بعناد كالأطفال وهو يقول:-

بتتجسس عليا ليه؟

فجأة رق صوت مدحت وهو يقول:-

علشان بحبك يا غبى، بحبك من زمان وعمرك ما حسيت بيا، عملت كل حاجة علشانك وإنت ولا هنا، كنت تحت رجلك اللى تؤمرنى بيه بعمله، وفى الآخر بتخونى.

أولاه فهمى ظهره وهو يقضم قطعة تفاح من التفاحة التى فى يده ثم قال:-

والله الإتفاق اللى كان بيننا أنا وفيت بيه أكتر من مرة معاك، وأنا شايف إن لغاية كده وكويس أوى.

اشتعلت نيران الغضب فى عينى مدحت مع كلمات فهمى الحاسمة، فأمسكه من كتفه وأداروجهه إليه وهو يخرج سكينًا ماضيًا من جيبه الخلفى ويغرسها حتى منبتها فى صدر صديقه ثم قال بصوتٍ خافت بائس:-

إنت غبى، وعمرك ما هتفهم أبدًا، واللى زيك خسارة إنه يعيش.

ثم انهال عليه بعدة طعنات فى الصدر والبطن حتى أن فهمى لم يجد الوقت ليصرخ، فاحتبست الصرخة فى حلقه مع بقايا التفاحة التى كان يأكلها، استمر مدحت فى طعنه حتى وصل به إلى الفراش فتركه يسقط هناك وقد تعرى تمامًا من الروب المنزلى الذى كان يتمتع به منذ قليل، خلع مدحت عنه الروب وهو يتطلع إلى عينيه اللتان لم تفارقا الحياة بعد، ثم مال على الجزء السفلى منه وقال وهو يشير إلى عضوه الذكرى ويقول بغل:-

مش هو ده اللى فرحان بيه أوى، وبتخونى بيه كمان، أنا هريحك منه خالص.

قرب السكين الطويل من النصف السفلى لفهمى وهو يراقب حركاته التى بدأت تخمد قليلًا، ثم قطع العضو الذكرى فجأة فاتسعت عينا الرجل عن آخرهما والدماء تتدفق أنهارًا على الفراش، وعينيه تثبتان فى سماء الحجرة لتغادر الدنيا وما فيها.

مسح مدحت الدماء من على السكين بكل هدوء، ثم وضع العضو الذكرى فى روب القتيل الذى كان يرتديه منذ قليل، ووضعه فى طيات ثيابه، بعد ذلك أشعل جهاز الكاسيت وزاد من قوة الصوت حتى آخرها، ثم اتجه إلى جهاز لاب توب صغير موضوع على المكتب وأشعله ثم بدأ، يعبث بمحتوياته، كان يريد أن يمسح ما سجلته الكاميرات والميكروفونات المنتشرة فى كل مكان بالدار حتى يقضى على الدليل الوحيد لارتكابه الجريمة، ولكن القدر لم يمهله، فقد لمح ظل رجل يقترب من الباب ويقرع جرسه وهو ينادى على فؤاد قبل أن يدخل الشقة ويتجه إلى غرفة النوم، فى نفس اللحظة التى كان ينتزع فيها مدحت مقبس الكهرباء من الجهاز حتى لا يلاحظه الرجل ثم تسلل إلى خارج الشقة، ومعه الكمبيوتر وصعد بسرعة ليختبئ فى الطابق الذى يعلو الدار خرج عبده البواب من الشقة بسرعة الصاروخ وهو يصرخ ويولول كالنساء، ليخبر سكان العقار بمقتل دكتور فؤاد، فى نفس اللحظة التى هبط فيها مدحت إلى الطابق مرة أخرى ومن حسن حظه أن المصعد الذى صعد به البواب كان مازال فى مكانه فاستقله على الفور ونزل به إلى الطابق السفلى ثم إلى خارج العقار ولقد سانده الحظ مرة أخرى عندما لم يصل خبر مقتل فؤاد لسكان الطابقين الأول والثانى، فلم يشعر أى أحد بمدحت وهو يفر من مكان الجريمة.

بالطبع توقفت رواية فريد عند اللحظة التى فر فيها مدحت من الشقة ولكن سيادة المقدم استنتج باقى قصة الهروب والتى كانت صحيحة بنسبة كبيرة، فتنفس الصعداء ثم قال موجهًا كلامه لأحمد:-

هنتحرك دلوقتى على محورين، أولًا هناخد إذن من النيابة باستخراج جثة القتيل وهنعيد تشريحها مرة تانية علشان نتأكد من إن هو وفريد ليهم نفس الشريط الوراثى، لإن اللى أعرفه إن التواءم المتماثلة بيكون ليهم نفس فصيلة الدم ونفس الحمض النووى ال DNA وده اللى إنت هتعمله يا أحمد، ثانيًا هروح بنفسى للقاتل علشان أواجهه بالحقيقة، واقبض عليه، بعد كده فى مشوار مهم لازم أعمله علشان أقفل القضية دى بالضبة والمفتاح.

ولم يعد هناك ما يقال بعد قول سيادة المقدم أشرف صابر.

***

obeikan.com

مدحت

إتفضل يافندم.

تحرك أشرف نحو الحجرة الصغيرة فى قسم الكسور بأحد المستشفيات الحكومية، عندما دعاه أحد الأطباء للدخول على الشاب المصاب فى حادثة السيارة منذ الليلة الماضية، كان الطبيب قد حذر الضابط من كثرة الحديث مع المصاب حيث أنه لم يتماثل للشفاء بعد، وأن حالته مازالت تحت الملاحظة، امتثل المقدم لأوامر الطبيب ودخل على الشاب الذى لم يكن إلا مدحت هانى، كانت حالته يرثى لها فقد كانت إصاباته بالغة، عدة كسور فى الساقين والذراعين والرقبة، بالإضافة إلى عدة كدمات فى الوجه والرأس.

اقترب منه أشرف وناداه قائلًا:-

مدحت، مدحت.

فتح عينيه ببطء وقال بصوت واهن:-

مين؟

جلس أشرف على مقعد مجاور لفراش الشاب ثم قال:-

مقدم أشرف صابر، من المباحث العامة، كنت عايز أدردش معاك شوية بخصوص قضية مقتل الدكتور فؤاد.

غمغم مدحت وسحابة من الدموع تترقرق فى عينيه قبل أن يقول بحزن:-

الله يرحمه.

ابتسم أشرف بسخرية ثم قال:-

سبحان الله، أول مرة فى حياتى أشوف القاتل بيترحم على اللى قتله.

حرك المريض رأسه نافيًا اتهام أشرف المباشر له ثم قال:-

أنا ما قتلتهوش بالعكس أنا كنت بحبه جدًا.

ابتسم أشرف ساخرًا وهو يقول:-

ومن الحب ما قتل، بص من الآخر كده إحنا عرفنا كل حاجة، عرفنا إنك إنت اللى قتلت فؤاد، بعد ما كان مع شهيرة فكرى، وبعد كده حاولت تمسح محتويات الكاميرات والميكروفونات اللى سجلت كل حاجة من أول ما دخلت الشقة لغاية ما خرجت منها لما عبده البواب جه وانت لسه هناك، أنا ليا سؤالين وبس، وعايز إجابة عليهم دلوقتى حالًا، ليه قتلت فؤاد؟ ووديت فين عضوه الذكرى؟

زاغت عينى مدحت ولم يستطع الدفاع عن نفسه مع كلمات أشرف الحاسمة، فصمت قليلًا ثم قال:-

أنا كاتب من الكتاب، أول مرة قابلت فؤاد كانت فى الدار عنده لما سمعت عنه وعن جدعنته مع الكتاب الشباب، روحت له ومعايا أول رواية ليا كنت طابعها على ورق، أخدها منى ورحب بيا ووعدنى إنه هيقرأها ويهتم بيها، وفعلًا كان صادق معايا، وعجبته الرواية جدًا بس طلب منى فلوس علشان ينشرها، إديت له اللى هو عايزه، وبعدها الرواية نزلت المكتبات فعلًا، وأنا من فرحتى قربت منه أكتر وأكتر، كنت عارف إنه بيستغلنى فى أعمال الكمبيوتر علشان الدعاية بتاعة الدار، وأنا ما كنتش بتأخر عنه عملت له الكاميرات اللى هو عايزها فى كل مكان فى الشقة، وفى أماكن سرية، الجن الأزرق نفسه ما يعرفش مكانها فين، وقتها سألته بتعمل الحاجات دى ليه، قال لى إن فى ناس كتير بتيجى الدار هنا بتحقد عليه وكارهه له الخير، ده غير إنه شاكك إن فى منهم حرامية، صدقته وعملت له اللى هو عايزه، لغاية ما لاحظت إن فى شبه علاقة بينه وبين شهيرة فكرى، راقبتهم لغاية ما إتأكدت من الشكوك بتاعتى، وقتها اتجننت وقررت إنى أقضى عليه، لإنه كان

خاين علشان كده كان لازم يدفع التمن، قتلته، أيوه قتلته وكملت انتقامى منه لما قطعت له عضوه الذكرى وخليته عندى فى البيت فى شوية فورمالين، كان بنى آدم غبى، وما كانش عايز يفهمنى.

ارتفع رنين هاتف أشرف المحمول فى هذه اللحظة فأشار إلى مدحت بالصمت ثم أجاب المتصل الذى كان الرائد أحمد، استمع إليه بانتباه قبل أن يقول:-

كنت متوقع، خلاص خليك عندك وأنا هخلص كلامى مع مدحت وهستناك علشان تيجى.

أغلق هاتفه على الفور ولم ينتظر ردًا من زميله بل وضع الهاتف جانبًا ثم قال وهو ينظر إلى مدحت:-

اللى إنت ما تعرفهوش إن اللى قتلته مش فؤاد، اللى اتقتل يبقى أخوه فهمى التوأم، لسه أحمد مبلغنى إن نتيجة تشريح الجثة للمرة التانية طلعت إيجابية يعنى كلام فريد طلع صح وفؤاد لسه عايش.

ردد مدحت الأسماء التى قالها أشرف ثم عقد حاجبيه وقال:-

مين الناس دى؟ أنا مش فاهم حاجة.

أجابه أشرف مستطردًا:-

أنا هفهمك كل حاجة.

وطوال نصف ساعة كاملة قص ضابط المباحث على مدحت الحكاية من البداية حتى لحظة القبض على فريد واعترافه بالحقيقة، لم يتمالك الشاب نفسه مع كلمات أشرف القاتلة، والتى معها شعر مدحت بأنه قد تعرض لخدعة العمر، والتى معها فقد كل شىء، حياته ومستقبله، وحتى الانتقام الذى خطط له منذ زمن طويل ذهب أدراج الرياح، لم يجد ما يقوله فظل صامتًا حتى أتى أحمد إلى المكان فتركه أشرف مع القاتل حتى يتم القبض عليه رسميًا، ثم ذهب إلى السيدة التى ستكمل له اللوحة وتضع عليها إمضاءها.

***

مديحة

طرق أشرف باب شقة مديحة زوجة فؤاد عدة مرات دون أن يجيبه أحد ففتحت إحدى جاراتها باب شقتها وقالت:-

مين اللى بيخبط؟

أدار أشرف وجهه إليها وقال:-

أنا المقدم أشرف من المباحث، هى الست مديحة مش هنا؟

أجابته السيدة على الفور:-

دى مشيت من هنا، من بعد ما دفنت المرحوم، قفلت الشقة وخدت معاها ابنها وما قالتش رايحه على فين.

قال لها أشرف وهو يشعل السيجارة المائة منذ بدأ التحقيق فى هذه القضية:-

بصى يا ست إنتى، أنا ما عنديش وقت أضيعه معاكى، سؤال واحد ومش هكرره تانى، مديحة راحت فين؟

ارتجفت أوصال المرأة مع تهديد أشرف الواضح فقالت وصوتها يرتجف خوفًا:-

والله العظيم يا باشا معرفش هى راحت فين، من ساعة جوزها ما مات وحماتها دخلت المستشفى وهى أحوالها إتغيرت، ما بقتش بتكلم حد وفجأة لقيناها سابت الدنيا ومشيت وعرفنا بعد كده إنها باعت الشقة بالعفش بتاعها. كان من الواضح أن المرأة صادقة، فلم يُطِل معها الحديث، بل تركها على الفور ثم غادر المكان

وبينما هو يتجه نحو الإدارة إذا بهاتفه النقال ينطلق برنينه المميز فنظر إليه ليجد رقم أحمد فأجابه على الفور قائلًا:-

ألو، أيوه يا أحمد، تصور إن مديحة سابت البيت ومشيت ومحدش عارف مكانها و..

قاطعه صوت أحمد المتوتر قائلًا:-

مديحة مين دلوقتى، إحنا فى المصيبة اللى حصلت، مدحت انتحر يافندم، دبح نفسه.

ارتفع حاجبا أشرف حتى لامسا منبت شعره دهشة قبل أن يقول بصوت متحشرج:-

إيه، بتقول إيه، إزاى ده حصل؟

أجابه أحمد وهو يحاول السيطرة على توتره:-

كل اللى حصل إن حضرتك بعد ما سيبتنا، جه الدكتور علشان يتابع حالته وطلب مننا نخرج بره بعد شوية خرج وأنا قعدت أتكلم معاه عن حالة مدحت وإمتى هنقدر نستجوبه رسمى، فى نفس الوقت خليت عسكرى الحراسة واقف على باب الأوضه، بعد ربع ساعة دخلت عليه لقيت السرير غرقان دم ومدحت ماسك فى إيده مشرط التمريض الصغير، هنعمل ايه دلوقتى يافندم؟

- خليك عندك لغاية المعمل الجنائى ما يجيلك،

وأنا هروح لفريد، هو الوحيد اللى هيقول لنا على مكان فؤاد.

قرن قوله بالفعل واتجه مباشرة إلى الإدارة ليتحدث إلى الفرد الوحيد الذى بين يديه الآن، والذى سيعرف منه كل شىء، وبالتفصيل.

***

فريد

- فريد، إسمعنى كويس دلوقتى مفيش غيرك قدامى علشان أقفل القضية دى، أولًا القاتل انتحر، يعنى مات كافروأخد جزاؤه، ثانيًا عايز أسألك كام سؤال ولازم تجاوبنى عليهم.

لمعت دمعة حزن فى عينى فريد بعد أن علم بانتحار القاتل، ولم يعطر يديه بدمه، كى ينتقم لمقتل أخيه، لكنه تماسك بأعجوبة ثم قال بهدوء يحمل بين جنباته عاصفة عاتية:-

تحت أمرك يافندم.

ابتسم أشرف مشجعًا ثم سحب مقعدًا وجلس أمام فريد، وأشعل إحدى سجائره ثم ناول إحداها لفريد الذى اعتذر بهدوء، فقال الضابط:

عايز أعرف جبت رقم تليفونى منين؟

وليه كنت بتهددنى بقتل مراتى وابنى؟

ابتسم فريد بسخرية وقال:-

ومين اللى قال إنى جِبت رقم تليفونك يا باشا، فى بلدنا دى ممكن بمبلغ صغير تجيب تليفون أى حد إنت عايزه وفى أى وقت، وأعتقد يا باشا إن اللى عمل كده كان عايزيشغلك عن القضية لسبب معين.

ظل أشرف يتطلع إليه وهو يتكلم ثم قطع حديثه بصفعة هائلة على خده الأيمن، ألقت به من فوق الكرسى على الأرض، ولم ينتظر كى يستعيد توازنه مرة أخرى، بل انقض عليه وأمسكه من شعره بقوة ثم أعاده لمقعده، ونظر فى عينيه بقسوة وهو يقول:-

هتصيع عليا يا ابن الكلب، إنت اللى كنت بتكلمنى فى التليفون، رانيا عامر عرفت صوتك.

مسح فريد خيط الدم الذى سال من جانب شفته ثم عاود الابتسام بسخرية وهو يقول:-

عرفت صوتى ولا صوت فؤاد، أنا اللى عندى قلته يا سعادة البيه، وما عنديش غيره.

أسقط فى يد أشرف ولم يستطع أن يتكلم مع جرأة فريد، فعاد لمقعده مرة أخرى ثم التقط أنفاسه وقال:-

فين أرقام الحسابات اللى كنت هتبعت لفؤاد الفلوس عليها، وكنت هتسافر له إزاى وإمتى؟

عادت الابتسامة الساخرة لترتسم مرة أخرى على شفتى فريد وهو ينظر فى عينى أشرف بثبات ويقول:-

لو إنت فاكر إنى هقول لك على أى معلومة تخليك تعرف مكان فؤاد تبقى بتحلم يا باشا، دا ماليش

غيره دلوقتى بعد اللى راح.

بادله أشرف النظرة المتحدية ممزوجة ببعض الشراسة وهو يقول ببطء مخيف:-

أخوك نصاب وحرامى، ولازم أقبض عليه حتى لو قضيت اللى باقى من عمرى فى مطاردته، فالأحسن تقول لى على مكانه لأن كل دقيقة بتفوت بتضر نفسك قبل ما بتضره.

- إنسى يا باشا.

هوت قبضة أشرف على أنف فريد لتحوله فى ثانية إلى كومة من اللحم المفرى والعظام المهشمة، وبينما تتدفق دماؤه بغزارة من أنفه الذى أصبح لاحول له ولا قوة، إذا بباب المكتب يفتح فجأة ويظهر على عتبته ظل لرجل فى العقد الخامس من العمر وسيم، طويل، متين البنيان، خط الشيب فوديه فمنحه مظهرًا وقورًا، يدل على القوة والشكيمة، ما أن رآه أشرف حتى عدل من هندامه ووقف بثبات ثم قال:-

سيادة اللواء، أهلًا وسهلًا.

لم يرد اللواء مندور رئيس جهاز المباحث تحية أشرف بل أشار إلى فريد الذى كانت حالته يرثى لها ثم قال بصرامة:-

الراجل ده بيعمل إيه هنا؟

ألقى أشرف نظرة لامبالية على فريد ثم قال:-

دا أخو فهمى القتيل، وأنا بحقق معاه علشان أعرف فؤاد هربان فين.

اكتسى وجه مندور بمسحة من غضب كاسح وهو يقول:-

القضية خلصت يا أشرف، والقاتل اعترف قبل ما ينتحر، واللى بتعمله ده مش قانونى، وهيعرضك للمساءلة.

اندفع أشرف يقول مدافعًا عن نفسه وهو يعقد حاجبيه:-

يافندم، فؤاد لسه عايش، وده نصاب محترف، ولازم أقبض عليه بأى شكل، دى قضيتى ومش هتنازل عنها أبدًا، مهما كان السبب.

رفع مندور سبابته فى وجه أشرف محذرًا ثم قال:-

أنا قلت كلمة واحدة ومش هكررها تانى، بعد نص ساعة من دلوقتى مش عايز أشوف الراجل ده هنا، فاهم؟

تصارعت شياطين الغضب فى وجه أشرف وهو يلقى نظرة سريعة على فريد الذى وجده يبتسم بسخرية، مما زاد من احتراق آخر كمية من الماغنيسيوم فى خلاياه، فاحمرت عيناه واندفع نحو فريد يريد الفتك به، و....

- أشرف.

صرخ اللواء مندور باسم أشرف، فتوقف الأخير على بعد سنتيمترات قليلة من فريد الذى لم تختفى ابتسامته الساخرة من على شفتيه، فتابع مندور قائلًا بحزم:-

تعالى معايا على المكتب.

قال عبارته الصارمة ثم ترك المكان، فتبعه أشرف صاغرًا حتى مكتبه، وهناك بادره اللواء قائلًا:-

خلى بالك يا أشرف اللى إنت بتعمله ده هيعرضك لمشاكل إنت مش قدها، القضية خلصت وانتهت.

تكلم أشرف بلهجة تحمل الكثير من الرجاء:-

يافندم، القضية دى أنا تعبت فيها جدًا لغاية ما وصلت للى وصلت له، لو سِبت الواد ده يمشى يبقى هخسر

كل حاجة، أرجوك يافندم، أرجوك.

وضع مندور كفه على كتف أشرف وقال بلهجة حانية:-

يا أشرف إفهم، إنت زى إبنى، وأبوك الله يرحمه كان صاحبى، القضية دى شغلت الرأى العام لفترة، وكنا مستغلين الضجة دى علشان نغطى على بلاوى كتير بتحصل فى البلد، ودلوقتى لازم نغطى على القضية

دى بحاجة تانية، تشغل الناس، هى الدنيا ماشية كده.

- يافندم أنا هنفذ اللى فى دماغى، وهجيب فؤاد، يعنى هجيبه مهما كان التمن.

كان هذا رد أشرف على كلام رئيسه، الذى احمرت عيناه من فرط الغضب فقال محذرًا:-

أنا نبهتك وإنت حر، لكن لو هنتكلم بشكل رسمى، تبقى غلطان يا حضرة الظابط، تقدرتقولى إيه الجريمة إللى فريد ارتكبها؟ دا راجل كان بيدور على اللى

قتل أخوه زيك بالظبط، وحتى بعد ما عرفت القاتل، لسه بتدور على فؤاد ليه بعد ما عرفت إنه ما إتقتلش.

أجابه أشرف قائلًا:-

يافندم فؤاد ده نصاب، والكتاب كلهم شهدوا بكده.

اقترب منه مندور وقال وهو ينظر فى عينيه مباشرة:-

عندك دليل على كلامك، هات لى واحد قدم فيه بلاغ ولا رفع عليه قضية، يا أشرف ما تضيعش مستقبلك، لأن عِندَك هيدمرك.

لم يملك أشرف أمام تهديدات اللواء مندور إلا أن ينفذ التعليمات ويطلق سراح فريد على مضض، ولأنه يملك إصرار أسد هصور وعناد نمر وحشى فقد قرر بينه وبين نفسه أن يواصل البحث عن فؤاد بصفة غيررسمية، لذلك فلم يكد يخرج من مكتب رئيسه حتى أسرع بالذهاب إلى المستشفى المحتجزة بها والدة فؤاد بعد أن استطاع الحصول على عنوانها من فريد أثناء التحقيق معه، وهناك قابل الطبيب المعالج لها والذى ألقى إليه بمفاجأة أخرى عندما أخبره بأن أحد اقاربها قد أخرجها أمس من المستشفى كى تكمل علاجها فى الخارج، وهنا أحس أشرف بنار الهزيمة تأكل ثنايا عقله، لقد أدار فؤاد اللعبة بمهارة، لقد لَقَّنَهُ درسًا لن ينساه طوال عمره، وعلم فى آخر اللعبة أنه ما هو إلا قطعة صغير مهملة فى رقعة الكبار.

****

ربط فريد حزام مقعده فى الطائرة الخاصة التى كانت تنتظره فور خروجه من المديرية، والتى انطلقت على الفور لإحدى الدول العربية، وبينما هى تحلق فى السماء مغادرة أرض الكنانة، ابتسم الرجل وهو يتذكر حديث أخيه فؤاد فى آخر حوار دار بينهما عبر الإنترنت، لقد قال له وقتها وبلهجة آمرة (اسمعنى يا فريد إحنا كده عرفنا مين اللى قتل فهمى ولازم ياخد جزاؤه، ودى هتكون مهمتك، لو قدرت تنفذها أو ما قدرتش، هيكون فى خطة علشان تمشى من مصر كلها، فى رقم

هديهولك دلوقتى، بمجرد ما تتصل به هتكون الطيارة الخاصة جاهزة علشان تنقلك لمكانى أنا ومراتى وابنى، وأول ما هتكون فى السما هتكون ماما وصلت عندى علشان تكمل علاجها هنا، مش عايزك تخاف ولا تهزقدام الضابط ده بالذات، كل خطوة أنا عامل حسابها كويس).

- تشرب حاجة يافندم؟

أفاق فريد من ذكرياته على صوت المضيفة الحسناء، فابتسم بهدوء وهو يسترخى فى مقعده ويقول:-

ليمون بالنعناع.

أومأت برأسها، وذهبت لتحضر له طلبه، فأغلق عينيه باسترخاء، وهو يحلم باللحظة التى تهبط بها الطائرة على الأرض التى تضم أحبابه، فالوطن هو المكان الذى يضم الأحباب، ولا شىء غيرهم.

تمت بحمد الله

القاهرة فى ٢٠١٦/٩/١٨

***

obeikan.com

التعريف بالكاتب

محمد عبد الرازق محمد، من مواليد الجيزة، يعمل بمجال التدريس.

صدرله حتى الآن ثمانية روايات هى:-

- المجهول ج١
- قاهر المستحيل ج٢
- انتقام قلب
- كلاكيت
- الشيطان
- أغلال
- تربة الزعفران
- عرير ج١

للتواصل مع الكاتب:

Maelrazek15173©yahoo.com

Maelrazek15173©gmail.com

Mrazek3©facebook.com

obeikan.com

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر

noon_publishing@yahoo.com
0235860372 - 01127772007

obeikan.com